وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

رفيق دربي ..

الذي أعشقه

مسيرة نصف قرن مع المايكروفون

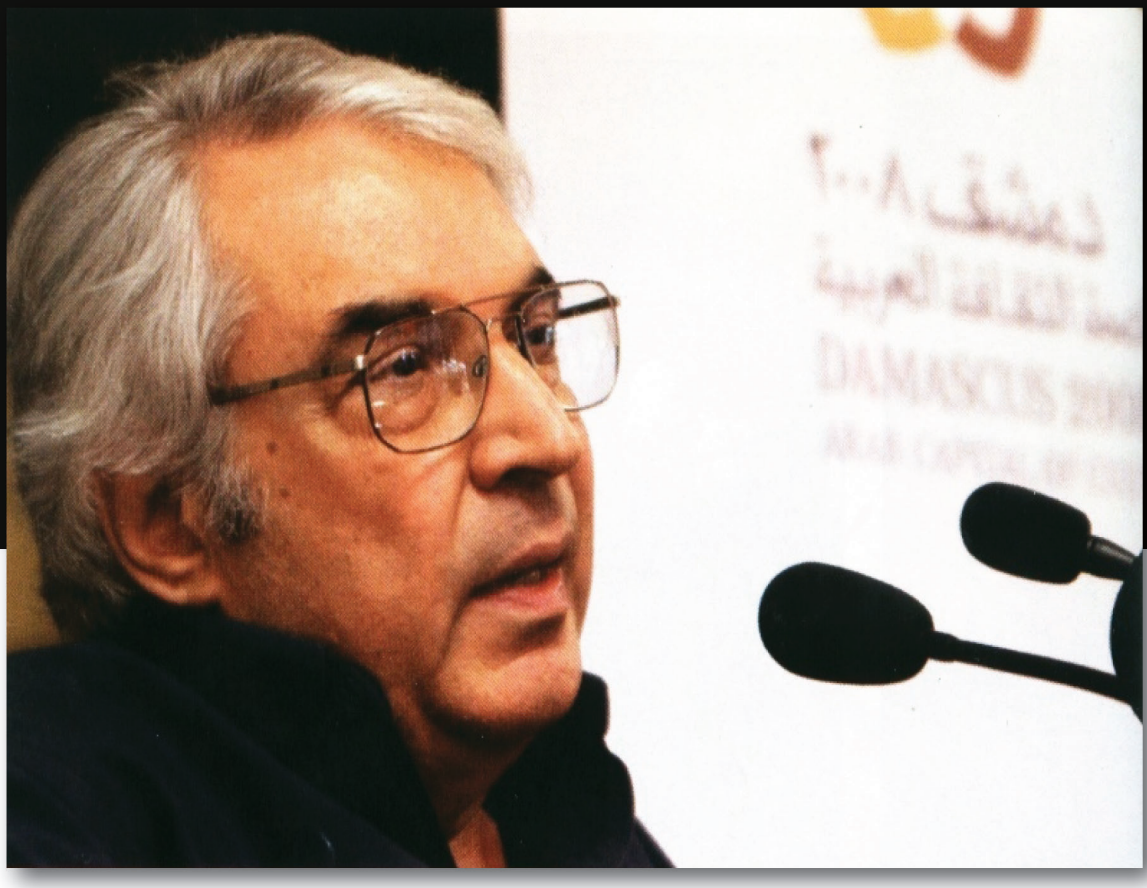

فاروق حيدر

رفيق دربي..

الذي أعشقه

مسيرة نصف قرن مع المايكروفون

الهيئة العامة السورية للكتاب

الهيئة العامة السورية للكتاب

الإشراف الطباعي

م. ماجد الزهر

فاروق حيدر

رفيق دربي..
الذي أعشقه

مسيرة نصف قرن مع المايكروفون

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٠

الهيئة العامة السورية للكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

المايكروفون في التعريف العلمي: هو جهاز معدني صغير الحجم ذو حساسية قياسية خاصة، يحول الموجات الصوتية إلى موجات كهربائية دون أن يشوه أو يغير من مواصفات الصوت، ويتحمل التغيرات الجوية والضغوطات الصوتية الصغيرة والكبيرة، ويلتقط الذبذبات المسموعة في المجال الصوتي والتي تتراوح بين ٥٠ وحتى ١٥٠٠٠ هرتز.

والمايكروفون كما أراه هو الناقل الصادق للأحاسيس والانفعالات عن طريق نقله الصوت الذي يعبر بالكلمات عن كل ما يراد إيصاله إلى الآخرين.

المايكروفون رفيق دربي منذ نصف قرن من الزمن، عايشني وأعانني وقدمنا أفضل ما لدينا معاً.. وتلك العلاقة الحميمة التي نشأت بيني وبينه جعلتني أعامله كصديق، أشعر بالنشوة والسعادة عندما أحدثه، وأفتقده عندما أبتعد عنه.

تلك العلاقة الحميمة مع المايكروفون أصبحت مع الأيام علاقة صداقة وتفاهم فصرت لا أخافه لدرجة الرعب، ولا أستهين به لدرجة الإهمال. فمن مفردات علاقتنا الجميلة رهبة في البداية تحولت إلى خشية دائمة مبعثها الشعور بمسؤولية الكلمة التي تذاع وتنتشر عبر الأثير، وباحترام المتلقي الذي يستمع إليها.

ومعلوم أن توتر الإنسان توتراً بسيطاً، وخوفه من موقف ما خوفاً بسيطاً، يؤدي إلى إفراز مادة «الأدرنالين» في الدم التي تسبب حساسية زائدة وتدفع حواس الإنسان إلى حيوية وانتباه بحيث يتم أداء مهمته على أكمل وجه.

المشوار الطويل مع رفيق دربي المايكروفون منذ عام ١٩٦٠ في إذاعة القاهرة ثم في إذاعة دمشق ثم في إذاعة هولندا العالمية وعودة إلى إذاعة دمشق.. ذاك المشوار الطويل أراه حياة كاملة فيها كل الأنغام وكل الألوان، وبالتالي فهي تستحق أن أكتب عنها كل ما بقي في الذاكرة متمنياً، بصدق وموضوعية، أن أتذكر الكثير، وآملاً، بصدق وموضوعية، أن أكتب عن كل ما له علاقة، من بعيد أو قريب، بالمايكروفون. ولا يفوتني أن أعتذر من البداية من أولئك الذين لم يأخذوا حيزاً من هذه المذكرات لأن ذاكرتي لم تسعفني بتذكرهم.. كما أعتذر من أولئك الذين قد يجدون اختلافاً ما بين ما حدث فعلاً وما أذكره هنا فالنسيان هو السبب لا غيره، مع تأكيدي بأن الاختلاف لن يكون في الجوهر بل ربما في أشياء بسيطة، هذا إن وجد. وأرجو التذكير بأنه ليس من السهل أن يعود الإنسان ليجمع حصاد خمسين سنة مرت دون أن تفلت منه بعض الأحداث أو تمحي بعض الصور.

أخيراً.. أحمد الله جل وعلا لتوفيقه لي في إنجاز مهمة صعبة سهلة، منتهزاً هذه المناسبة لأشكر كل أولئك الذين شجعوني على البدء بهذا المشروع وعلى المضي فيه.. وأوجه تحيتي وتمنياتي للزملاء الذين عرفوني وعملنا معاً ممن وردت أسماؤهم، ولأولئك الذين لم ترد أسماؤهم عن غير قصد. كذلك أنتهز هذه المناسبة لأترحم على الزملاء الذين مضوا بعد أن أعطوا فسبقوني آملاً أن نلتقي في جنان الخلد بإذن الله.

الهيئة العامة السورية للكتاب

« إلى القاهرة »

مشواري مع المايكروفون، ذاك الذي أعشقه، بدأ في أوائل عام ١٩٦٠ عندما أعلمني أخي يوسف الذي كان يعمل مذيعاً في إذاعة دمشق، أن مسابقة تقيمها إذاعة القاهرة في دمشق لانتقاء كتاب ومخرجين وممثلين إذاعيين يتدربون في إذاعة القاهرة كي يعملوا في إذاعة دمشق، وعلى الرغم من أن أحلامي لم تكن تتعدى أن أصبح مذيعاً، وجدت فرصتي في دخول ذاك العالم الذي كان يتراءى لي كنجوم السماء أستمتع بمشاهدتها، ويصعب أن أصل إليها. كانت الإذاعة بذاتها حلمي الأكبر، أكثر من الاستماع إليها وأتمنى أن أعمل فيها. كنت في الصف الثالث من كلية الحقوق بجامعة دمشق. تقدمت بطلب لقبولي في المسابقة وخضت المرحلة الأولى منها وهو امتحان تحريري حيث كان عدد المتقدمين كبيراً، وكنت اخترت أن أدخل مسابقة الكتاب الإذاعيين، وعندما وزعت علينا الأسئلة في إحدى قاعات كلية الشريعة بجامعة دمشق، جاءت أسئلة الكتاب والمخرجين والممثلين في ورقة واحدة لكنها منفصلة بحيث يختار كل متسابق الأسئلة الخاصة بالصفة التي اختار التقدم إليها. ولأنني أحب بطبيعتي الإطلاع وتوسيع أفقي قرأت كافة الأسئلة الخاصة بالصفات الثلاث فلفتت انتباهي أسئلة المتقدمين لامتحان الإخراج حيث وجدتها أكثر الأسئلة طلباً للإبداع، ودون تفكير طويل طلبت من رئيس قاعة الامتحان الأستاذ عبد الهادي المبارك الذي كان يحتل منصب رئيس ديوان إذاعة الإقليم الشمالي أن أنقل امتحاني من صفة الكتابة إلى صفة الإخراج فلم يمانع. وهكذا أجبت على الأسئلة الخاصة بالإخراج. وبعد أيام أعلنت أسماء الناجحين في الامتحان التحريري وكان عددهم قليلاً وكنت من بينهم. وحدد موعد الامتحان الشفهي والمقابلة، وجاء دوري لأمثل أمام لجنة

من عمالقة الإذاعتين إذاعة القاهرة في الإقليم الجنوبي للجمهورية العربية المتحدة وكان منها مديرها الأستاذ عبد الحميد الحديدي والمخرج الشهير الأستاذ يوسف الحطاب، وإذاعة دمشق في الإقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة وكان بينهم الأستاذ يحيى الشهابي مدير إذاعة دمشق والأستاذ فؤاد الشايب مستشار وزير الإعلام في القاهرة لشؤون إعلام الإقليم الشمالي.

وأذكر أن الأساتذة الأربعة اشتركوا في طرح الأسئلة كما أذكر أنني لم أشعر بأي خوف أو قلق وكأنني كنت واثقاً من نجاحي.. أذكر أيضاً أن الأستاذ الحديدي سألني عن دراستي بالجامعة وهل أنا مستعد لتركها من أجل العمل في الإذاعة إذ علي، في حال نجاحي، الذهاب إلى القاهرة في دورة تدريبية تستمر ستة أشهر فأجبته إنني لن أترك دراستي نهائياً بل يمكن أن أستغني عن عام دراسي وأتابع دراستي بعد عودتي من القاهرة. أذكر أن الأستاذ يوسف الحطاب كبير مخرجي إذاعة القاهرة طلب مني أن أغني لحناً مما أحفظ من الموسيقى العالمية ودون تردد ذكرت له لحناً كنت أحفظه ولكنني لا أعلم من مؤلفه وما اسمه. ولحسن حظي لم يسألني عن تلك المعلومتين، بل سألني عن اللحن وفي أي موقف يمكن استعماله فقلت له دون تردد إنه يمثل انتصار جيش ما، والحقيقة أن اللحن كان نشيد النصر من أوبرا عائدة لفردي يمثل دخول الجيوش منتصرة إلى مصر، كنت شاهدت فيلماً سينمائياً عنه، ويبدو أن اللحن رسخ في ذاكرتي.

أعلنت نتائج المسابقة وجاءت كالتالي: في الكتابة الإذاعية أديب السيد من حلب وفي الإخراج نجح أربعة مروان عبد الحميد وفائق مغيزيل ومحمد صالحية وأنا. وفي التمثيل نجح أربعة: رفيق السبيعي وعبد الرحمن آل رشي وماجد اسبير وهشام دباغ. كنت سعيداً جداً بنجاحي لكنّ المشكلة كانت في إقناع والدي بالموافقة، بعد أن رفض بإصرار أن أقطع دراستي خشية ألا أتابعها بعد عودتي من القاهرة. ولكنني استطعت بإصراري وحماستي أن أقنعه وأن أعده بمتابعة دراستي بعد العودة من القاهرة. كان عمري آنذاك لا يتجاوز الواحد والعشرين عاماً وكان موضوع سفري إلى القاهرة وابتعادي عن أهلي وبيتي وأصدقائي وبالتالي بعدي عن دمشق التي تعشعش في داخلي، أقول كان موضوع سفري

يؤرقني بنفس القدر الذي كان يسعدني. كنت أجد فيه الباب الواسع الكبير الذي سأدخل منه إلى مستقبل زاهر طالما حلمت به، لكنني كنت في وقفات لا تطول أشعر بشيء من الرهبة الممزوجة بالقلق في عبوري - وحيداً - باباً قد يدخلني إلى عالم كبير أضيع فيه. وجاءت دفعات مشجعة رفعت من معنوياتي فبعد موافقة والدي وبالتالي والدتي مع كثير من الدموع، شجعني الأصدقاء وكثيرون تمنوا أن يحدث معهم ما حدث معي بل حسدوني على موقفي وتمنوا لي التوفيق. كنت موظفاً في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل - مديرية العمل - وكان عملي ممتعاً يتلخص في مراقبة تطبيق قانون العمل على العمال في المصانع والمتاجر والشركات وما إلى هنالك، ولا يتطلب دواماً كاملاً في المكتب ويتيح لي حضور بعض المحاضرات في الجامعة. ولم أجد صعوبة في الحصول على إجازة بلا راتب كي ألتحق بإذاعة القاهرة.

من النقاط المضيئة في حياتي أني تعرفت إلى شاب خلوق مهذب، صادف أنه يدرس الحقوق أيضاً وفي الصف الثالث أيضاً، وقد نجح في مسابقة الإذاعة كمخرج أيضاً. إنه مروان عبد الحميد، اجتمعت به كي نهيء الأوراق الثبوتية المطلوبة معاً وكي نسافر معاً. كيف تم ذلك ولم كان اجتماعي بمروان وليس بغيره من الذين نجحوا مثلي وسيسافرون ويلتحقون بإذاعة القاهرة مثلي؟ لا أعلم. كان القدر هو الذي فعل وأنا من الذين يؤمنون بالقدر. ومنذ اللقاء الأول اكتشف كل منا الكثير من نقاط الاهتمام المشتركة، وشعرت أن هذا الشاب سيكون نعم الزميل وربما الصديق. تأخرت موافقة الأمن على سفري ومروان، بينما استطاع الآخرون إنهاءها فطاروا إلى القاهرة ليلتحقوا بدورة المعهد الإذاعي: فائق مغيزيل ومحمد صالحية ورفيق سبيعي وعبد الرحمن آل رشي وهشام دباغ، وتخلف أديب السيد، فاعتذر ولم يسافر بينما انضم إلي ومروان ممثل من حلب هو ماجد اسبير.

بدأت دورة المعهد الإذاعي في القاهرة ونحن الثلاثة ما نزال في دمشق لكننا لم نفقد الأمل واستطعنا بعد أسبوع من اللحاق بزملائنا السوريين في الإقليم الشمالي والانخراط في دورة المعهد الإذاعي.

وصلنا القاهرة ليلاً وقضينا الليلة الأولى في فندق شعبي جداً أوصلنا إليه سائق التكسي وفي الصباح الباكر ذهبنا إلى المعهد الإذاعي في شارع الشريفين وانتظرنا موعد بدء العمل حيث استقبلنا فيه. وانضممنا إلى زملائنا الذين سبقونا من دمشق مع زملاء من إذاعة القاهرة وآخرين من إذاعة اليمن. ولجتمعنا في نفس الدورة بالمذيعة المعروفة في إذاعة دمشق السيدة إحسان المحمودي وبالمذيع عصام الشريف. ونجحنا في نفس اليوم باستئجار شقة في شارع علوي وهو الشارع المتقاطع مع شارع الشريفين حيث إذاعة القاهرة القديمة والمعهد الإذاعي. ولا بد من أن أذكر هنا أن الزميل مروان عبد الحميد كان يشبهني في عدم تأقلمه مع الجو الجديد بسرعة، وببعده عن الحياة العملية وأذكر أن زميلنا ماجد اسبير من إذاعة حلب كان الملاك الذي أرسله الله لنا كي يؤمن السكن والخادمة والعيش و.. كلّ شيء. لكن الزميل الذي قام بإنجاز مهم هو فائق مغيزيل رحمه الله حيث استطاع بإلحاحه واتصالاته الوصول إلى السيد وزير الإعلام للجمهورية العربية المتحدة آنذاك الدكتور عبد القادر حاتم.. وبمعاونة وتأييد الأستاذ فؤاد الشايب المستشار الإعلامي لوزير الإعلام لشؤون الإقليم الشمالي، استطاع فائق أن يحصل على قرار وزاري لعدنا، نحن السوريين الناجحين في مسابقة لحساب إذاعة القاهرة، وكأننا موظفون من الإقليم الشمالي، وهذا يعني أن نحصل على تعويض مالي شهري إلى جانب الراتب كان يسمى "تعويض بدل إقليم" يتقاضاه كل موظف سوري من الإقليم الشمالي يندب للعمل في الإقليم الجنوبي وكل موظف مصري من الإقليم الجنوبي يندب للعمل في الإقليم الشمالي.. ولولا هذا القرار لما استطعنا أن نعيش في القاهرة ستة أشهر، إذ إن رواتب الدولة - ومنها إذاعة القاهرة - كانت متدنية للغاية، وأذكر أن زملاءنا المخرجين المصريين خريجي الجامعة كان يتقاضى الواحد منهم شهرياً في بداية توظيفه - كما نحن - سبعة عشر جنيهاً مصرياً فقط. بينما كان الواحد منا يتقاضى شهرياً مع تعويض بدل الإقليم مبلغ خمسين جنيهاً مصرياً وهو مبلغ كان يعد كبيراً في ذلك الوقت عام ١٩٦٠ وكنا لذلك نعيش حياة منعمة إلى حد ما. وكما الحال في كل زمان ومكان كان راتبنا الكبير سبب انزلاق بعض

الزملاء نتيجة طيش الشباب لكنها انزلاقات كان من الممكن الإحاطة بها وتلافيها قبل استفحالها والحمد لله.

ولا أنسى أن أشير هنا إلى لقائي في القاهرة مع الصديق ممتاز دعدوش الذي كان يتابع دراسته العسكرية فيها، وكان وجوده الدائم معي مساعداً هاماً في تخفيف عبء الشعور بالغربة وفي تمضية الأوقات الجميلة معاً. كذلك التقيت بالصديق الآخر السعودي محمد العتيبي الذي كان يتابع دراسة القانون في جامعة عين شمس ثم تخرج قبل وصولي القاهرة فكان عليه أن يغادرنا بعد وصولي بأيام ويعود إلى دمشق حيث يقيم أهله ومنها إلى السعودية حيث عمله الجديد.

على ضفاف النيل في القاهرة

مروان عبد الحميد - فاروق حيدر - ماجد اسبير

المعهد الإذاعي في إذاعة القاهرة

أبدأ من المعهد الإذاعي في القاهرة الذي يقيم دورات تدريبية للعاملين في الإذاعة والتلفزيون التابعين للدولة من مصريين وعرب. وكان آنذاك المعهد الوحيد في الوطن العربي الذي يعنى بتدريب الكوادر عن طريق إلحاقهم بدورات تدريبية يمكن أن تمتد الدورة الواحدة ثلاثة أشهر، يحاضر فيها كبار الإذاعيين والإعلاميين والفنانين المصريين. ويتبع المعهد إذاعة القاهرة التي كانت تعد الإذاعة العربية الرائدة. وقد كان لي الشرف أن أتتلمذ نظرياً وعملياً على أيدي رجال كنا نعدهم عمالقة لأنهم كانوا فعلاً عمالقة في عصر كان عصر العمالقة. هكذا كنا نقول وما أزال أصر على أنها الحقيقة. وأنا أرى أن اللبنة الأولى في البناء المتين الذي شيدته خلال نصف قرن من الزمن، هي الدورة التدريبية التي اتبعتها في المعهد الإذاعي بشارع الشريفين في القاهرة التابع لإذاعة القاهرة، إذاعة الإقليم الجنوبي في الجمهورية العربية المتحدة وهي الخطوة الأولى في مشواري الإذاعي.

كانت الدورة غنية وشاملة اشترك في تقديم محاضراتها كل الإذاعيين الذين تتردد أسماؤهم في الوطن العربي الذين أذكر منهم الأساتذة عبد الحميد الحديدي مدير إذاعة القاهرة وحسني الحديدي كبير المذيعين ويوسف الحطاب كبير المخرجين الذي اشتهر ببرنامجه «من قصص القرآن الكريم» ومحمد محمود شعبان المخرج الإذاعي الذي اشتهر بمسلسله «ألف ليلة وليلة» وكامل يوسف المخرج المسرحي المعروف ويحيى أبو بكر الإعلامي المعروف وعبد الحليم البشلاوي الإعلامي الإذاعي وحسن شعبان مدير إذاعة صوت الشعب، وقد كانت محاضراتهم عن الإذاعة كوسيلة اتصال وعن تنسيق البرامج الإذاعية

وعن الدراما الإذاعية وعن برامج المنوعات وعن برامج الأطفال والبرامج الخاصة والبرامج الموجهة وبرامج الطوائف وعن الندوة والمناقشة ثم عن الأخبار الإذاعية تحريراً وتقديماً، وإلى جانب الناحية البرامجية كانت هناك المحاضرات الهندسية التي اشترك فيها مهندسون معروفون كالمهندس طه نصر والمهندس صلاح عامر والمهندس فاروق إبراهيم والمهندس إبراهيم أبو سريع وشملت محاضراتهم كلّ المعلومات عن الاستديو والمايكروفون والموجات الصوتية والإرسال والاستقبال وعمليات المونتاج وما إلى ذلك.

وكان للموسيقى مكان واضح في جدول المحاضرات حيث اشترك العلامة حسين فوزي في الحديث عن الموسيقى الغربية، والعلامة عبد الحليم نويرة عن الموسيقى العربية، أما الأدب واللغة العربية فقد كان فارسها الشاعر المعروف محمود حسن إسماعيل. ولأن التلفزيون كان في بداياته فقد اشتملت الدورة محاضرات عن برامج التلفزيون والمقارنة بين التلفزيون والمسرح والسينما والإذاعة. باختصار يمكن القول إن الدورة التدريبية كانت الباب المفتوح على علوم وفنون الإذاعة. ومن ذاك الباب بدأنا ولوج عالم الإذاعة الفسيح. انتهت الدورة بعد ثلاثة أشهر وأجري امتحان نهاية الدورة فلم يرسب أحد لكن كانت هنالك درجات. ومما أسعدنا أن الأستاذ عصام الشريف زميلنا المذيع السوري احتل المركز الأول، وتبعه بعض الزملاء المصريين ثم السوريين ثم اليمنيين. وكنت سعيداً لأنني نجحت بدرجة جيد، إذ إن دراستنا لم تكن مركزة كما يجب لأن وجودنا في جو جديد ومعاناتنا لشعور الغربة أثر على معنوياتنا بعض الشيء.

ولا بد لي وأنا أتحدث عن دورتنا التدريبية في المعهد الإذاعي بالقاهرة، أن أذكر بعض المواقف والطرف التي، لحسن الحظ، لا تزال ماثلة في مخزوني من الذكريات ولا شك أن كثيراً غيرها قد ضاع مع مرور السنوات وأصبح في عالم النسيان. أذكر أن الجو العام في الدورة كان لطيفاً ومقبولاً على الرغم من أن العلاقة التي ينشئها كل محاضر معنا اختلفت من محاضر إلى آخر.. فالبعض كان جاداً ومحافظاً على علاقة أستاذ وتلميذ

كالمخرج محمد محمود شعبان المعروف في عالم الإذاعة بلقب "بابا شارو" حيث كان يقدم برنامج الأطفال. والبعض كان كريماً مضيافاً يعاملنا كضيوف، ويظهر الفرق في التعامل معنا عن التعامل مع الزملاء المصريين.. وأذكر الأستاذ الجليل حسن شعبان الذي كان مدير إذاعة صوت الشعب وهي إذاعة رديفة للبرنامج العام في إذاعة القاهرة، الذي أصر على دعوتنا إلى منزله في حلوان والترحيب بنا. ولا أنسى البعض الذين كانوا مزاجيين يتفاوت تعاملهم بين يوم وآخر كالمخرج الفنان يوسف الحطاب وهكذا.

مما يلح علي الآن ذكره أن الزملاء اليمنيين الثلاثة الذين كانوا يحضرون الدورة معنا كانوا يحدثوننا عن وضع إذاعة صنعاء ذاك الحين ومدى بدائيته. وعن وجود مفتاح للإذاعة يأتي المذيع صباحاً إلى إمام اليمن آنذاك ليتسلم منه بالذات المفتاح، ثم وعندما تنهي الإذاعة برامجها يوصل مذيع الفترة المسائية مفتاح الإذاعة ويسلمه للإمام. وفي الحقيقة كنا نضحك ولا نأخذ هذه الحكاية مأخذ الجد على الرغم من تأكيدهم صحتها وعلى الرغم مما يبدو عليهم من جدية وهم يخبروننا بها لكننا بدأنا نصدق كل ما قالوه عندما فوجئنا بهم يودعوننا قبل انتهاء الدورة لأن برقية جاءت من إذاعة اليمن إلى إذاعة القاهرة تطلب عودتهم سريعاً خشية توقف الإذاعة لعدم وجود عدد كاف من المذيعين.

مما يلح علي ذكره أيضاً أننا بعد انتهاء المحاضرات النظرية طلب منا أن نتدرب عملياً، وطلب الأستاذ يوسف الحطاب رئيس دائرة التمثيليات في إذاعة القاهرة، منا أن يتبرع أحدنا لإعداد نص وإخراجه، ولا أدري لماذا تبرعت بحماس لفعل ذلك على الرغم من أنني لم أجرب فن الإخراج من قبل. المهم وافق الأستاذ الحطاب وطلب مني البحث عن مسرحية وتحويلها إلى تمثيلية إذاعية، وأذكر أنني اخترت مسرحية «الديون المقدسة» عن قصة للكاتب جون شتاينبك فأعددتها إذاعياً وجئت الأستاذ الحطاب وبيدي قائمة من الممثلين والممثلات كي يكلفهم بالعمل معي، ففوجئت به وهو يصرخ: «أنت تتدرب ولا يجوز لك طلب ممثلين، يمكنك الاستعانة بزملائك» قلت له والممثلات؟ ليس لدينا في الدورة زميلات وقدمت له طلباً أدرجت فيه أسماء

بعض الفنانات الشهيرات آنذاك كالسيدات كريمة مختار ونعيمة وصفي وسناء جميل وسميحة أيوب فقفز من على مقعده وراء مكتبه وصرخ: إنت عايز تجنني؟ ما فيش ممثلات اقلبهم ممثلين. وشعرت عندها بنوع من الإحباط، لكننا بعد ذلك أصبحنا نضحك على ذاك الموقف.

كذلك يمكن أن أذكر أنني كنت قبل اشتراكي في مسابقة الإذاعة، معجباً جداً بالمخرج المصري ديمتري لوقا، وأتابع برنامجه التمثيلي الأسبوعي: «من الحياة»، وعندما وصلت إذاعة القاهرة سألت أول ما سألت: أين أجد الأستاذ ديمتري لوقا؟ ودلوني على غرفة فيها بعض الطاولات القديمة المهترئة ودلوني على طاولة بينها ليست في الصدارة، وقالوا لي هذه طاولة ديمتري لوقا، وهو لا يأتي إلا عند تسجيل برنامجه. ثم ومع تتالي الأيام وبعد استغرابي لعدم اشتراكه في المحاضرات أو التدريب بدأت أفهم شيئاً فشيئاً ما كان همسه لي أحد الزملاء المصريين في الدورة حول إبعاده.. كان اسمه يوحي بالسبب ولن أزيد.. وأجدني آسفاً حتى اليوم لأنني لم أستطع لقاءه طوال الأشهر الستة التي عشتها في القاهرة.

ومن الأحداث التي أذكرها أيضاً أن شاباً دخل يوماً مكتب الأستاذ يوسف الحطاب، وكنت هناك فصرخ الأستاذ في وجهه معنفاً وطلب منه ألا يأتي مكتبه لأنه عندما يحتاجه يرسل إليه وكان الشاب خجولاً مطواعاً اعتذر وانسحب. كان ذاك الشاب الممثل الذي أصبح معروفاً فيما بعد: حسن يوسف.

وأذكر أيضاً أنني حضرت تسجيل تمثيلية إذاعية، اشترك فيها كبار الفنانين والفنانات وكان المخرج الأستاذ فايز حلاوة رحمه الله موجوداً ولفت انتباهي مدى بذاءة الكلمات التي يوجهها للممثلين والممثلات وتطاوله عليهم ووقاحته معهم وهم صاغرون لا يجرؤون إلا على تنفيذ أوامره. وبقيت هذه الحادثة في ذاكرتي طوال حياتي العملية مخرجاً بحيث أثرت في طريقة تعاملي اللطيفة مع الزملاء الممثلين والممثلات وفي الصبر الذي أتحلى به محاولاً الابتعاد عن الصورة السيئة التي فاجأني بها أحد كبار مخرجي إذاعة القاهرة آنذاك.

المعهد العالي للفنون المسرحية

بعد انتهاء الدورة التدريبية في المعهد الإذاعي أقيمت لنا، نحن السوريين، دورة خاصة في المعهد العالي للفنون المسرحية لأنّ أعضاء فريقنا اختاروا الإخراج أو التمثيل فوجب عليهم أن يطلعوا على عالم الدراما في القاهرة بدءاً بالمعهد العالي للفنون المسرحية.. استمرت الدورة شهراً وتنوعت فيها موضوعات المحاضرات، وكان لنا شرف الاستماع إلى عمالقة المسرح المصري كالناقد الشهير دريني خشبة والممثل الكبير محمد توفيق. وكان هو أيضاً مخرجاً إذاعياً والمخرج المسرحي المعروف عبد الرحمن الخميسي والمخرج المسرحي نبيل الألفي.. واستطعنا خلال شهر أن نلم بأساسيات علم الدراما من تراجيديا وكوميديا وتفرعاتهما وأن نعرج على فن التمثيل ومدارسه المختلفة.وهكذا كانت تلك الدورة رافداً كبيراً لمعلوماتنا، وتأسيساً لمستقبلنا الفني كمخرجين وممثلين.

ويمكنني الحديث قليلاً عن المعهد العالي للفنون المسرحية الذي يخرج بعد دراسة أربع سنوات نقاداً ومخرجين وممثلين، ويعتبر صرحاً كبيراً اختصت القاهرة وتميزت به عن باقي الدول العربية. والمدرسون فيه كلهم مصريون درسوا غالباً في انكلترا ونالوا شهادات علمية متخصصة. وأغلبهم يمارس أعمالاً فنية إلى جانب التدريس في المعهد.. وقد اجتمعنا خلال وجودنا فيه بزملاء سوريين كانوا يتابعون دراستهم في المعهد. أذكر منهم السادة محمد الطيب وأسعد فضة وعلي عقلة عرسان. وقد عادوا بعد تخرجهم إلى سورية، واحتلوا مناصب عالية تتلاءم مع

دراستهم وكان أملنا أن نصل يوماً إلى مرحلة إنشاء معهد سوري مماثل لذاك الذي في مصر.. وقد تحققت الأمنية والحمد لله بعد سنوات وصار لدينا معهد للفنون المسرحية يخرج كل عام فنانين يرفدون الحركة الفنية في بلدنا الخيّر المعطاء..

بقي أن أشير قبل أن أختم حديثي عن مرحلة وجودي في القاهرة والتحاقي بالمعهد الإذاعي والمعهد العالي للفنون المسرحية إلى أسفي لضياع بعض أسماء الأساتذة الأفاضل من ذاكرتي وبالتالي تقصيري في ذكرهم، وعذري أن مرور نصف قرن من الزمن قد يبرر ذاك النسيان، لكن المهم أن المعهد الإذاعي كان معلماً حضارياً إعلامياً من معالم إذاعة القاهرة وقد أفدنا منه فائدة كبيرة حيث بدأنا مهمتنا الإعلامية الإذاعية البداية الصحيحة ولم نتخبط كما تخبط الكثيرون من الزملاء السابقين واللاحقين، الذين جذبتهم أضواء الإذاعة ومن ثم التلفزيون وجاؤوا ليبدؤوا مهامهم على قاعدة «خبص تصل».. وهم قطعاً لا يلامون، لأن ما أتيح لنا لم يتح لغيرنا فالظروف خدمتنا في فترة كانت الدولة فيها تعتمد اعتماداً كبيراً على قوة إعلامها بإشراف شخصيات هامة كانت تؤمن بدور الإعلام في بناء الدولة وتثقيف الشعب وتقديم صورة مضيئة عنا إلى الخارج، ولا بد في هذا المجال من أن أذكر وأثني على السيد الدكتور عبد القادر حاتم وزير الإعلام آنذاك الذي قاد الحركة الإعلامية في الجمهورية العربية المتحدة بنجاح، وأدارها بدراية فريدة.. ولا أنسى أنه استقبلنا في مكتبه بالقاهرة أكثر من مرة وكان يعطي تعليماته كي تيسر لنا كل الإمكانات لنفيد من فرصة وجودنا في القاهرة ونعود لإفادة إذاعة الإقليم الشمالي بدمشق.. كذلك لا أنسى الدور الكبير الذي كان يقوم به الأستاذ فؤاد الشايب مستشار وزير الإعلام لشؤون الإقليم الشمالي والمقيم في القاهرة الذي استقبلنا هو الآخر، وعمل على تلبية الكثير من مطالبنا العادلة..

الدكتور عبد القادر حاتم كان يردد أن رجل الإعلام يجب أن يكون مرتاحاً مادياً كي يستطيع العطاء.. والأستاذ فؤاد الشايب كان يردد أن وجودنا في القاهرة فرصة يجب أن نفيد منها أكبر فائدة وأن إذاعة دمشق بحاجة ماسة لنا..

في مقهى الفيشاوي بالقاهرة

ماجد اسبير - مروان عبد الحميد - فاروق حيدر - فائق مغيزيل

« إذاعة القاهرة »

كانت إذاعة القاهرة تعد الإذاعة الأولى في الوطن العربي بلا منازع، وفي الخمسينات والستينات من القرن الماضي بالتحديد كانت كل الإذاعات العربية، وهي آنذاك حكومية رسمية فقط، تحاول أن تقيم علاقات تعاون مع إذاعة القاهرة بأقسامها المختلفة، إذاعة البرنامج العام وإذاعة صوت الشعب وإذاعة البرنامج الثاني، كي تفيد من خبرة العاملين فيها وتأخذ عنهم لتحسين إذاعاتها الحكومية المحلية..

وقد كانت إذاعة البرنامج العام تبث إلى جانب الأخبار البرامج السياسية والثقافية والعلمية والاجتماعية وتوجه إلى مصر والعالم العربي.. وإذاعة صوت الشعب كانت موجهة بصورة خاصة للمحافظات والمديريات على مساحة مصر، وتبث برامج تهم فئات الشعب المختلفة من عمال وفلاحين فهي محلية خالصة.. أما إذاعة البرنامج الثاني فهي الإذاعة التي تعنى بالبرامج الثقافية والفنية ذات المستوى الموجه إلى طبقة المثقفين والمتعلمين، وتبث غالباً مسرحيات عالمية وعربية ومصرية وأعمالاً موسيقية غربية وشرقية، وهي باختصار إذاعة المثقف العربي.. وأذكر أن أسماء كبيرة كانت معروفة على مستوى الوطن العربي بكامله انطلقت من إذاعة القاهرة كالأساتذة حسني الحديدي كبير المذيعين وجلال معوض وأحمد فراج وآخرين من المذيعين وكذلك الأساتذة يوسف الحطاب رئيس دائرة التمثيليات ومحمد محمود شعبان رئيس برامج المنوعات وديمتري لوقا ومحمود يوسف وآخرين من المخرجين اللامعين..

ويمكنني القول إن إقامة الوحدة بين سورية ومصر ونشوء الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها الشمالي والجنوبي كان له التأثير الكبير والمباشر على إذاعة دمشق حيث كانت تتم المبادلة بين العاملين في كلا الإذاعتين، يأتي مذيع من إذاعة القاهرة ليعمل في إذاعة دمشق، ويذهب مذيع من إذاعة دمشق ليعمل في إذاعة القاهرة فترةً محدودة قد تمتد شهراً من الزمن وفي ذاك الاحتكاك المباشر بين العاملين الفائدة المباشرة للطرفين وتبادل الخبرة والمعلومات..

الهيئة العامة السورية للكتاب

« إذاعة دمشق »

انتهت الأشهر الستة بسرعة وعدنا إلى إذاعة دمشق وكنت أتوقع أن نستقبل استقبال الفاتحين إذ إننا أول الذين سيعملون في إذاعة دمشق مخرجين محترفين وممثلين.. لكن وصولنا إلى دمشق وتوجهنا إلى إذاعة دمشق كان للآخرين أمراً عادياً غير مهم..

وكانت أولى العقبات التي واجهتنا تعييننا في إذاعة دمشق فالأشهر الستة التي قضيناها في القاهرة كانت على حساب إذاعة القاهرة وهكذا عدونا وافدين جدداً نحتاج إلى قرار تعيين. وكان مدير الإذاعة آنذاك الأستاذ يحيى الشهابي، وكان مدير الإدارة والمالية الأستاذ تيسير الحلبي الذي بيده الحل والربط، وكان المتصدي للمشكلة من مجموعتنا الزميل فائق مغيزيل رحمه الله الذي استطاع إقناع السيد الحلبي أننا باتباعنا دورتين في القاهرة نستحق معاملة خاصة وما دام التعيين بموجب عقد سنوي يتجدد تلقائياً فإن المرتب الشهري يرجع تحديده له، وقد اقتنع السيد الحلبي وحدد لنا مرتباً شهرياً مجزياً لا أذكر مبلغه لكن بعض العاملين في إذاعة دمشق وعلى رأسهم الزميل الأستاذ فؤاد شحادة رحمه الله احتجوا على ذلك المبلغ ووجدوه كبيراً يزيد على مرتباتهم وهم الذين خدموا لسنوات عديدة قبل مجيئنا.. وبدل أن ينتظروا حصولنا على المرتب المحدد ومن ثم يطالبون بالمساواة معنا، بدل ذلك عطلوا علينا وعلى أنفسهم وخفضوا مرتباتنا إرضاء لهم.. هذه الواقعة كانت صدمة لي، لكن من عاصر الإذاعة قبلي كالزميلين فائق مغيزيل ومحمد صالحية وجدا الأمر طبيعياً.. وقد أقلقني ما حدث وصرت أقارن بينه وبين وضعي السابق في وزارة الشؤون الاجتماعية

والعمل حيث كان يسود جو من الألفة والمحبة لم ألمسه هنا في هذا الجو الجديد الذي أدخله.

بعد ذلك خير المخرجون الأربعة في العمل بين دائرة المنوعات، مخرجين للمنوعات ودائرة التمثيليات مخرجين للتمثيليات وقد اخترت وزميلي الصديق مروان عبد الحميد رحمه الله دائرة التمثيليات بينما اختار الزميلان فائق مغيزيل ومحمد صالحية رحمهما الله برامج المنوعات.

ومما أذكره أن دائرة التمثيليات كانت منفصلة عن دار الإذاعة في شارع النصر إذ إن الإذاعة لم تنتقل مباشرة إلى مبنى التلفزيون في ساحة الأمويين بل بقيت في مكانها، أقول إن دائرة التمثيليات كانت منفصلة عن دار الإذاعة وتقع في طابق أرضي لبناء سكني عادي في شارع الشهبندر تحتل نصفه وتحتل «مجلة الإذاعة السورية» نصفه الثاني وكان مديرها الأستاذ الصحافي سعيد الجزائري رحمه الله.. ووجودي مع الزميل مروان في دائرة التمثيليات جعلنا بعيدين عن جو الإذاعة العام، حيث لا نذهب إلى دار الإذاعة إلا في وقت تسجيل التمثيلية وإلى الاستديو مباشرة، لكننا كنا سعيدين ومرتاحين بهذا، فالجو في مقرنا بشارع الشهبندر جو راق لأنّ العدد قليل والجميع متفاهمون. فالأستاذ ممتاز الركابي رحمه الله كان رئيس الدائرة، وكان من الكتاب المعروفين إلى جانب بقية أعضاء الفرقة السورية من الممثلين الموظفين بعقود كالكاتب الكبير حكمت محسن المعروف بأبي رشدي، والممثل فهد الكعيكاتي المعروف بأبي فهمي، والممثل عبد السلام أبو الشامات المعروف بأبي إبراهيم، والممثل أنور البابا المعروف بأم كامل، والممثلة يسر بدران رحمهم الله، والممثل تحسين صدقي الذي كان مختصاً بالأدوار النسائية لنعومة صوته والمعروف بهدى صدقي والممثلة هدى شعراوي ولا أنسى زعيمهم الأستاذ تيسير السعدي أول مخرج في إذاعة دمشق، وكان هناك أيضاُ الأستاذ نجاح السمان الكاتب المعروف، والأستاذ وصفي المالح الكاتب والممثل ومن رواد المسرح السوري. إلى جانب ممثلين مشاهير غير موظفين كصبري عياد

ونور كيالي رحمهما الله وفاطمة الزين وأولغا غنوم، طبعاً مع الوافدين الجديدين المتعاقدين رفيق سبيعي وعبد الرحمن آل رشي.

باشرت عملي مخرج تمثيليات في إذاعة دمشق فكنت وزملائي من أوائل المخرجين العاملين بصفتهم المهنية المحددة في إذاعة دمشق حيث لم تكن مهنة الإخراج واضحة المعالم من قبل على الرغم من أن الزميل تيسير السعدي كان يخرج تمثيليات الفرقة السورية. ولأنني كنت متحمساً ولأن متعتي كانت كبيرة عندما أخرج أي عمل درامي، بدأت نشيطاً ومنتجاً جداً. ومن المفيد في البداية أن أذكر بعض الأسماء التي احتلت مناصب مهمة في الإذاعة والتي لا زالت أسماؤها الكبيرة في ذاكرتي كمدير الإذاعة الأستاذ يحيى الشهابي، وهو المذيع القدير ذو الصوت الرائع الذي أمضى مسيرته الإذاعية في العطاء ولاسيما في برنامجه الأسبوعي الشعري الذي كان يقرأ فيه عيون القصائد، فيشدو ويطرب. وقد أصبح بعد ذلك مديراً عاماً للإذاعة والتلفزيون. ثم أذكر الأستاذ نسيب الاختيار الذي كان مديراً للبرامج ومديراً لدائرة تحرير الأخبار قبل ذلك، ثم المهندس الأستاذ يحيى الزيناتي مدير الهندسة، والمذيعة السيدة عواطف الحفار إسماعيل رئيسة دائرة المذيعين، والمذيع الأستاذ فؤاد شحادة رئيس شعبة المذيعين، والمذيع الأستاذ عبد الهادي المبارك رئيس ديوان الإذاعة، والمذيع الأستاذ يوسف حيدر رئيس قسم التنسيق. ومن المفاجآت التي اكتشفتها آنذاك أن دائرة التنسيق كانت تتبع مديرية الهندسة ثم حولت بعد ذلك إلى مكانها الطبيعي ،مديرية البرامج. وباعتبار أن المذيعين والمذيعات هم نجوم الإذاعة فلا بد من أن أذكر من يحضرني من الزميلات والزملاء مثل فردوس حيدر، سكينة نعمة، نجاة الجم زميلة صاحب البرنامج ذي الشهرة والذي لا يزال اسمه حتى اليوم: «مرحباً يا صباح» للأستاذ منير الأحمد رحمه الله، إحسان المحمودي، رجاء الزين، عصام الشريف، مازن النقيب، سمير رفعت، وبعضهم لا يزال يقوم بنشاطاته الإذاعية حتى اليوم. وكذلك لا أنسى تلك الأسماء الكبيرة التي كانت تقدم برامج دائمة في الإذاعة كالأستاذ المحامي نجاة قصاب حسن وبرنامجه عن

القانون، والأستاذ صلاح دهني وبرنامجه عن السينما، والأستاذ سعيد الجزائري وبرنامجه «أدب وأدباء»، والأستاذ صدقي إسماعيل وبرنامجه «حول العالم»، وغيرهم كثيرون. فإذاعة دمشق كانت تجذب كل أصحاب الميزات والمقامات في البلد وذلك لأن التلفزيون لم يكن قد أخذ دوره بعد. وتنفرد الإذاعة بكونها المرآة الإعلامية المنيرة.. وهنا لا أنسى الدور الفني الكبير الذي قامت به إذاعة دمشق فعبد الحليم حافظ وأغنية «صافيني مرة» التي لحنها محمد الموجي انطلقت من إذاعة دمشق وأطلقت العندليب معها إلى باقي الإذاعات. وهذا ما حدث مع فايزة أحمد. أما فيروز فلها أن تفخر أنّ بدايتها كانت في إذاعة دمشق ولإذاعة دمشق أن تفخر لأنها أطلقت فيروز في سماء الفن إنتاجها، وحفظ الله القامتين الشامختين.. ولا بد من أن أذكر الاسم الذي عرف على مساحة الوطن العربي وهو سلامة الأغواني بالمونولوجات الوطنية والناقدة التي كان يطلقها..

من المهم أن اذكر هنا أن إذاعة دمشق ذاك الحين أي عام ١٩٦٠-١٩٦١ كانت تعاصر حدثين هامين أثرا على مكانتها وبرامجها تأثيراً مباشراً.. الحدث الأول هو قيام الجمهورية العربية المتحدة فكانت إذاعة دمشق إذاعة الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة وكانت تابعة لوزارة الإعلام التي مركزها في القاهرة والتي شغلها الدكتور عبد القادر حاتم وكان مستشاره لشؤون الإقليم الشمالي الأستاذ فؤاد الشايب الذي كان يقيم في القاهرة أيضاً.. وقد استفادت إذاعة دمشق من الثورة البرامجية الإذاعية التي رافقت الثورة الإعلامية الضخمة بقيادة الدكتور المبدع حاتم، وكان لنظام التبادل بين كوادر الإذاعيين الأهمية الأولى في تطور إذاعة دمشق وتقدمها فذهاب مذيعين سوريين إلى إذاعة القاهرة ومجيء مذيعين مصريين إلى إذاعة دمشق ثم التحاق الكثير من الزملاء السوريين بالدورات التدريبية التي أقيمت في القاهرة، كل ذلك ولد احتكاكاً هاماً وتواصلاً دائماً بين إذاعيي الجمهورية العربية المتحدة في دمشق والقاهرة. وعلي أن أذكر هنا وبفخر واعتزاز أن إذاعة دمشق كانت السباقة في العناية باللغة العربية حيث اشتهر مذيعوها

ومقدمو برامجها في كافة الوطن العربي بتفوقهم في قواعد اللغة العربية وبعدهم عن اللحن والأخطاء النحوية.. وعلى الرغم من أن الأخوة المصريين يصعب عليهم أن يعترفوا بتفوق أحد عليهم كانوا يعترفون بتفوقنا في هذا الميدان.. وقد كان تبادل المذيعين أنجح أنواع التبادل حيث كان المستمع العربي يطرب لانطلاق صوت سوري من إذاعة القاهرة، كما يطرب لانطلاق صوت مصري من إذاعة دمشق. وكان التبادل يشمل الجميع مع التركيز على مذيعي الصف الأول. ومن القصص الطريفة التي حدثونا بها في أثناء وجودنا في القاهرة ندب الزميل الأستاذ عادل خياطة للعمل في إذاعة القاهرة ضمن برنامج تبادل المذيعين، والمعروف عن الزميل عادل أنه عندما يتحدث يتأتئ وينأنئ.. بحيث لا يمكن أن يصدق إنسان أن هذا الشخص يمكن أن يكون مذيعاً ومذيعاً مجيداً.. لكنه ويشهد جميع من عرفه وسمعه عندما يجلس وراء المايكروفون يصبح مذيعاً دون أي تأتأة ونأنأة وما كان مذيعاً عادياً بل مذيعاً جيداً بامتياز.. وصل عادل إلى إذاعة القاهرة وقصد السيد مدير الإذاعة وقدم نفسه له وكان المفروض أن يقرأ نشرة أخبار الثانية والنصف ظهراً وهي أهم نشرة إخبارية في إذاعة القاهرة.. السيد مدير الإذاعة لم يصدق أن هذا الشاب الواقف أمامه يتحدث معه بتأتأة هو نفسه المذيع المجيد الذي أرسلوه من إذاعة دمشق ووصفوه بأنه الأفضل. كان موقف المدير محرجاً إذ لم يجرؤ أن يسأل عادل كيف سيقرأ الأخبار وهو يتحدث هكذا بتأتأة، كما أنه لم يجرؤ أن يطلب من رئيس دائرة مذيعي إذاعة القاهرة أن يستبدلوه بمذيع مصري، لكنه بعد أن رحب به وودعه هرع إلى الهاتف واتصل برئيس دائرة مذيعيه ولا أذكر من كان رئيس الدائرة، ربما كان حسني الحديدي أو جلال معوض.. المهم أن رئيس الدائرة ضحك وطمأن السيد مدير الإذاعة بأن عادل خياطة سوف يقرأ النشرة الإخبارية الرئيسية ويبدع فيها مؤكداً له ذلك لأنه على اطلاع بأمره منذ ندب إلى دمشق وتعرف إلى عادل. ويقال إن مدير الإذاعة أمضى ما تبقى من وقت حتى موعد نشرة الثانية والنصف ظهراً بحالة لا تسر من القلق والعصبية لكنه ما أن بدأ عادل

قراءة النشرة أحس بارتياح شديد وانطلق ليهنئ القارئ المجيد بعد إنهائه النشرة. رحم الله عادل خياطة كان مذيعاً مجيداً ثم أصبح بعد ذلك مخرجاً تلفزيونياً ناجحاً ومات في ذروة عطائه ربما لأنه لم يكن يعتني بصحته وبحياته اليومية القائمة على الفوضى واللامبالاة.

ومن الجدير بالذكر أيضاً في مجال حديثنا عن تبادل المذيعين بين الإذاعة في الإقليمين الشمالي والجنوبي عمل المذيعة المصرية السيدة سعاد حسن الدائم في إذاعة دمشق لأن زوجها منتدب من الإقليم الجنوبي ويعمل في الإقليم الشمالي. وقد كان المستمعون السوريون يطربون لصوتها الرقيق ولإلقائها الجميل، وكانوا يرسمون في خيالهم صورة الفتاة الهيفاء الرائعة الجمال بما يتناسب مع جمال صوتها، ولكن عندما يصادفها أحد المستمعين كان يفاجأ أنّها مع احترامي سيدة تغلب عليها السمنة وتختلف عما رسموه في خيالهم. وهذه نقطة تسجل لصالح الإذاعة حيث لا تفرض الصورة فرضاً كما في التلفزيون والسينما والمسرح، ولا تحرم المستمع من تخيل الصورة التي يوحي بها الصوت وطريقة الإلقاء ويبقى سعيداً بخياله راضياً به وفي نفس الوقت مشاركاً في الإبداع والتخيل.

أعود إلى الحدثين الهامين اللذين كانت تعيشهما إذاعة دمشق في الفترة التي التحقت بالعمل فيها فإلى جانب الحدث الأول الهام والذي هو - كما سبق وذكرت- قيام الجمهورية العربية المتحدة بوحدة مصر وسورية، كان الحدث الثاني الهام أيضاً هو إنشاء التلفزيون العربي حيث أثر تأثيراً مباشراً على إذاعة دمشق في محورين مختلفين إيجاباً وسلباً.

فالتلفزيون سحب كبار مذيعي إذاعة دمشق كعادل خياطة وخلدون المالح وعبد الهادي البكار ومروان شاهين وسامي جانو وسهيل الصغير وربما غيرهم ممن لا أذكرهم فحرم إذاعة دمشق منهم. وهذه خصوصية سلبية على الرغم من أن مذيعين مجيدين بقوا في الإذاعة ووفد مذيعون جدد أيضاً ساعدوا في تلافي النقص.

من ناحية أخرى انتصب فجأة عملاق يسمى التلفزيون أمام الإذاعة مما جعلها تتصدى له عن طريق تحسين وتطوير برامجها وعلى الرغم من أن برامج التلفزيون لم تتعد الساعات الثلاث يومياً فالمناسبة باتت كبيرة وواضحة وكان على الإذاعة أن تمنع ذاك القادم الجديد من أن يسحب البساط من تحتها.. فكانت معركة تحد استطاعت الإذاعة أن تبقى صامدة فيها وكان ذلك من طبيعة الأشياء لمدى أهمية الإذاعة ووظيفتها الإعلامية، على الرغم من أن التلفزيون بدأ كظاهرة جديدة ترنو إليها الأعين وتهفو لها القلوب.

لقد كان لإذاعة دمشق شخصيتها الفريدة وطابعها المميز، وهي تعتبر من أوائل الإذاعات العربية، إذ كانت هناك إذاعة القاهرة وإذاعة الشرق الأدنى التي عُرفت فيما بعد باسمها الحقيقي الـــ BBC. واستطاعت إذاعة دمشق أن تفرض وجودها بميزات هامة منها تمثيليات الفرقة السورية لحكمت محسن وتيسير السعدي، ومنها أولئك المطربون الكبار كنجيب السراج ورفيق شكري.. وكان من مفاخر إذاعة دمشق تمتعها بالمركز الأول على مستوى الإلقاء واللغة العربية - كما سبق وذكرت - مع مذيعين عمالقة كعصام حماد وفاطمة البديري ويوسف الخطيب وتوفيق حسن وغيرهم.

وعلى الرغم من أن الجمهورية العربية المتحدة لم تدم طويلاً إذ حدث الانفصال في الثامن والعشرين من إيلول سبتمبر عام ١٩٦١ بقيام انقلاب عسكري قاده بعض ضباط الجيش السوري، لكن تأثير السنوات الثلاث من الوحدة كان كبيراً وإيجابياً على إذاعة دمشق فأفادت من توأمتها مع إذاعة القاهرة واستمرت سنوات تنهل من عطاءات أولئك الإذاعيين السوريين سعيدي الحظ الذين أتيح لهم أن يتدربوا أو يتعلموا ويحتكوا مع الإذاعيين المصريين. لكن حدوث الانفصال وبعدنا عن الإعلام العلمي والمدروس الذي كان يعنى به مسؤولو الجمهورية العربية المتحدة انعكس سلباً على إعلامنا الذي اهتم بالمهاترات أكثر من اهتمامه ببناء الإنسان الإعلامي العلمي وبإيجاد كوادر بشرية يمكن أن تواصل المشوار. كان الانفصال خسارة للأمة العربية كلها وليس فقط لسورية وبالذات لإذاعة وتلفزيون دمشق.

بعد حدوث الانفصال تغيرت الوجوه القيادية في الإذاعة والتلفزيون.. فقد عين الكاتب الروائي الدكتور شكيب الجابري مديراً عاماً للإذاعة والتلفزيون، كما عين الأستاذ صبحي المحاسب مديراً لبرامج الإذاعة وكان يقدم برنامج الموسيقى الكلاسيكية فيها، وعين الأستاذ محمد شاهين مدير المسرح العسكري مديراً للتلفزيون. وغابت الأسماء الكبيرة كالأستاذ يحيى الشهابي والدكتور صباح قباني. ولكن وللحق أقول إن الأستاذ صبحي المحاسب أبلى بلاء حسناً في برامج الإذاعة حيث أوجد حركة وعدّل وغيّر وأحدث الكثير من البرامج ذات الأفكار الجديدة.

ومما يذكر في خضم هذه التغيرات أن لافتة كبيرة كتبت بالخط العريض: «إذاعة الجمهورية العربية السورية» ووضعت مقابل كرسي مذيع الهواء وقارئ نشرة الأخبار دفعاً للالتباس وخشية أن يخطئ المذيع فيقول: «إذاعة الجمهورية العربية المتحدة» كما اعتاد أن يقول.

ومعلوم أن العاملين في الإذاعة والتلفزيون يبقى ولاؤهم لعملهم، ولا يتأثرون كثيراً بتغير القيادات ما داموا ينفذون سياسة الدولة، ومع ذلك يمكن لنا أن نتصور حالة المذيع الذي عليه أن يذيع مالا يؤمن به ويصبح بوق من لا يوافق على وجوده أصلاً. وكذلك حالة المخرج الذي عليه أن يخرج أعمالاً تنافي مبادئه وميوله، وقبل هذا وذاك: الكاتب الذي عليه أن يغير لون قلمه ويكتب باللون المفروض عليه. وعلى الرغم من أن بلدنا سورية قد تعرضت لعدة انقلابات عسكرية قبل قيام الوحدة مع مصر بحيث اعتاد العاملون على تغيير اللون، إلا أن انقلاب الانفصال كان شيئاً آخر. كان زلزالاً طال كل شيء وتحولاً كبيراً أحال الفعال البيض إلى سود. المهم أن الإذاعة التي لا زالت موجودة في شارع النصر بعيداً عن بناء التلفزيون في ساحة الأمويين، أصبحت تحت الحراسة العسكرية وأصبح دخول العاملين إليها يحتاج لإذن من حفنة من الضباط الشبان الذين يحق لهم أن يرفضوا أو يوافقوا، وعند الموافقة يخضع الداخل إلى مكان عمله لتفتيش دقيق.

ولا بد هنا من أن أشير إلى حادثة بسيطة كانوا يروونها لي كطرفة، ويؤكد بعضهم أنها حدثت فعلاً. وأنا أذكرها الآن كمجرد طرفة فقط ولا أؤكد على حدوثها لأنها نقلت إلي ضمن عنعنة، عن فلان وعن فلان، وفي هذا ما يقلل من صدقها.. المهم قيل إن السيد الذي عين مديراً عاماً للإذاعة والتلفزيون بعد انقلاب الانفصال مباشرة، كان صباحاً يحلق ذقنه في بيته وهو يستمع إلى إذاعة دمشق وبعد أن انتهى من حلاقة نصف ذقنه انتفض لشيء ما سمعه في الإذاعة وانطلق ونصف ذقنه الآخر مليء بالصابون ليلقي بنفسه في سيارته حيث السائق كان ينتظر ويأمره بالانطلاق إلى الإذاعة وبسرعة وعندما وصل قفز السلالم قفزاً وهو يصرخ من المسؤول عن الفترة؟ وأين هو؟ ولما وصل إليه قال له: كيف تجرؤ على وضع أغنية تشيد بعبد الناصر؟ أجاب المسؤول: لم يحدث هذا. قال الدكتور بغضب: بل حدث وأنا سمعتها بأذني.. ما هي الأغنية التي أذيعت منذ قليل؟ أرني البرنامج.. وكانت الأغنية «تحت القناطر محبوبي ناطر» لكن السيد المدير العام سمعها : «محبوبي ناصر». إلى هنا وتنتهي الطرفة لكنها تدل على مدى الأزمة التي كان الوضع الجديد يعيشها في دمشق.

وأذكر في تلك الفترة المضطربة أن الأستاذ محمد شاهين مدير التلفزيون الجديد وهو أخو زميلي مروان عبد الحميد، رشحني لبعثة إلى ألمانيا لدراسة الإخراج التلفزيوني ولم يرشح أخاه خوفاً من الأقاويل، ولكن في اللحظات الأخيرة بدل اسمي باسم الزميل رياض دياربكرلي ولم أعرف لماذا.

لأعد إلى مواصلة حديثي عن إذاعة دمشق التي كانت تبث برامجها من السادسة صباحاً حتى الواحدة من صباح اليوم التالي، معتمدة على برامج ثقافية وترفيهية إلى جانب السياسة، وسأحاول هنا استعراض البرامج الخاصة بالعام ١٩٦٢ والتي نشرت في مجلة «هنا دمشق» لدى عرضها لبرامج الإذاعة لشهر شباط / فبراير ١٩٦٢:

برنامج الأطفال وكان يقدمه الشاعر الفلسطيني الكبير الأستاذ عبد الكريم الكرمي المعروف بأبي سلمى ثم قدمه الأستاذ محمد شيرازي ثم أصبح الأستاذ نادر قباني مسؤولاً عنه.

برنامج «ألوان» للصحافي الأستاذ عادل أبو شنب.

برنامج «من موسيقى الشعوب» للمذيعة السيدة إحسان المحمودي.

برنامج «فكر معنا» للمذيع الأستاذ فؤاد شحادة.

برنامج «وراء القبضان» للمذيع الأستاذ مازن النقيب.

برنامج "ركن الفنون" للأستاذ الفنان عفيف بهنسي.

برنامج «ركن المرأة» للآنسة سهام ترجمان.

برنامج «حكاية أغنية» للأستاذ مصطفى هلال.

برنامج «مع الجامعيين» للمذيع الأستاذ يوسف حيدر.

زاوية «قرأت لك» للشاعرة السيدة عزيزة هارون.

برنامج «في أجواء الموسيقى العالمية» من إعداد الأستاذ صميم الشريف وتقديم المذيع الأستاذ عادل خياطة.

برنامج «نغم وفكرة» للمذيع الأستاذ عادل خياطة

برنامج «ندوة الأسبوع» للمذيع الأستاذ مروان شاهين.

برنامج «ضيف الإذاعة» للمذيع الأستاذ عبد الهادي المبارك.

برنامج «من هنا وهناك» للمذيعة الآنسة امتثال السمان.

برنامج «حكايات وألحان» للمذيعة الآنسة فردوس حيدر.

برنامج «أنباء العلم» للأستاذ حسن بحبوح.

برنامج «شريط الأنباء» للمذيع الأستاذ عصام الشريف.

برنامج «حول العالم» يكتبه الأستاذ صدقي إسماعيل وتقدمه زوجته المذيعة السيدة عواطف الحفار إسماعيل.

برنامج «مع الناس» للمذيع الأستاذ فؤاد شحادة.

برنامج «أخبار غير سياسية» للأستاذ مصطفى الغراوي.

برنامج «أنا الشعب» للمذيع الأستاذ عادل خياطة.

برنامج «فنان وألحان» للمخرج الأستاذ فائق مغيزيل.

برنامج «ركن العمال» للمذيع الأستاذ يوسف حيدر.

برنامج «أدب وأدباء» للصحافي والأديب الأستاذ سعيد الجزائري.

برنامج "ركن الرياضة» للأستاذ عدنان بوظو.

برنامج «ركن الطلبة» للأستاذ سامي جانو.

برنامج «في روضة الشعر العربي» للمذيع الأستاذ يحيى الشهابي.

برنامج «بريد المستمعين» للمذيعة الآنسة سكينة نعمة.

برنامج «ركن السياحة» للأستاذ ناجي مشوح.

برنامج «فيلم الأسبوع» للأستاذ مصطفى كمال جابر.

برنامج «إذاعة خارجية» للأستاذ هشام العجة وتقدمه المذيعة السيدة إحسان محمودي.

ثم تبقى التمثيليات حيث اشترك في تلك الفترة من كتاب التمثيليات الإذاعية الأساتذة: ممتاز الركابي، نجاح السمان، حكمت محسن، وليد مدفعي، عادل أبو شنب، أحمد الجندي، محي الدين القابسي، عدنان جبري، عبد الهادي الدركزلي، مصطفى الغراوي، خليل هنداوي، أديب السيد، وليد ماردیني.

والجدير ذكره أن صفحات عرض البرامج في مجلة "هنا دمشق" والتي تستعرض التمثيليات وكان عددها وافراً لا تذكر اسم المخرج لأن فكرة وجود مخرج محترف متفرغ لم تكن معروفة من قبل ومن ثم لم يعتادوا عليها على الرغم من تواجد المخرجين.

وأشير إلى أسماء بعض المطربين والمطربات المحليين الذين وردت أغنيات لهم: عدنان صادق، ياسين محمود، تحسين جبري، رفيق شكري، نجيب السراج، مصطفى فؤاد، كروان، فهد بلان، نجاح سلام، صابر الصفح، سحر، عصام بشير، مصطفى كريدية، مها الجابري، سعاد محمد، ماري جبران، عدنان راضي، زكية حمدان.

ولا ننسى الموسيقيين سليم سروة، عدنان قريش، وأمير البزق محمد عبد الكريم، بدر الدين حلبية، صبحي سعيد، حسن الدركزلي، عبد الفتاح سكر، سهيل عرفة.

وكانت إذاعة حلب تقدم برنامجاً يدوم نصف ساعة من الرابعة وحتى الرابعة والنصف بعد ظهر كل يوم، وبرنامجاً من التاسعة وخمس وأربعين دقيقة وحتى العاشرة والنصف مساء كل يوم.

كذلك كانت إذاعة دمشق تخصص الساعة الأخيرة من برامجها من الساعة الرابعة والعشرين في منتصف كلّ ليلة وحتى الساعة الواحدة صباحاً لبرامج موجهة إلى المغرب العربي.. وبعد استراحة نصف ساعة تبدأ في الواحدة والنصف صباحاً البرامج الموجهة إلى المغتربين العرب في أمريكا الجنوبية باللغتين العربية والإسبانية وتنتهي في الثالثة صباحاً. تبقى البرامج الإضافية على موجة أخرى غير موجة البرنامج العام حيث كان هناك برنامج الموسيقى الكلاسيكية من السادسة حتى السابعة صباحاً، ثم البرنامج الإنكليزي الصباحي من السابعة حتى الثامنة صباحاً والمسائي من الثامنة وحتى التاسعة مساءً، ثم البرنامج الفرنسي الصباحي من الثامنة وحتى التاسعة صباحاً، والمسائي من التاسعة وحتى العاشرة مساء، وهناك ركن الموسيقى الراقصة من السادسة حتى السابعة مساء، إلى جانب طلبات المستمعين بالإنكليزية والفرنسية. وإلى جانب كل تلك البرامج الموجهة يبقى أن أذكر ذلك الإنجاز الكبير الذي سمي "بالبرنامج الثاني" وكان يذاع يومياً من التاسعة وحتى الثانية عشرة ليلاً ويشمل: الموسيقى الكلاسيكية والمسرحيات العالمية والشعر والموسيقى من العالم، ومن أساطير

الشرق والغرب، ومن قصص العالم. وقد سمي بالبرنامج الثاني لأنه موجه للمثقفين وبمستوى أعلى من مستوى البرنامج العام.

لقد تعمدت ذكر برامج إذاعة دمشق آنذاك بالتفصيل لأبين مدى تقدم الإذاعة واتساعها وغنى محتوى برامجها، فلا عجب بعد ذلك أن تعد من كبريات إذاعات الوطن العربي في فترة هامة عاصرت انطلاقة ثورية في كافة المجالات وجاءت نتيجة قيام الجمهورية العربية المتحدة والتوأمة الفعلية التي قامت بين إذاعة دمشق وإذاعة القاهرة.

كما توقعت منذ البداية كانت متعتي كبيرة وأنا أمارس عملية إخراج التمثيليات والبرامج الإذاعية، وكانت تلك المتعة تصل ذروتها عندما أنهي العمل الذي أقوم بإخراجه وأشعر أن ابناً جديداً عزيزاً علي قد أصبح على شكل برنامج أو تمثيلية مسجلة على الشريط المغناطيسي الخاص بالإذاعة، ذاك الشعور اللذيذ لعملية الخلق والإبداع لا يعادله شعور آخر، وعلى الرغم من أن القيام بدور القائد في العمل الفني ليس أمراً سهلاً فقد كنت أجده يتلاءم مع ميولي وإمكاناتي الفنية والثقافية والإنسانية.

قمت بإخراج الكثير من التمثيليات لكتاب مختلفين، قمت كذلك بكتابة تمثيليات وإعداد أخرى ومن ثم إخراجها، وقد كانت متعتي تزداد عندما أقوم بإخراج عمل كتبته بنفسي. ومن الأعمال التي لا أزال أذكرها برنامج أسبوعي مدته ساعة كاملة بعنوان «من روائع المسرح العالمي»، كنت أعد فيه مسرحيات عالمية معروفة وأخرجها. وكذلك أخرجت برنامج «أعلام الإسلام» الأسبوعي الذي اشتهر في إذاعة دمشق وكان يكتبه الزميل المذيع مروان شيخو رحمه الله. وأذكر أيضاً أنني قدمت برنامج مسابقات في شهر من شهور رمضان المبارك كنت كتبته وأخرجته أيضاً. كذلك أخرجت برنامجاً يومياً صباحياً بعنوان «صباح النور» كتبه الصحافي عدنان مراد وكان في شكل حواريات بين رفيق السبيعي وهدى شعراوي وقد نال استحساناً من المستمعين. كذلك أخرجت برنامج «من كل أديب قصة» كتبه

الأستاذ محي الدين القابسي وقد كان من البرامج الإذاعية الناجحة أيضاً. ولا أنسى برنامج «من بيوت الناس» اليومي الذي كان يكتبه المحامي الأستاذ عبد الهادي الدركزلي، وكان يقوم بالجانب الهندسي من عملية الإخراج، أي التسجيل والمونتاج كل من الزميلين محمد خير مشمش وبشير زرزور.

ولابد من أن أذكر هنا أني تابعت دراستي الجامعية وحصلت على الإجازة في الحقوق، فكان علي أن أعدل وضعي الوظيفي، فدخلت مسابقة للمذيعين أقامتها إذاعة دمشق عام ١٩٦٢ ونجحت وأصبحت مذيعاً على الرغم من استمراري في الإخراج. وعدل وضعي وأصبحت موظفاً يحمل الإجازة الجامعية. وفي الحقيقة لم أكن متحمساً لأن أصبح مذيعاً بعد تجربتي مع الإخراج لكنني لم أمانع أن أبدأ في عملي كمذيع. ومما أذكره أنني كغيري من المذيعين الجدد لم يتح لي أن أتكلم أمام المايكروفون على الهواء، بل كان علي أن أداوم بالحضور إلى الاستديو، أستديو الهواء، والبقاء فيه ساعات عملي اليومية التي كانت أربع ساعات متواصلة كي أعايش جو الاستديو وأتعلم من الزملاء القدماء طريقة الإلقاء والتعامل مع المايكروفون والاعتياد على مواجهة الهواء مباشرة دون تسجيل مسبق.

وأذكر أنني فوجئت يوماً بجدول الدوام الأسبوعي وقد وضع اسمي في الفترة الصباحية وكان الأستاذ المرحوم فؤاد شحادة مولجاً بهذا الأمر فجئته أناقشه عن سبب تعذيبه لي في مجيئي صباحاً باكراً ما دمت لن أتكلم بحيث يمكن أن يكون دوامي في أي وقت غير الصباح الباكر، لكنه أصر على موقفه قائلاً إن علي الاعتياد على الدوام في كل الفترات. في ذاك الوقت شعرت أنه يظلمني فثرت ولجأت إلى الأمير المرحوم يحيى الشهابي مدير الإذاعة، وكنا ندعوه رحمه الله الأمير لأنه كان فعلاً من الأمراء الشهابيين، وأعلمته أنني أفضل أن أعود إلى عملي السابق في الإخراج، وأن دخولي مسابقة المذيعين كانت فقط بغية تعديل وضعي الوظيفي فوافق، وكان قلما يرفض طلباً، وأصبحت المخرج المسمى مذيعاً.. المهم أنني بعد فترة شعرت أنّ الأستاذ فؤاد شحادة لم يكن ظالماً بل الحق معه فيما فعله، فمن البديهي أن

أداوم في كل الفترات، كغيري من المذيعين. لكن أعترف الآن، وبشيء من الخجل، أن سلوكي الوظيفي لم يكن عادياً، كنت أعتقد أنني وقد جئت من إذاعة القاهرة فاتحاً ثم حصلت على الشهادة الجامعية، أنني أكبر منزلة من الآخرين ويجب أن يكون التعامل معي على هذا الأساس، ولحسن حظي بدأ ذاك الاعتقاد بالتراجع والتضاؤل كي أتصرف بالشكل الصحيح كباقي خلق الله من الإذاعيين الزملاء.

في استديو إذاعة دمشق

أذكر المسابقة التي أجراها التلفزيون العربي السوري في أواخر عام ١٩٦٢ لاختيار مخرجين تلفزيونيين، وقد دخلتها ونجحت في الامتحان التحريري وكان السؤال عن ذكر بداية حكاية، حيث يخرج الأب من أحد المحلات وهو يحمل بعض الهدايا لابنته الصغيرة التي تنتظره على الرصيف المقابل، وعندما ترى أباها تقفز نحوه مجتازة الشارع في الوقت الذي تندفع سيارة بجنون. ويتوقف السؤال هنا ليطلب من كل من المشتركين في الاختبار أن يكتب سيناريو كما يتخيله عن الحكاية ويحاول إنهاءها. وفي الاختبار الشفهي جاء دوري أمام المخرج الأستاذ خالد حمادة الذي درس الإخراج السينمائي في أمريكا وعين في التلفزيون السوري.

وقد سألني الأستاذ حمادة أن أذكر له اسم مخرج أجنبي أُعجبت به، فذكرت اسم المخرج هيتشكوك لكنني فوجئت بالأستاذ حمادة يقول لي: هيتشكوك ليس مخرجاً فهو يعتمد على التكنيك وليس على الخلق والإبداع، وأبديت احتجاجي فكان أن رسبت في الامتحان. لكنني ولغضبي الشديد سربت لأحد المحررين الصحفيين الذين يكتبون للإذاعة أن الأستاذ خالد حمادة رفض اعتبار المخرج ألفريد هيتشكوك مخرجاً وأصر على أنه لا يعتمد على الخلق والإبداع بل على التكنيك. وظهر النبأ في إحدى الصحف المحلية في اليوم التالي لكنه مر مرور الكرام، وبقي الأستاذ حمادة مخرجاً كبيراً وبقيت أنا راسباً في المسابقة.

وكان الزميل الأستاذ عادل خياطة رحمه الله يلح علي بضرورة أن أصبح مذيعاً تلفزيونياً، قائلاً إن شكلي يساعد جداً، لكنني كنت أتردد مخافة إغضاب والدي رحمه الله الذي لم يكن مرتاحاً لوجودي وأخي يوسف في الإذاعة، فكيف إذا أصبحت في التلفزيون؟ واقتنعت ببقائي في الإذاعة ولا سيما أني أعشقها وأفضلها على التلفزيون.

لم يطل زمن الانفصال فقد جاءت ثورة الثامن من آذار لعام ١٩٦٣ بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي، وسعدت الجماهير لاعتقادها أن قيامها

إنما هو توطئة لإعادة الوحدة بين سورية ومصر، فمبادئ الحزب تدعو أول ما تدعو إلى الوحدة، والمسؤولون يصرحون بضرورة إقامة الوحدة من جديد، لكن المحاولات لم تنجح.

تسلم ضابط شاب حراسة الإذاعة والتلفزيون وأصبح الآمر الناهي لكل ما يجري في الإذاعة والتلفزيون، على الرغم من وجود وزير الإعلام، وعلى الرغم من وجود مديري الإذاعة والتلفزيون. كان إنساناً مدفوعاً لشن حملة لا مبرر لها على كل من سمع أنه ذو ميول «ناصرية»، فصار يصدر قوائم بأسماء موظفين يمنع دخولهم مبنى التلفزيون في ساحة الأمويين ومبنى الإذاعة في شارع النصر. وينشر جواً من الهلع والرعب لا يتناسب مع طبيعة عمل موظفي الإذاعة والتلفزيون، ناهيك عن الظلم وإلحاق الهوان بإنسان ما لمجرد أن أحدهم قال عنه إنه ناصري الميول.

صدرت القائمة الأولى من «الناصريين» وقد ورد فيها اسم المذيع فؤاد شحادة والمذيع عبد الهادي المبارك والمذيع يوسف حيدر مع آخرين وبينهم بعض الأذنة وموظف الهاتف وسائق سيارة.

كنت حزيناً لما يجري دون أن أتصور أن الأمور ستتطور وسيصلني الدور. كنت كلفت بإخراج برنامج يومي باللغة العامية اسمه «في بيوت الناس» يكتبه المحامي الأستاذ عبد الهادي الدركزللي، وكان البرنامج مكرساً للهجوم على جمال عبد الناصر، كنت، ولا أزال، أؤمن بأنه الزعيم العربي الذي استطاع أن يكسب تأييد الشارع العربي من المحيط إلى الخليج وأن يتعب الأعداء فيحسبوا له ألف حساب. حاولت الاعتذار عن إخراجه ولكن.. من يجرؤ على الوقوف أمام جبروت ذاك المهيمن؟ توصلت أخيراً إلى حل وسط يحترم مشاعري ويحميني من أي ردود فعل هوجاء إذ عمدت إلى عدم ذكر اسمي كمخرج في مقدمة البرنامج ونهايته. ويبدو أن الآمر الناهي تنبه لهذا، أو نبهه أحد أبناء الحلال - وهم كثر في ذاك الجو المحموم المشحون - فتساءل

عن السبب، ولحسن حظي لم يطلب مقابلتي، بل وضع اسمي في القائمة الثانية التي صدرت في الثالث من كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٦٣ بمنعي من دخول المبنى، وبكلمات أخرى بتوقيفي عن العمل. وفي ٢١ آذار من عام ١٩٦٤ صدر القرار الوزاري الموقع من وزير الإعلام بتسريحي وكل من ورد اسمه في القوائم وإنهاء العقد القائم بينهم وبين الإذاعة والتلفزيون. كان ذلك في عام ١٩٦٤ وكانت تلك القوائم تعمم بحيث يمنع توظيف من فيها في دوائر الدولة كما يمنع خروجهم من القطر، وذلك ما كنا نسميه «الموت البطيء»، إذ لا عمل ولا خروج، بل قطع أرزاق وولدنة حلال. ولنتصور أوضاع أصحاب العائلات وكيف سيتدبرون أمورهم، ولا بد من أن أذكر هنا أنني ثرت كثيراً، واتهمت ذاك الآمر الناهي في الإذاعة والتلفزيون بالتخريب والإساءة إلى الحزب الذي نحترمه ونحبه، لكن لم أجد أذناً صاغية، وربما كان ذاك الرجل يخيف الجميع آنذاك على الرغم من أن تصرفاته لم تكن تنم عن رجولة أو وطنية، فمن باب «شر البلية ما يضحك» أذكر أنه منع إذاعة اسمي على البرامج التي كنت أخرجتها ويعاد بثها، وأذكر بالتحديد برنامج «أعلام الإسلام» الذي نال شهرة وشعبية، فكانت الإذاعة تعيد إذاعة الحلقات القديمة منه ولفت انتباهي أن شارة البرنامج التي عليها: اسم البرنامج واسم كاتبه واسم مخرجه، وكانت بصوت الزميل الأستاذ خلدون المالح، قد حذف منها اسم المخرج بحيث باتت تقتصر على اسم البرنامج واسم كاتبه ثم تقطع بشكل مفاجئ وغير فني، وقبل أن ينهي مذيع الشارة كلامه وكأن الشارة تحدث بنفسها وتقول للمستمع: انتبه هنا حذف اسم المخرج! ألست مصيباً عندما قلت «وشر البلية ما يضحك»؟ هذه التسجيلات لا تزال موجودة في مكتبة الإذاعة كذكرى لتلك الفترة المشؤومة من تاريخ إذاعة دمشق.

استطاع بعض الزملاء المسرحين الهروب إلى القاهرة عن طريق بيروت، وقد وجهت لأخي وإليّ دعوات للحاق بهم، لكننا رفضنا واتفقنا على أن الذهاب إلى مصر لمهاجمة سورية أمر لا يمكن أن نقبله. ثم وبرعاية الله

استطاع أخي يوسف الذهاب إلى الكويت والعمل في إذاعتها.وبقيت في دمشق علَني أستطيع العودة إلى عملي الفني الذي لا علاقة له بالسياسة. فقد كنت بعيداً عن السياسة بشكل عام ولا أعتقد أن حب الوطن والدفاع عن مصلحته سياسة، ما دمت لم أنضوِ تحت لواء أي فريق سياسي ولم أقم بأي عمل عدائي للسلطة.

كان أصدقائي خير عون لي في تلك المحنة، وكنت أستدين منهم كي لا أمد يدي إلى والدي الحبيب الموظف الذي يكاد يعيش والعائلة من راتبه بكرامة. وكان صديق رائع لي هو الأستاذ ماجد عزو الرحيباني رحمه الله قد ساعدني وأخي يوسف بالحصول على تعويضاتنا من مؤسسة التأمينات الاجتماعية التي كان يحتل فيها منصباً هاماً، وكان في ذاك المبلغ إنقاذ كبير لنا في ذاك الحين.

جاءني يوماً صديق عزيز لا أريد أن أذكر اسمه حتى لا أحرجه يزف إلي نبأ قبول أحد المسؤولين آنذاك استقبالي، لعرض وضعي عليه، علّه يساعدني بالعودة إلى عملي. لم أكن متحمساً بقدر ما كنت خائفاً لكن الصديق العزيز أكد أنه سيكون معي، وأن الرجل الذي تمتُّ زوجته بقرابة إليه سيكون لطيفاً معي. و ذهبت وإياه، وبعد انتظار وانتظار استقبلنا الرجل بأنف مرفوع جداً، وبنظرات ازدراء نحو ذاك «الناصري» الذي طرده البطل الهمام. ويبدو أن صديقي قد فوجئ بموقفه فلم يجرؤ على التكلم.. انتظرنا أن يبدأ بالكلام بعد أن تفضل وأشار لنا بالجلوس، نظر إلي وقال: «أنت الناصري؟ أنا لا أفهم ماذا تريدون أيها الشباب وماذا يجذبكم لذلك الرجل الخائن الذي يتصل بإسرائيل سراً؟ نعم.. نعم.. لدي معلومات وإثباتات تؤكد اتصاله سراً بقادة إسرائيل، وأنتم تعتبرونه مخلص الأمة العربية..» قال تلك الكلمات بسرعة وبنزق واضح ثم حدق فيّ جيداً وقال: «ما تقول؟».. ولا أدري من أين أتتني الجرأة فقلت: «لا يمكن أن يكون جمال عبد الناصر خائناً». طار صواب الرجل ونظر إلى قريبه، صديقي، وقال له: «أترى؟ لم جئت به؟ هل تريدني أن أطلب إعادته وهو بهذه الرأس الناشفة؟» وخشي صديقي أن أجيب فنظر

إلي وفي عينيه ألف رجاء ألا أتكلم، ثم تابع ذاك الرجل: «أنا آسف لا مكان لمثل هؤلاء عندي».. فوقفنا، صديقي وأنا، معاً وقال باقتضاب: مع السلامة. خرجنا وأنا غير مصدق أننا خرجنا بسلام وكذلك صديقي. نظرت إليه وقلت له معتذراً: «أنا آسف.. ما كنت أريد أن أعرضك لذاك الموقف، وتذكر أنني لم أطلب منك أن تقوم بما قمت به، كنت كريماً وعرضت خدمتك..» قال صديقي، رعاه الله وحفظه: «علي أنا أن أعتذر منك. ما كنت أتصور أن ينعت عبد الناصر بالخيانة، الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية..» قلت له: «لم أستطع أن ألجم لساني..» قال لي: «بوركت يا صديقي، ولو لم تقل ما قلت لقلته أنا، لقد تبين لي اليوم بالذات أن هذا الرجل شخص..!!». وتمر أيام قليلة، وأفاجأ بأن ذاك الذي اتهم عبد الناصر بالخيانة، يذهب إلى القاهرة ضمن وفد رسمي للتفاوض مع عبد الناصر!

أتوقف الآن لأتساءل: هل لما قلته علاقة بما أكتبه من مذكراتي مع المايكروفون؟ وهل كان عليّ أن أقفز فلا أذكر شيئاً عن تلك المرحلة البائسة من حياتي؟.. وأجيب مباشرة ودون تردد: لا بد من أن أذكر كل ما ذكرت لأن فيما ذكرته جزءاً من مذكراتي مع المايكروفون، إذ لولا ذاك الذي أعشق لما حدث كل ما حدث معي. لو كنت موظفاً عادياً في دائرة حكومية لما حدث معي شيء مما حدث. إذن فليأذن لي قارئي العزيز وليتركني أتحدث بحرية عن مسيرة قاربت النصف قرن من الزمن بكل ما فيها من أحداث لها علاقة بالمايكروفون رفيق الدرب.

لابد وأن أذكر نقطتين هامتين في عجالة هذه الفترة بالذات، أولاهما أنني بعد تسريحي من الإذاعة لم أتلقّ أي هاتف، ولم أستقبل أي زيارة من أي زميل من زملائي، وقد شعرت بشيء من الأسى لأن أحدهم الذي كان صديقي وزميلي معاً لم يحاول الاتصال بي. كان الخوف من شخص رهيب قد منعه كالآخرين من محاولة التقرب مني حتى ولو هاتفياً، هذا ما ذكره لاحقاً مدافعاً عن موقفه، إذ كان والآخرون على ثقة من أن ذاك الرجل يراقبني ويراقب

من يزورني ومن يتصل بي، وطبعاً تلك كانت مبالغة، إذ لست بالشخصية المهمة أولاً وليس الرهيب بالشخص الذي لديه وقت لتلك التوافه. هذا ما اعتقدته ولا أزال أعتقده عن تلك الفترة، لكن المهم هنا أن أذكر نقطة مضيئة كان لها تأثير كبير على معنوياتي آنذاك، فقد كان هناك شخص زميل صديق لا ينفك عن المجئ لزيارتي، وعن عرضه المساعدة علي كصديق، وكنت أخاف عليه، فيؤكد لي أنه إنما يقوم بواجبه تجاه صديق إنه الأستاذ نجاح السمان. وكيف أنساه؟

تلك الأحداث الصغيرة تعطي فكرة عن الجو المتوتر المتأزم الذي ساد آنذاك والخوف الذي عمّ القلوب، والكلّ خائف على عمله ومستقبله، بعد صدور قرارات التعسف والظلم.

لابد من أن أشير هنا إلى أن أخاً كريماً كان آنذاك يعمل في إذاعة الرياض، وقد طلبت منه إيجاد عمل لي هناك، بعد تسريحي فلبى النداء لكن فوجئت أنّ وزارة الداخلية السعودية رفضت عملي في إذاعة الرياض.. وبعد البحث تبين أن زميلاً في تلفزيون دمشق سعودي الأصل عمل مذيعاً قد أرسل تقريره بناء على استفهامهم يصفني فيه بأنني «ناصري خطير»، تذكرت مباشرة الآية الكريمة «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم..» إذ إنني لم أكن متحمساً للعمل في السعودية أو غيرها من دول الخليج. وما أذكره أنني بعد فترة صرت أشكر في سري ذاك المذيع لأن الله ألهمه أن يجعل مني «ناصرياً خطيراً» كي لا أذهب إلى السعودية فقد كان، جل وعلا، يخبئ لي مكاناً أفضل ورحلة أجمل وأكثر فائدة.

« تصاريف القدر »

في أوائل عام ١٩٦٥ وردتني رسالة من أخي يوسف الذي بات يعمل في إذاعة الكويت، وفوجئت عندما فتحتها بوجود قصاصة صغيرة من صحيفة الأهرام المصرية التي كانت لا تدخل سورية، والقصاصة إعلان من «إذاعة هولندا العالمية» بطلب مذيعين مترجمين للقسم العربي. وكتب أخي أن الإعلان لفت انتباهه وقد يكون خاتمة وضعي. على الرغم من أنه لا يحبذ أن أبتعد ذاك البعد عن الأهل، فهولندا تقع في شمال القارة الأوربية وهي بعيدة عنا. قرأت الإعلان وأرسلت طلباً دون تردد يحتوي على سيرتي الذاتية بالتفصيل، ولم يمض أسبوع إلا وجاءني الجواب يطلبون مني تسجيلاً بصوتي في قراءة نص بالتحديد أرسلوه بالإنكليزية كي أترجمه إلى العربية قبل تسجيله. وبسرعة أيضاً ودون تردد ترجمت النص، وعلي أن أذكر بين قوسين أن لغتي الإنكليزية جيدة إذ إنّ شهادتي الثانوية كانت من فرع الآداب واللغات، أقول: ترجمت النص وسجلت ترجمته وأرسلت الشريط إلى هولندا. مضى شهر من الزمن أو أقل وجاء رنين الهاتف: مرحباً، حضرتك الأستاذ فاروق حيدر؟

- نعم أنا هو

- أستاذ فاروق أنا اسمي عقيل هاشم أعمل في إذاعة هولندا العالمية، وأنا الآن في دمشق ويسعدني أن ألتقي بك كي نتحدث عن موضوع عملك هناك.

كانت كلماته مفاجأة كبيرة لي وعلى الرغم من كل ما حاولته في ضبط أعصابي. شعر الأستاذ عقيل هاشم بمدى ترحيبي بهاتفه. كان يقيم في بيت

أخته بدمشق وبالمصادفة كان بيتها قريباً من بيتنا. وعلى موعد ذهبت إليه فرحب بي وكذلك أخته وتم التعارف بيننا. الأستاذ عقيل هاشم من المذيعين العرب الرواد، كان يعمل في إذاعة القدس التي كانت في الأربعينات من القرن الماضي من أوائل الإذاعات العربية، ولكن عندما حلت نكبة ١٩٤٨ وجاء الصهاينة ليقيموا كياناً مسخاً في فلسطين العربية أغلقت إذاعة القدس وذهب الأستاذ عقيل إلى هولندا. لمَ إلى هولندا وكيف؟ لا أدري. ربما بالمصادفة كما حصل معي. حدثني عن إذاعة هولندا العالمية التي تبث بست لغات منها العربية، وحدثني عن القسم العربي وعن الزملاء الموجودين فيه. سألته: هل أفهم من هذا أنكم قبلتم بعملي عندكم؟ ضحك وقال: بترحيب كبير، فصوتك وإلقاؤك ولغتك كل ذلك نال الإعجاب، وأنا شخصياً لم أستغرب هذا، لأن إذاعة دمشق مشهورة بمقدرة العاملين فيها.

كان علي أن أحدثه تفصيلاً عن وضعي. وقد تفهمه بإصغاء وشعر بارتياح لميولي السياسية، قالها بصراحة: ومن لا يؤيد عبد الناصر؟ ثم سألته مباشرة عن سياسة إذاعة هولندا وهل هي كإذاعة لندن تدس السم في العسل؟ فأكد لي أن إذاعة هولندا لا علاقة لها بالسياسة لأنها شركة تجارية، الغاية منها نشر الدعاية للمنتجات الهولندية في أنحاء العالم، ونشرة الأخبار التي لابد منها في كل إذاعة تعتمد الموضوعية والحياد. فوجئت وكان في نظرتي بعض الشك كما يبدو لأنه قال لي: «أنا أؤكد لك كل كلمة قلتها ومن هذه الناحية لا تقلق أبداً» شعرت بارتياح شديد. قال: «لم تسألني عن الراتب» قلت: «لا بد وأنه يكفي للعيش بكرامة».. قال: «لا أدري يا أستاذ فاروق. بدأت أحبك وأعجب بك. سنكون صديقين في هولندا..» ثم حدثني عن حياته وكيف تزوج من هولندية ورزق بابن واحد سماه رامي، وكيف أصبح يشغل منصب نائب رئيس القسم العربي. وقد اكتشفت لاحقاً أنه لا يجوز تعيينه رئيساً للقسم على الرغم من أنه حصل على الجنسية الهولندية، لأن أصله غير هولندي. مفارقات كبيرة في المجتمعات الأوروبية لن أخوض فيها تفصيلاً لأن موضوعنا يرتبط

بالمايكروفون فقط. المهم أن لقاءنا كان ناجحاً، وأن علي انتظار تأشيرة الدخول وتذكرة الطائرة. لكن المشكلة جاءت من الطرف الآخر: كيف سأحصل على تأشيرة خروج. معلوماتي أنني ممنوع من الخروج.

وعلى الرغم من وضعي الذي كان يحتم علي قبول عرض إذاعة هولندا، كان لوالدي رأي آخر، الوالدة حاولت بدموعها ثنيي عن الذهاب إلى مكان بعيد قد أستقر فيه وأتزوج ولا أعود، ووالدي الذي كان حكيماً حاول إقناعي أنّ الحال لن يدوم على ما هو عليه، وأن بعض الأشخاص الموتورين الذين يسيئون للحزب والدولة لابد وأن يسقطوا يوماً، وكان يتوقع أن اليوم قريب بحيث أعود إلى عملي إذ يكفيه سفر أخي، ولكنني كنت أعيش إحباطاً كبيراً، ورجوته أن يفهم موقفي ويوافق على ذهابي، وبعد طول نقاش وافق على أن أعده بمواصلة دراستي العليا وبخاصة أن هولندا بلد القانون فأبو القانون الدولي هولندي اسمه «دي خروت»، ومحكمة العدل الدولية في لاهاي، وكما كنت وعدته قبل سنوات عندما ذهبت إلى القاهرة أن أعود وأواصل دراستي الجامعية وفعلت، وعدته هنا أن أتابع دراستي القانونية العليا إلى جانب عملي في الإذاعة. وبمعونة الله جاءني صديق لن أنساه ما حييت وأعلمني أنه سيؤمن لي تأشيرة الخروج، ومع معرفتي أنّ في ذلك خطراً علي وعليه وعلى من سيساعده وافقت. وجاءت تأشيرة دخول هولندا مع تذكرة الطائرة وجاءت تأشيرة الخروج السورية التي لا أعلم حتى الآن كيف تمت إجراءات الحصول عليها، لأن صديقي فضل أن لا يذكر ذلك. كان ذلك في صيف عام ١٩٦٥ حيث كان الأهل يقضون الصيف في بلدتي الحبيبة يبرود، فقررت الرحيل دون وداعهم لأن لحظات الوداع تهز كياني ولا أقوى على احتمالها، وواكبني أصدقائي الأوفياء الذين أحتفظ بصداقاتهم الغالية منذ دراستنا الثانوية وحتى يومنا هذا، واكبوني إلى المطار وودعوني واطمأنوا إلى ركوبي الطائرة، ثم توجهوا إلى يبرود ليخبروا والدي الحبيبين بسفري. وعلى الرغم من تصوري لما سيحدث من استيائهما واحتجاجهما لذهابي دون وداع، كنت مقتنعاً أنّ ذاك هو الأسلوب الأمثل.

كانت رحلتي إلى هولندا الرحلة الثانية في حياتي حيث كانت رحلتي الأولى إلى القاهرة. كان عمري ستة وعشرين عاماً، ولحسن الحظ أنني كنت دفعت بدلاً نقدياً للخدمة العسكرية منذ أن كنت طالباً في الجامعة مما جعلني الطائر الحر الطليق الذي انطلق بعيداً ليبدأ حياة جديدة، لكنه احتفظ بعلاقته بالمايكروفون ولم يفرط بها، فهو قد انتقل من صديقه مايكروفون إذاعة دمشق إلى صديق جديد هو مايكروفون إذاعة هولندا، ومع الأيام تندمج الذكريات وتلتقي المعاني فيصبح المايكروفون صديق درب بصرف النظر عن مكانه وجنسيته.

في الطائرة كانت تنتابني حالات نفسية متناقضة، كنت أشعر بسعادة لأن ذاك الحلم المزعج الذي كنت أعيشه في دمشق قد انتهى، وكنت أنقلب فجأة لأشعر بتعاسة وقلق وخوف لأنني مقدم على عالم جديد ولا أدري مدى تقبلي ومعايشتي لذاك الجديد. وكان مما يسهل الأمر علي أن بنداً في العقد الذي كنت وقعته في دمشق وأرسلته إليهم يؤكد على أن الأشهر الثلاثة الأولى هي فترة تجربة يحق لأي من الطرفين أن ينهي العقد فيها دون الحاجة لذكر الأسباب، و إنني إذا لم أستطع العيش هناك يمكنني أن أعود. لكن الهواجس تنتابني من جديد وأتساءل: إلى أين أعود؟ إلى ذاك الكابوس؟ وأقرر وأنا لا أزال في الطائرة: لن أعود مهما كانت الظروف.

كان إلى جانبي في الطائرة رجل وقور بادأني بالتحية وبدأ يطرح علي الأسئلة حتى استوعب موقفي وتعرف إلي فقدم نفسه على أنه رجل أعمال له علاقات تجارية في أمستردام وهو يأتيها بين حين وآخر.. وسألني فيما إذا كان سيستقبلني أحد في المطار ثم تابع قائلاً: «يمكنك النزول معي إلى المدينة إن لم يكن هناك من يستقبلك فأنا سأجد سيارة بانتظاري».. شكرته وقلت له إنهم ذكروا لي أن شخصاً من الإذاعة العالمية سيكون في استقبالي. قال: «إن لم تجده مرحباً بك.. يبدو عليك أنك شاب طيب ومهذب وتسافر لأول مرة.. لا تخف ولا تضطرب هذه الأيام أجمل أيامك وأنت محظوظ أن تأتي إلى بلد

جميل ومضياف كهولندا فأهله طيبون بالنسبة لباقي الأوربيين وهم لطيبتهم يسمونهم: فلاحي أوروبا.. وأنت تعلم أن الفلاح طيب وبعيد عن تلون ابن المدينة وحلاوة لسانه وذكائه في التعامل مع الآخرين».. وفجأة، وكأنه شعر أنني غير مستعد لمجاراته في حديثه وأنني مضطرب وأنا مقدم على عالم جديد وحياة جديدة، تمنى لي التوفيق وفتح صحيفة وبدأ يقرأ فيها. وبينما عدت إلى أفكاري المتضاربة أذكر أهلي وكيف سيتلقون نبأ رحيلي فتنتابني موجة من العواطف وأشرف على البكاء.. ثم أفكر بكل ما ذكره الأستاذ عقيل هاشم عن الإذاعة وعن هولندا فأشعر بشيء من الاطمئنان.. ثم أقلق بما سيأتي من الأيام.. وهكذا. حتى أعلن كابتن الطائرة وصولنا إلى أجواء هولندا ومن ثم إلى أمستردام..

الهيئة العامة السورية للكتاب

« في هولندا »

وصلت مطار أمستردام في هولندا،وبسرعة ودون أي تعقيدات كنت على الباب الخارجي للمطار حيث هرع إلي شاب يسألني بالعربية: الأستاذ فاروق؟ فأجبته بالإيجاب وكأن حملاً كبيراً قد انزاح من على ظهري. ها هو الرجل الذي سينقذني ويوصلني بر الأمان، صافحني بحرارة مرحباً بي وقدم نفسه: «حسن بكر من الأردن».. ثم،في أثناء حديثه، جاء رجل يرتدي قميصاً وبنطالاً فأخذ الحقيبة التي كانت بجانبي وحملها، وحاول الأستاذ حسن أن يأخذها منه فرفض، ولم أعر الأمر أي أهمية على أساس أن سائق سيارة الإذاعة حمل الحقيبة الكبيرة ووضعها في السيارة، ثم تقدمت أنا وزميل المستقبل نحو السيارة حيث التفت السيد الهولندي بعد وضعه الحقيبة في السيارة ورحب بي بالإنكليزية وقدمه الزميل حسن قائلاً: «مستر كينكت رئيس القسم العربي». ذهلت واضطربت للحظة. إذن فهذا الذي أصر على حمل الحقيبة ووضعها في السيارة هو رئيسي القادم؟.. أردت أن أعتذر، ولكن ما أدراني أن هذا الشخص الذي يرتدي لباساً بسيطاً ويقود السيارة هو رئيس القسم العربي؟ قلت له بلغة انكليزية مترددة وقلقة: «أنا آسف.. لي الشرف أن تأتي لاستقبالي».. ضحك وقال بمرح واضح: «قد أصبحت واحداً منا.. مرحباً بك فاروق». كأنه قصد أن يناديني باسمي مجرداً من باب التحبب والتقرب ليس هذا فقط بل أردف قائلاً: «اسمي يان» فأجبته بخجل: «مرحباً بك» ولم أجرؤ على ذكر اسمه كما ذكر اسمي، ثم دعاني الزميل حسن للجلوس إلى جانب السيد كينكت محاولاً شرح الوضع الذي أشكل علي قائلاً: «هذه سيارته وهو يقودها»، وضحك مردفاً: «هنا لا يحتاجون لسائقين ولسيارات من المصلحة التي يعملون فيها».. وتبادلنا الحديث عن الطقس، حيث لا حديث آخر يمكن طرقه في الطريق إلى الفندق. تركاني هناك كي أرتاح وأعلمني الزميل حسن أنه سيأتي صباح اليوم التالي في الثامنة صباحاً لاصطحابي إلى الإذاعة، مكان عملي.

كان الفندق الذي نزلت فيه صغيراًوفي مدينة هلفرسوم التي تبعد ثلاثين كيلومتراً عن أمستردام، لكنه أنيق وقد أعلموني أن العشاء سيكون بين السادسة والثامنة مساء. في مطعم الفندق جاءتني النادل بقطعة لحم سميكة وتبدو غير كاملة الطهي إلى جانب الخضار والبطاطا المهروسة، وهذه الوجبة هي الوجبة الهولندية التقليدية، ولأقل الوجبة الأوروبية.. وبدأت الطعام أعملت السكين في قطعة اللحم فسال منها الدم. ساءني هذا المنظر وناديت للنادل وقلت لها: «أنا لا آكل لحم الخنزير»، قالت لي: «نحن نعلم هذا إذ نستقبل الكثيرين من بلادكم، هذه لحمة بقرية جيدة». قلت لها: «منظر الدم يزعجني» فقالت: «هكذا نأكلها لكنني سأطلب من المطبخ أن تكون أكثر نضجاً» وفي أثناء هذا النقاش بإنكليزيتي التي لا زالت مترددة قام عن طاولة مجاورة شاب صغير الحجم نحيف الجسم أسمر اللون وحياني بالعربية وقدم نفسه لي. كان مهندساً سودانياً يمضي دورة في شركة فيليبس وكان لطيفاً ضحوكاً أكد لي أن قطعة اللحم ليست من الخنزير كما تراءى لي وأنهم يأكلونها هكذا نصف نيئة واستأذن مني وجلس معي على الطاولة فرحبت به وسعدت لوجوده. وبعد العشاء اقترح علي أن يصحبني في جولة ليلية قائلاً: «هيا بنا.. كل حركة وفيها بركة»، فوافقت وذهبنا في جولة بسيارة الفولكسفاكن الصغيرة التي يمتلكها. كان لطيفاً للغاية يمثل الدماثة السودانية التي اكتشفتها فيما بعد لكنه كان مجنوناً في قيادة السيارة فكنت أنبهه لشدة خوفي من تهوره فيضحك ويقول: «لا تخش شيئاً.. أنا معتاد على هذه القيادة وعليك أن تعتاد عليها لأننا سنصبح أصدقاء». ومع الضحكات قلت له ما معناه إننا لن نصبح أصدقاء إذا كان مصراً على هذه القيادة ولن أركب في سيارته بعد الليلة. ضحك بسعادة وقال: «لا بأس.. نكون أصدقاء أرضيين». وعدنا إلى الفندق سالمين والحمد لله وكل ذهب إلى غرفته على أن نلتقي مساء اليوم التالي في المطعم وتمنى لي التوفيق في اليوم الأول من عملي الجديد. لم أنم جيداً فنومي مضطرب بشكل دائم وتغيير المخدة يؤثر تأثيراً مباشراً على نومي ويسبب لي أرقاً. في السابعة كنت أتناول الفطور في مطعم الفندق وفي الثامنة جاء الزميل حسن بكر واصطحبني إلى إذاعة هولندا العالمية حيث القسم العربي.

« إذاعة هولندا العالمية »

رحب بي السيد كينكت رئيس القسم وكذلك الأستاذ عقيل هاشم نائب رئيس القسم وزملائي الجدد: فتحي المورلي من تونس، وأبو بكر متولي من مصر، وعطا خليل من فلسطين، وكان يعمل في إذاعة عمان بالأردن وكاميلا يوسف أبوها مصري وأمها هولندية إلى جانب حسن بكر الذي كان مسؤولاً عن الأعمال الإدارية والتنسيق، ثم هناك سكرتيرة القسم العربي المسؤولة عن أعمال القسم بصورة عامة وعن تأمين حاجيات أفراد القسم وتلبية مطالبهم، كانت سمراء أندونيسية الأصل اسمها إيفيت ثم جاءت بعدها إيفون ثم أندريا وأخريات. ومعلوم أن هولندا وعدد سكانها ١٦ مليوناً كانت استعمرت اندونيسيا وعدد سكانها ٢٣٥ مليون نسمة سنوات طوالاً، وعندما انسحبت جاء الكثير من الأندونسيين وحصلوا على الجنسية الهولندية واستقروا في هولندا.

كان علي أن أزور السيد مدير الأقسام الأجنبية في مكتبه وأقدم نفسي إليه، وقد رحب بي وتمنى لي إقامة طيبةً وعملاً مثمراً. وهكذا أصبحت عاملاً في إذاعة هولندا العالمية القسم العربي في مدينة صغيرة طبيعتها رائعة وجوها هادئ تقوم فيها ست محطات محلية للإذاعة والتلفزيون الهولندي إلى جانب الإذاعة العالمية التي تمولها، مع إعانة سنوية من الدولة، بعض الشركات الهولندية الكبرى وعلى رأسها شركة فيليبس المعروفة عالمياً.

أمضيت اليوم الأول في التعرف إلى العمل وإلى الزملاء وإلى الاستديو وإلى مديرية الأخبار التي تزود ستة أقسام أجنبية بالأخبار. وعلمت أن عملي سيكون كعمل بقية الزملاء يشمل كل أنواع البرامج الإذاعية: فيوماً أكون مسؤولاً عن الأخبار ويكون دوامي في مديرية الأخبار أتلقى الأخبار باللغة الإنكليزية وأعمد إلى اختيار ما يناسب منها وأترجمها إلى العربية ومن ثم أنتقل إلى الاستديو

لأذيعها ثلاث مرات في أوقات مختلفة، ويوماً آخر أكون في الأستديو مسؤولاً عن تقديم البرامج كمذيع ربط. والبرامج كانت متنوعة لكن معظمها يتحدث عن شركات ومؤسسات هولندية تجارية كنوع غير مباشر من الدعاية عبر الأثير. وكانت مدة البث اليومي ساعة ونصف تعاد ثلاث مرات. وفي كل مرة توجه إلى منطقة من العالم العربي لأنها أصلاً موجهة إلى المستمعين العرب في بلادهم. ويوماً ثالثاً أكون مسؤولاً عن إخراج برامج ذاك اليوم والإشراف عليها على الهواء، وفي اليوم الرابع أنطلق مع زملاء من أقسام أخرى لزيارة مؤسسة أو شركة وإعداد ما نسميه بالريبورتاج، حيث نقابل مسؤولين في تلك الشركة ونتحدث عن إنتاجهم ونتجول في أنحاء الشركة لذكر أقسامها وما إلى ذلك. وهذه الزيارات تكون مبرمجة ومهيأة وليس على مذيعي الأقسام الستة المختلفة بلغاتها الست المختلفة إلا أن يعدوا ريبورتاجاتهم. وكنت أسعد بعمل هذا اليوم بالذات لأنه يطلعني على صور هولندا ومدنها وقراها وكل ما فيها ويجمعني بأولئك الذين يديرون اقتصاد البلد من رجال أعمال وصناعيين وتجار وزراع، حيث للزراعة مكان كبير في هولندا فالبقرة الهولندية والأجبان والألبان هي من عماد الاقتصاد الهولندي إلى جانب الورود وبخاصة الزنبق الهولندي الشهير ذا الألوان المختلفة.

في مكتبي بإذاعة هولندا العالمية

منذ اليوم الأول أعلمني الزميل حسن بكر أن علينا، يعني هو وأنا، وهذه علامة من علامات كرمه العربي الأصيل ورجولته البدوية الصادقة، أعلمني أن علينا أن نبحث عن سكن لي فلا يمكن البقاء في الفندق كما علينا أن نشتري دراجة كي أتنقل بها بين الإذاعة والمسكن. وعندما لحظ دهشتي لذكر الدراجة ضحك وقال لي: «كل قادم جديد يفاجأ بما أقول عن الدراجة ولكنه بعد أيام يهرع إلي طالباً مساعدتي لشراء دراجة» وفعلاً لم يعد الأمر بالنسبة لي غريباً عندما شاهدت بأم عيني المدير العام للإذاعة العالمية يأتي إلى مكتبه راكباً دراجته. وهكذا اشتريت دراجة ريثما أستطيع شراء سيارة، وكانت الدراجة متعة كبيرة لي خاصة وأن هناك طريقاً خاصاً بالدراجة إلى جانب طريق السيارة بجانب رصيف المشاة. ومنذ ذاك الحين وأنا أتمنى أن ننحو هذا المنحى في بلدنا، وبخاصة في هذه الأيام العصيبة وفي دمشق بالذات حيث زحمة السيارات لا تطاق، والتلوث لا يحتمل، إلى جانب ارتفاع سعر البنزين ولا حل إلا باقتناعنا بأن الدراجة هامة وصحية ورخيصة الثمن وقليلة المصروف، هذا إن كان هناك مصروف.

إيجاد السكن أمر صعب، في هلفرسوم بالذات لأنها بلدة صغيرة والعادة أن يهرع طالب السكن إلى الصحيفة اليومية حيث إعلانات السكن ويبدأ القادم الجديد مثلي بالبحث عن غرفة لدى عائلة. الزميل حسن بكر قام بالمهمة مشكوراً ووجد إعلاناً عن غرفة لدى عائلة فانطلقنا بسرعة قبل أن تضيع ويأخذها غيرنا لاسيما أنها قريبة من الإذاعة. في شقة ببناء صغير قرع حسن الجرس وسمعنا عواء كلب فقلت له: «إذا كان لديهم كلب فلا يناسبني أن أسكن هنا»، وضحك قائلاً: «ألا يقولون في بلدنا شحاد ومشارط؟».. وفتح الباب لنرى سيدة في الخمسين من العمر تقريباً وعلى وجهها ابتسامة، أخبرها حسن أننا جئنا لمعاينة الغرفة المعلن عنها فرحبت بنا وطلبت منا الدخول والكلب وراءها صغير الحجم لم نسمع منه أي عواء ودخلنا وشاهدنا غرفة صغيرة وراء الباب مباشرة فيها سرير وطاولة وخزانة. نظرت إلي وقالت: «هل أعجبتك؟» قلت: «معقولة».. نعم.. «قالت: «مبروك» وهي تتحدث الإنكليزية

بطلاقة. وكان حسن قد أعلمها أنني مذيع في الإذاعة العالمية ويمكن أن أشير هنا إلى ما اكتشفته وتأكدت منه في الأيام القادمات وهو أن الهولنديين يحترمون الإذاعة والمذيع لأنه كتحصيل حاصل متعلم ومثقف وليس عاملاً عادياً. إذن: قالت لي: مبروك، فاستغرب حسن هذا الموقف لكنها خاطبته قائلة: «لا تستغرب. أنت ثالث جماعة تأتي لاستئجار الغرفة وقد رفضت الاثنين اللذين سبقاكما. أتدري لماذا؟ لأن «راكر»، وأشارت إلى كلبها، كان يعوي طوال وجود كل منهما في هذا البيت لمعاينة الغرفة، وأنت ترى الآن أنه صامت وهذا دليل على أنه قد أحب القادم الجديد وبالتالي فأنا على يقين من أنه شاب طيب ولن يسبب لي إزعاجاً. أما الأجر فلن نختلف عليه»، قلت لها: «الأجر الذي تطلبين على أن يكون معقولاً ويناسب دخلي». ضحكت وقالت: «هو معقول ويناسب دخلك وعندما تجده ثقيلاً على دخلك يمكن أن نخفضه». قال لي حسن بالعربية: «ما هذا يا فاروق أمك داعيالك» وهو يتحدث اللهجة الأردنية القريبة من البدوية. كان إيجار الغرفة معجزة لدى تلك السيدة الرائعة التي تعيش وابنها وابنتها مع صديقها الحقيقي الكلب «راكر» وزوجها متوفى. انتقلت إلى الغرفة في اليوم التالي بعد أن تركت الفندق وودعت صديقي المهندس السوداني على أمل أن نلتقي في القادمات من الأيام.

على القارئ الكريم أن يعذرني إذا ما توسعت في بعض المواقف خلال وجودي في هولندا لأنني أقصد أن أقدم صوراً قد تفيدنا نحن في شرقنا العربي، كما أفادتني في إقامتي عشر سنوات كاملات في هولندا، وعلى الرغم من أن حديثي يجب أن يقتصر على مشواري مع المايكروفون إلا أن بعض الأحداث التي جرت معي تفيد في تلوين ما أكتب وفي جعل الطريق الذي أسلك وأتكلم عنه ليس فقط إذاعة ومايكروفون.

أقول: على ذكر ذاك الكلب الذي كان له الفضل في أن أنال رضى السيدة صاحبة البيت وأسكن في غرفة من غرف بيتها، أشير إلى أهمية الكلب في هولندا بخاصة وأوروبا بعامة. وتحضرني هنا ذكريات «راكر» الكلب المدلل الذي كانت صاحبته وصديقته ترسل ابنها ذا العشر سنوات ليلاً وفي

البرد القارس والثلوج تملأ الشوارع وترتفع إلى عشرين سنتيمتراً تقريباً، ترسل ابنها في مشوار يومي للكلب كي يقضي حاجته في الخارج ويعود. ومرة كنت أسهر في غرفة جلوسها وطلبت من ابنها أن يأخذ الكلب في مشواره اليومي، ولأن علاقتنا أصبحت جيدة أظهرت استيائي لما تفعله وقلت لها: «ألا تخشين أن يصاب ابنك بالبرد في هذا الجو حيث تتركينه يخرج من أجل كلب؟».. ولم يعجبها كلامي وقالت: «الكلب اسمه «راكر» أي علي، احتراماً له، أن أذكر اسمه.. ثم أردفت: «قد تعجب إذا قلت لك إن «راكر» أعز إلي وأقرب إلى قلبي من ابني وابنتي، فكلاهما سيتركاني بعد سنوات لكن راكر سيبقى معي حتى أموت أو يموت».. واندفعت تحدثني عن راكر وهو الحديث الذي يطيب لها فقالت: «إنه يفهم كل شيء» وأضافت: «أما لاحظت أنه لا يدخل غرفتك أبداً؟ منذ المرة الأولى التي حاول دخولها وأنت صددته وأغلقت الباب قرر أن يبتعد عنك. لم تحاول الاقتراب منه فلم يقترب منك.. أليس هذا دليل فهم وذكاء؟» وأذكر أنني بعد أن انتقلت من بيتها واخترت أن أعيش في شقة منفردة كنت أتصل بها هاتفياً بين حين وحين وكنت أسألها عن الكلب راكر قبل سؤالي عن ابنها وابنتها كي أرضيها وكانت سعيدة بهذا على الرغم من علمها أنني لا أحب الكلاب ولا أحبذ الاقتراب منها. وباعدت بيننا الأيام وشغلتنا مزاريب الحياة فلم نعد نتواصل هاتفياً إلى أن جاءني يوماً هاتف من شخص قال إنه ابنها وبلغني رغبتها في أن تراني وهي على فراش الموت لتودعني. هزتني تلك المشاعر النبيلة حيث لم تنسني على الرغم من الانقطاع الطويل بيننا وهرعت إلى المستشفى كي أودعها الوداع الأخير. كانت صاحية وبكامل وعيها وكشرقي تغلبه العاطفة لحظت دموعاً أريد إخفاءها فأمسكت بيدي وقالت: أنت إنسان نبيل ويسعدني أن ألقاك قبل أن.. وسكتت ولم تكمل جملتها لكنها بقيت محافظة على ثباتها واتزانها. صافحتها وخرجت من غرفتها في المستشفى وأنا ضائع بين عواطفي الجياشة لصديقة سوف تغادر، وبين إعجابي الشديد لقوة أعصابها ورباطة جأشها وهي في ذلك الوضع.. ثم أردت أن أتهرب من الموضوع ففكرت بكلبها «راكر» الذي لم

أجده في غرفة الوداع. كانت ابنتها وكان ابنها مع اثنين آخرين لم أتعرف إليهما يحيطان بسريرها وكلهم يأخذون الأمر كأنه مسألة عادية فلا دموع ولا شهقات ولا تأثر ظاهري. وكنت وأنا أقود سيارتي عائداً من وداعها أفكر في تلك الفرصة النادرة والهامة التي أتاحت لي أن أعيش في هولندا فأؤثر وأتأثر. نعم.. قد أثرت على الكثيرين ممن اتخذتهم أصدقاء لي.. و.. تأثرت بالكثيرين من الأصدقاء وغيرهم من الهولنديين الطيبين. والآن وأنا أكتب ما تسعفني به الذاكرة أفاجأ بالصور تتزاحم في ذاكرتي وتلح علي أن أحولها إلى كلمات، وأغلبها تلك التي تحتوي على أناس طيبين التقيت بهم وأصبح بعضهم أصدقاء وأعزاء وتأثرت بهم كما تأثروا بي.

تتدافع الصور في مخيلتي فأتوقف أمام صورة ذاك الصديق الهولندي العزيز. كيف أنسى الصديق «أولاف دي لاندل» الكاتب الروائي الشهير الذي جاءني يوماً بعد أن هتف لي ليسألني عن بعض تفاصيل حياتية كان بحاجة إليها لاستعمالها في روايته التي جرت أحداثها في بلد عربي إسلامي. وكان في زيارته لبيتي بداية صداقة امتدت طوال وجودي في هولندا وأسفت عندما علمت بوفاته بعد عودتي بسنتين أو ثلاث..

وكيف أنسى ذاك الصديق بيتر زميلي في الإذاعة الذي كان يعمل في القسم الهولندي والذي كان سعيداً جداً بأن يستقبلني في بيته وأتعرف على تلك السيدة الفاضلة والدته التي وجدت في طيبتها وترحيبها ما يجعلها قريبة إلى قلبي ويجعلني أذكر فيها والدتي البعيدة آلاف الكيلومترات.

ثم كيف أنسى زميلتي في القسم الهولندي أيضاً جاكلين التي أطلقت عليها اسم «ليلى» وكانت مزهوة به. وصديقي رونالد الذي كان يعمل في مصرف «أمستردام روتردام بنك» في هلفرسوم وقد جئته يوماً إلى البنك محتجاً حيث وصلتني فاتورة وقد كتب فيها بالخط الأحمر مبلغ مدين للبنك في حال كان حسابي صفراً، فاستغربت كيف يغرمونني مبلغاً، مهما كان صغيراً، لأن حسابي صفر؟ وكان رونالد لطيفاً للغاية ويتكلم الانكليزية بطلاقة فشرح لي أنني أحجز رقم حساب في البنك بحيث يحتاج الرقم لخدمات إدارية ولأن

حسابي صفر فمن المفروض أن أدفع أجر رقم الحساب. وضحكنا معاً ودعوته إلى بيتي وأصبحنا أصدقاء. ومما أذكره عنه أنه كان معتداً جداً بكونه هولندي وتمتد جذوره إلى عائلة هولندية عريقة، ولا زالت السيدة والدته تعيش ماضيها وتتصرف كما لو أن السنين لم تغير شيئاً. النقطة اللافتة في علاقتي مع كل من ليلى ورونالد أنهما اجتمعا يوماً في بيتي بطريق المصادفة وتعارفا لكن النتيجة الآنية كانت غير مريحة. وقعا في مشاحنات وجدالات أزعجتني فتدخلت ورجوتهما أن يكفا فاعتذر كل منهما وأعلن كل منهما أنه لا يستلطف الآخر وأنه لا يود أن يراه ثانية. ولما انتهت السهرة كان رونالد شهماً فعرض على ليلى أن يوصلها بيتها إذ لم يكن لديها سيارة فقبلت على مضض، وكنت أستطيع إيصالها، كما أفعل عادة، لكنني فضلت أن تذهب معه علهما يتصالحان. وتمضي الأيام فإذا بليلى تسألني عن رونالد وإذا برونالد يسألني عن ليلى، وعلمت من كليهما أن مشوار ما بعد السهرة في سيارة رونالد لم يجر فيه أي حديث بينهما بل أوصلها فشكرته وانتهت القصة. ولأن كلاً منهما سأل عن الآخر، وعلى الرغم من أنني فوجئت، أردت أن أعرف سبب سؤاليهما فوجدت نوعاً من التعاطف، غير المتوقع، وسعدت لذلك وجمعتهما في سهرة جديدة في أحد المطاعم وليس في بيتي كي يكونا أكثر تحفظاً ولا يغوصا في جدال عقيم لا جدوى منه.. وسعدت أكثر عندما وجدت أن لقاءهما كان ينبئ عن إعجاب متبادل.. و.. أصبحا يتقابلان ولا ينسيان أنني كنت سبب جمعهما، ثم دعيت كي أكون إشبيناً في عرسهما.. ثم.. هنأتهما بأطفال ثلاثة متتالية.. و تراني فخوراً لأنني جمعت بينهما.

ثم كيف أنسى تلك العائلة الهولندية الكريمة التي أمضيت في العيش معها سنتين أو ثلاث مستأجراً غرفة من غرف بيتها وكيف أنسى مدى الصداقة التي قامت بيننا: «فيكا» ربة المنزل و«بيت» رب المنزل و«ماود» ابنتهما الشابة و«كلاوس» ابنهما الشاب، وكانت علاقتي مع «فيكا» رائعة إذ كانت جاهزة لمساعدتي وحل كل مشاكلي والتعاطف معي. وكان «بيت» الرجل المتزن السعيد بوجودي بينهم.. تلك العائلة، عائلة «هوخرز»، كيف أنساها؟

أولئك كلهم نماذج من الشعب الهولندي الطيب الذي أحببته ولا أزال أحبه، على الرغم من وجود الكثيرين من المنغصين والعنصريين كما هو الحال في كل شعب من الشعوب.

ولن أذهب بعيداً، لكن خطرت في البال حادثة جرت معي شخصياً بعد سنوات من وجودي في هولندا: عرفت طالبين مصريين يتابعان الدراسة في أمستردام، وقد علمت أنهما على خلاف فرأيت أن أصلح بينهما خاصة وأنهما كانا صديقين. وعندما اجتمعنا وسألت عن الأسباب انبرى أولهما وقال: «تصور، غضب علي وقال لي: يا كلب».. وببرود قال الثاني: «والله دنا قصدت كلب هولندي» فضحكنا معاً وعادا إلى ما كانا عليه من ود وصفاء خاصة وأن الكلب الهولندي قد يكون أعز مكانةً من إنسان ما في مكان ما.

ولابد هنا من أن أشير إلى مكانة الحيوانات الأليفة بشكل عام لدى الهولنديين إذ قلما يخلو بيت من كلب أو قطة أو حتى من سلحفاة في الحديقة. واهتمام الهولنديين بحيواناتهم لا يقل عن اهتمامهم ببعضهم بعضاً أو حتى بأولادهم، كما سبق وذكرت عن صاحبة البيت الذي سكنت فيه وكلبها «راكر».

وطالما كنت أعجب بل أشعر أحياناً بغصة عندما أشاهد أن الإعلانات التي تظهر على شاشة التلفزيون عن طعام الكلاب والقطط تأخذ حيزاً كبيراً، وكنت أذكر أولئك الجياع في أنحاء العالم من بني الإنسان.. ذاك في عالم الجنوب وليس في عالم الشمال، فهل ستساهم العولمة، كما يدعون، في تقريب الشعوب وتضييق ذاك التفاوت الكبير بين الشمال والجنوب؟

وعلى ذكر القطط والكلاب لا أنسى حادثة جرت معي قد تعطي فكرة على مدى عمق ما سبق وذكرته: إذ جئت يوماً البيت الذي أسكن غرفة من غرفه، وكان علي أن أمر بالردهة التي تجلس فيها العائلة عادة كي أصل إلى غرفتي، وكثيراً ما أجلس معهم ونتبادل الأحاديث حبث كانوا دائماً في سعادة وهرج ومرج وكان ذلك يجذبني إليهم، أقول: عدت يوماً إلى البيت قادماً من الإذاعة فوجدت الجميع واجمين بل إن الفتاة الشابة «ماود» كانت تبكي

وبسرعة دارت عيناي في أنحاء الغرفة فلم أجد رب العائلة فكان من الطبيعي أن يتجه تفكيري نحوه وظننت أن يكون الصديق «بيت» رب العائلة قد حصل له مكروه فانطلقت قائلاً متسائلاً: ما بكم ؟ ما القصة؟ أين «بيت»؟ وردت ربة البيت «الصديقة فيكا» بهدوء: «بيت» في غرفة نومه إنه حزين مثلنا. تنفست الصعداء: إذن المشكلة لا علاقة لها ببيت، قلت بهدوء: هلا أخبرتموني ما القصة؟ ردت الصبية «ماود» باكية: قد ماتت .. دهستها سيارة.. وقال الشاب «كلاوس»: ليتني كنت هناك كي أوقف السيارة وأنتقم من سائقها، ونظرت حولي ثانية: القطة غير موجودة .. ولوحت برأسي متأسفاً وقلت،و ليتني لم أقل، : إنها مجرد قطة. ومع نظرات الدهشة والغضب التي صوبوها نحوي.. تراجعت وقلت: «أنا آسف.. ليرحمها الله.. كانت.. كانت» ولم أستطع إنهاء جملتي.. فتركتهم وانطلقت إلى غرفتي هارباً من نظراتهم وخائفاً من غضبهم.. لقد حزنوا على القطة وذاك حقهم ونحن في بلادنا نحزن إذا ما فقدنا قطة تعيش معنا، ولكن الحزن يبقى أمراً نسبياً . ولله في خلقه شؤون.

أعود إلى إذاعة هولندا العالمية حيث كان عملي فيها خلال عشر سنوات ممتعاً ومفيداً للغاية ويمكن أن أقول دون تردد إن تلك السنوات العشر من ١٩٦٥ إلى ١٩٧٥ أجمل سنوات حياتي وأكثرها فائدة واكتساباً للمعرفة والخبرة..

فوجئت في بداية عملي مترجماً ومحرراً ومذيع أخبار أنني أتمتع بالحرية كاملة في اختيار وصياغة وتحرير وترتيب النشرة الإخبارية، وفي المراحل الأولى لعملي كنت أعتقد أن ما يفعلونه نوعاً من الغباء إذ يتركون لكل مذيع تلك الحرية الكبيرة وتكون النتيجة أن تتلون نشرة الأخبار بين يوم وآخر وتصبغ بصبغة مترجمها ومحررها وقارئها. فمثلاً عندما يكون المذيع أردنياً تتصدر النشرة أخبار الأردن والملك حسين - هذا إذا كان له خبر فعلاً - ثم تأتي بقية الأخبار مرتبة حسب مزاجية المذيع، لكن عندما يبدأ المذيع بقراءة الموجز قائلاً مثلاً: جلالة الملك الأردني يقوم بكذا كذا.. كخبر أول.. فمعنى ذلك أن المذيع

أردني بلا جدال، وعندما نسمع الخبر الأول عن مصر فإن المذيع مصري.. وهكذا.. كنت أعجب لما يجري وطالما عددته نوعاً من الغباء -كما سبق وذكرت- لكن ومع الوقت تبين لي خطأ نظريتي: إنهم إعلاميون علميون أولئك الذين يقفون وراء برمجة الإذاعة العالمية.. ولأنها إذاعة لا علاقة لها بالسياسة تترك لكل مذيع أن يرضي أهل بلده كما يشاء ما دام يقدم الخبر الصحيح و المهم أن يكثر المستمعون كي يعرفوا أكثر عن هولندا وكي تسير عجلة الدعاية مع عجلة التجارة والتبادل التجاري. إنهم يستفيدون من إمكانيات كل عامل لديهم. أذكر عندما بدأت كان علي أن أملأ استمارة فيها نوع دراستي وشهادتي العلمية واختصاصي وهواياتي وكل ما يختص بي بدءاً بتاريخ ميلادي طبعاً. وفي الحقيقة عندما طلب مني ذلك ملأت الاستمارة بشكل آلي ودون أي اهتمام قياساً على ما اعتدنا عليه: تملأ الاستمارة ثم تضم إلى باقي الاستمارات ثم تدفن في أحد الدروج كعمل روتيني لا فائدة منه. وآنذاك لم يكن هناك كومبيوتر لحفظ المعلومات. لكن الذي حدث بعد ذلك أكد لي أن المجتمع المتقدم الذي يعتمد على العلم والمعرفة واحترام الإنسان كقوة عطاء هائلة، هو المجتمع الذي يجب أن نكون عليه.. ولكن كيف؟ ومتى؟

في أول مناسبة عيد ميلاد لي استيقظت صباحاً في بيتي لأتلقى محفظة صغيرة فيها بعض المأكولات والشراب مع بطاقة من الإذاعة، إذاعة هولندا العالمية، تقول لي: «عيد ميلاد سعيد». كانوا أول من هنأني بعيد ميلادي وقبل أهلي في الطرف الآخر من العالم، وكان علي عندما ذهبت إلى عملي أن أدعو أفراد قسمي ومن تعرفت عليه من الأقسام الأخرى لفنجان شاي مع الكاتو في فترة الاستراحة. كنت سعيداً جداً في ذاك اليوم ١٦ نيسان / ابريل ١٩٦٦، وقد تكرر هذا الحدث في اليوم نفسه من كل عام خلال السنوات العشر التي عشتها هناك.

وفي اجتماع القسم مع المدير العام للإذاعة بحضور مديري برامج الأقسام السبعة ورئيس القسم العربي وكان هذا الاجتماع يجري مرة كل عام،

و يدور الحديث فيه حول برامج العام القادم، ويشترك الجميع في الحديث، وأذكر في أول اجتماع حضرته أنني أثرت موضوع تجاهل البرنامج للبدء بالقرآن الكريم إكراماً للمستمعين الذين هم في الغالبية العظمى من المسلمين. لكن المدير العام علق على الموضوع قائلاً: «ليس علينا أن نصب الماء في البحر، نحن لا نتجاهل القرآن لكننا لا نجد له مكاناً في وقتنا القصير المحدد، ومستمعونا ليسوا بحاجة إلى إذاعة هولندا العربية كي يستمعوا إلى تلاوة القرآن منها».. وكان يتحدث بأسلوب العالم الواثق من نفسه. ثم تعمقنا في دراسة برنامج دورة العام القادم فتبين لي أن أمامه كل المعلومات عن كل منا. فعندما تناولت الأحاديث برنامجاً يتحدث عن المشاكل الدولية حول العالم قال بكل بساطة: «أعتقد أن السيد حيدر مهتم بهذا النوع من البرامج ما دام يدرس القانون الدولي». فوجئت لكنني كنت سعيداً للغاية وتمنيت لو كانت هذه الواقعة قد وقعت في إذاعة دمشق وليس في إذاعة هولندا. وفعلاً كان برنامج «بلا حدود» من أنجح البرامج التي أنتجتها وأمتعها حيث تردني مواد كثيرة باللغة الإنكليزية فأختار منها ما أراه مناسباً وأترجمه وأعده إذاعياً ومن ثم أقدمه، وذلك في اليوم الذي يكون دوري في إعداد البرنامج اليومي وتقديمه وإخراجه، وكان الأسلوب نفسه يتّبع مع كل الزملاء، فالزميل المصري مثلاً كان يدرس الاقتصاد بحيث يختص بالبرامج الاقتصادية.. وهكذا.

ولا شك أن البداية كانت صعبة بعض الشيء، لأنني واجهت مباشرة مسؤولية كاملة حول ما أترجمه وما أذيعه. وكانت الترجمة، التي لم أعتد عليها من قبل، تحتاج إلى تركيز وحذر فاستبدال كلمة بكلمة قد يؤدي إلى ما لا يحمد عقباه بعد أن تنطلق الكلمة الخطأ في الهواء. ولا مجال لإعادتها وتصحيحها. وهذا ما حدث معي في البدايات حيث جاءني نبأ عن دولة إفريقية يقول إن منع التجول فرض في عاصمتها بعد اضطرابات ودون أن أعود إلى القاموس الذي هو أمامي ترجمت كلمة «منع تجول» بكلمة «انقلاب»: ربما لأنني سوري وقد اعتدت على الانقلابات، ودخلت إلى الاستديو لأقرأ على الهواء نشرة الأخبار التي سبق وترجمتها فذكرت أن

الانقلاب وقع في الدولة الافريقية، لكنني وفي نهاية النشرة وبإلهام من السماء أعدت الموجز فذكرت فيه أن نظام منع التجول فرض في عاصمة تلك الدولة متجاهلاً ما سبق وقلته في التفاصيل، وخرجت من الاستديو لأجد الزميل عقيل هاشم يضحك، وبدل أن يؤنب أو يعاقب قال لي: «لقد أنقذت الموقف في اللحظة الأخيرة». وكانت تلك الحادثة ذات تأثير مباشر علي، إذ فرضت على نفسي لجوئي إلى القاموس حاضراً ودون تردد عندما أشك بمعنى كلمة ما.

أسرة القسم العربي أمام بناء إذاعة هولندا العالمية

من اليمين: السيد يان كنكت رئيس القسم، المذيع إبراهيم الشيخ من مصر، السكرتيرة أندريا سلدنرات، المذيع أبو بكر متولي من مصر، المذيع فتحي المورلي من تونس، المذيعة كاملا يوسف من هولندا، المذيع عطا خليل من الأردن، المذيع فاروق حيدر من سورية، المذيع عقيل هاشم من فلسطين ونائب رئيس القسم.

لابد هنا من أن أشير إلى نقطة هامة كنت أضعها في مقدمة كل ما أراه وأسمعه وأكتبه وأذيعه.. وأعيشه وأتعلم منه.. النقطة الهامة التي شغلتني وعنيت بها جداً هي أنني اعتبرت نفسي موجوداً في جو عالي النوعية وأمامي بحر صاف من المعرفة أستطيع أن أملأ منه كل خلية من خلايا جسدي وعقلي ونفسي وكل شيء فيّ، واحتفظ به كي أفرغه عندما أعود إلى وطني وبالذات إلى إذاعة دمشق.. وهذا ما حدث وكان الله الموفق. طوال إقامتي وعبر السنين كنت أهيئ لعودتي حاملاً معي كل ما أستطيع من علم ومعرفة وخبرة وحرفية.. وقد فعلت والحمد لله..

تابعت عملي في الإذاعة وكان الشيء الوحيد الذي يزعجني ضرورة الدوام اليومي الكامل من الثامنة وحتى الخامسة، مع استراحة ساعة ظهراً يمكن أن نتناول فيها غداء خفيفاً في مطعم الإذاعة. وقد حاولت مع زملائي كثيراً إقناع رئيس القسم ورؤسائه أنّ دوامنا لا جدوى منه وأن طبيعة عملنا لاتحتاج إلى دوام إداري، إذ أن المطلوب منا ينفذ حسب مزاجنا.. لكن لا فائدة. وطالما حدث سوء تفاهم لتأخر أحدنا في الصباح، إلا عندما يكون لدينا دور مذيع النشرة فيمكن أن نأتي متأخرين لأننا سنبقى ليلاً مع تأخر ساعة البث. والحقيقة كان وجودنا معاً في دوام كامل عاملاً من عوامل تآلفنا كزملاء مع اضطرارنا للعمل وتأدية واجبنا الوظيفي أثناء الدوام كي نملأ الوقت وبالتالي يكون لدينا الوقت الكافي بعد انتهاء الدوام للقيام بأعمال أخرى. وفي الحقيقة اكتشفت أن ذلك كان لصالحي، حيث وجدت الوقت الكافي بعد انتهاء الدوام للدراسة. وكنت قد سجلت منذ وصولي في الدراسات العليا بجامعة أمستردام الرسمية التابعة للدولة، بعد أن قدمت ترجمة المعلومات الموثقة من جامعة دمشق عن كل المواد التي درستها خلال السنوات الأربع في كلية الحقوق، مع عدد ساعات كل مادة والدرجات التي نلتها في كل مادة، ثم الإجازة في الحقوق حيث كانت بدرجة جيد. وبعد اجتماع مجلس الجامعة الذي يتم مرة كل شهر جاءت الموافقة على متابعتي دراسة القانون باللغة الانكليزية. والجدير ذكره هنا أن الدراسات العليا في

هولندا مسموح أن تكون بإحدى اللغات: الانكليزية أو الفرنسية أو الألمانية إلى جانب الهولندية طبعاً. وكلفت بمواد رئيسية ثلاث هي: القانون الدولي العام، والقانون الدولي الخاص، والقانون الدستوري. وبعد نجاحي في المواد الثلاث انتهيت إلى تخصص بالقانون الدولي العام بإشراف البروفيسور تاميس «Tames» الأستاذ الشهير في القانون الدولي والمستشار القانوني للبعثة الهولندية لدى الأمم المتحدة، وقد اتفقنا على أن تكون رسالتي بعنوان: «تتالي الدولة» «State Succession»، وكان آنذاك موضوعاً جديداً بالنسبة للقانون الدولي، يتناول تحول الدولة إلى دولة أخرى انفصالاً عن الدولة الأم، أو اتحاداً مع دولة مجاورة، كانفصال دولة باكستان عن دولة الهند، وكوحدة دولة سورية ودولة مصر في الجمهورية العربية المتحدة، ثم انفصال دولة سورية عن دولة الجمهورية العربية المتحدة.. الموضوع شيق لكن مصادره كانت قليلة جداً لكونه موضوعاً حديثاً وأمثلته محدودة.

كانت علاقتي مع البروفيسور تامس بين الجيدة وغير الجيدة، لأنني كنت أترك موضوع رسالتي وأهاجم القانون الدولي، حتى وصفته يوماً بالرجل الميت، وكنت أهاجم الأمم المتحدة ومجلس الأمن بالذات الذي يصدر القرارات ولا يلتزم بتنفيذها، وأشير إلى إسرائيل وكيف أنها لا تنفذ أي قرار دولي ومع ذلك نرى الدول الكبرى مهتمة بها.. وهكذا.. وكان الرجل في وضع حرج مرة يدافع ومرة يوافقني، لكنه يصر على أن القانون الدولي ضرورة من ضرورات العصر وأن العالم يضيع ويدمر ويصبح غابة دون قانون دولي ينظم العلاقات، وللحق أقول كان الرجل صبوراً معي يفهم موقفي كعربي لكنه لم يذكر يوماً كلمة توحي أنه مع قضيتنا أو حتى يتعاطف معها، حتى أصبحت أشك أنه يهودي، على الرغم من أنني قابلت يهوداً كثيرين في هولندا كانوا ضد دولة إسرائيل ويعتقدون أن إسرائيل سوف تدمر اليهود في العالم، لأنها تقوم على الصهيونية لا على اليهودية، ولأنها دولة عنصرية فاشية وزوالها أمر محتوم. ومعلوم أن هولندا من الدول التي استقبلت الأعداد الكبيرة من اليهود الهاربين من ألمانيا النازية وهتلر، وقد لجأت عائلات

هولندية كثيرة إلى حضانة الأطفال اليهود الهاربين وإخفائهم عن أعين المحتل النازي.. أصبح اليهود كثيرين وبالتالي سيطروا على اقتصاد البلد وبخاصة تجارة المجوهرات والبنوك.. لكنني والحق يقال لم أشعر يوماً بأنني مقهور أو مغبون كعربي مقيم في هولندا، كان القانون هو الساري وكان الهولندي لطيفاً مضيافاً لا يريد الإساءة إلى أحد على الرغم من تحيز بلده الواضح لإسرائيل.

أعود إلى إذاعة هولندا العالمية وأقول إنها كانت من الإذاعات الموجهة الناجحة والشهيرة في العالم وقد نالت الجائزة الأولى في سباق الإذاعات الموجهة التي تبث على الموجة القصيرة نالت الجائزة الأولى عدة مرات وتغلبت على إذاعة ال BBC (إذاعة لندن) التي كانت دوماً في المقدمة واللغات التي كانت تبث فيها هي: العربية - الانكليزية - الفرنسية - الإسبانية - البرتغالية - الأفريكانية (لغة جنوب أفريقيا) ومعلوم أن هولندا كانت تستعمر جنوب إفريقيا وأن السكان البيض هناك هم ذوو أصول هولندية. وعن القسم العربي أقول إن رئيسه الهولندي يعرف بعض كلمات بالعربية تعلمها عندما اتبع دورة في القاهرة لكن المسؤول الرئيسي في القسم هو الزميل عقيل هاشم نائب رئيس القسم والعمل في القسم يسير بيسر وسهولة ودون أي تعقيدات فكل زميل يعرف واجبه وحدوده ويتبع برنامجاً أسبوعياً محدداً.. وقد رفد القسم أثناء وجودي زملاء جدد منهم محمد بلجون من إذاعة صنعاء باليمن وعبد الرحمن باجنيد من إذاعة عدن باليمن وابراهيم الشيخ من مصر ويعقوب التوم من السودان وإلهام خليل من مصر. وقد كان برنامج «ندوة المستمعين» أول البرامج التي عملت فيها مع الزميل عقيل هاشم وهو أهم البرامج لأنه يتعامل مع المستمعين يلبي طلباتهم ويجيب على أسئلتهم، وقد فوجئت أنّ عدد المستمعين في الدول العربية شمال إفريقيا كبير والإذاعة مسموعة هناك أكثر من منطقة الشرق الأوسط. وكنت مع الزميل عقيل نستمتع بتقديم البرنامج على الهواء وبتبادل الطرف والمعلومات وكان من البرامج التي أعتز بها في حياتي الإذاعية وكان عقيل من الزملاء الذين تعلمت منهم الكثير وهو الأستاذ الإذاعي القديم. ثم بعد ذلك كان برنامج «بلا

حدود" برنامجاً سياسياً ثقافياً على مستوى جيد ، ولا شك أن برامج أخرى كثيرة قدمتها وأنتجتها خلال السنوات العشر في إذاعة هولندا كانت كلها ناجحة وتكتسب مستمعين كثيرين والحمد لله.

أسرة القسم العربي أمام بناء إذاعة هولندا العالمية

من اليمين الجلوس: السيد جون نورلاند مدير القسم، المذيع فاروق حيدر من سورية، السكرتيرة سن فان بازل من هولندا، الإداري حسن بكر من الأردن، المذيعة إلهام خليل من مصر.

من اليمين الوقوف: المذيع عقيل هاشم من فلسطين نائب رئيس القسم، المذيع محمد بلجون من اليمن، المذيع عبد الرحمن باجنيد من اليمن، المذيع فتحي المورلي من تونس، المذيع يعقوب التوم من السودان.

كان أجمل وأهم ما في إذاعة هولندا العالمية وجود معهد للتدريب الإذاعي والتلفزيوني تابع لها، وكان يختص باستقبال المتدربين المبتدئين من الدول النامية فقط، وذلك بميزانية تضعها شركة فيليبس الهولندية. كان المعهد يهيء دورات متعددة تشمل كل نشاط إذاعي أو تلفزيوني من تقديم وإعداد وإخراج وهندسة صوت وصورة وديكور وكل ما يخطر بالبال، إلى جانب الدورات البرامجية المختلفة. وكنت سعيداً جداً لأنني ما فرطت بدورة من تلك الدورات - عدا الدورات الهندسية طبعاً - ولأنني بعد أن اشتركت فيها طالباً متدرباً أصبحت بعد سنوات محاضراً مدرباً. وكان ذلك كسباً كبيراً لي وكان متعة لم توازها متعة إلا تلك عندما صرت أحاضر وأدرب في المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني بدمشق، لقناعتي التامة بأنني أقوم بواجبي تجاه زملائي وإخواني العرب في الدول العربية كافة وأعطيهم كل ما عندي، فالبخل في العلم والمعرفة أشنع وأسوأ أنواع البخل.

الآن وعندما أستعيد تلك الذكريات أشعر بالدهشة والاستغراب إلى جانب بعض الفخر والاعتزاز إذ كنت أقوم بواجبي تجاه المايكروفون، رفيق دربي وصديقي، وأتابع الدورات التدريبية، وأيضاً أتابع دراساتي وتحضير الدكتوراه.. ومع ذلك يبقى لديّ وقت للهو والمتعة. كل ذلك نتيجة تنظيم العمل ووضع جدول بكل ساعاتي يغطي كل تلك المهام، تلك ميزة حباني الله بها فأنا حتى اليوم أسير في حياتي حسب نظام موضوع إن لم يكن على الورق ففي ذهني، ولا أسمح للفوضى أن تدخل حياتي كما تدخل حيوات الكثيرين في مجتمعنا، ولأولئك الذين يعتقدون أن النظام في حياة الإنسان قيد يمحو كل متعة ويحيل الإنسان إلى آلة، لأولئك أقول إن ما يقولونه لا معنى له فالنظام لا يعني أن لا يعيش الإنسان حياته بجدها ومتعتها ومتعة النظام أكبر متعة لمن يحاول التقيد بالنظام والاقتناع به.

كان المرتب الذي أتقاضاه جيداً يفي بكل الحاجات ويهيء حياة كريمة فوق الوسط، وقد اكتشفت أن أجر كل مواطن هولندي يحدد حسب احتياجاته و يؤمن له الحياة الكريمة. وأذكر تلك اللجنة الدائمة والمؤلفة من ممثلين

للحكومة ولأرباب العمل وللعمال كانت تقوم كل ستة أشهر بمراجعة أسعار المواد المختلفة وتحدد مدى الزيادة التي طرأت عليها مهما كانت بسيطة ثم تجري حساباً يفضي إلى الزيادة الإجمالية للأسعار خلال الأشهر الستة الماضية، وتكون النتيجة أن تحسب نسبتها حسب أجر كل فرد وتدفع له كتعويض زيادة أسعار. هل أتحدث عن طريقة دفعها؟ يأتيني في مكتبي هاتف من محاسبة الإدارة يقول لي بكل لطف: «مستر حيدر هلا مررت بنا وقلت لنا مرحباً؟» وطبعاً عندما تدعوك المحاسبة فمعنى ذلك أنها ستدفع لك، لذا أجيب بحماس: «بكل سرور».. وأذهب وأجد مغلفاً باسمي يقدمونه لي وفيه مبلغ من المال مع بيانات مالية عنه. وكان عقد العمل الذي وقعته مع الإذاعة العالمية الهولندية يشمل التأمين الصحي ما عدا طب الأسنان، وتحضرني هنا حادثة جرت معي في بداية عملي حيث كنت أعاني منذ وجودي في سورية من تكرار التهاب اللوزتين، وعندما أصبت بهما ذهبت إلى طبيب المؤسسة وكان كبيراً في السن، فذكرت له أن ذاك يتكرر معي وكنت معتاداً في بلدي على المرور بالصيدلي ليحقنني بحقنة «ستربسيل» وهي ذات نسبة عالية من البنسلين، فأبدى دهشته وقال لي: «أنا لا أعطيك وصفة تلك الحقنة إلا عندما أجد أن الالتهاب وصل حداً ربما تموت منه في اليوم التالي».. كذلك رفض تحويلي لإجراء عملية استئصال اللوزتين. وبكل برود قال لي: «يمكنك استعمال حبوب ألم الحلق التي لا تحتاج لوصفة طبية».. قلت له: «إن هذا يعيقني عن عملي كمذيع».. أجاب ببرود أيضاً: «صحتك أهم من عملك مهما طال زمن شفائك».. لم أكن سعيداً بهذا، لكنني لا أستطيع الذهاب إلى طبيب آخر ولو فعلت لرفض الطبيب الآخر معاينتي لأنني أتبع طبيب الإذاعة، وكان أن انتظرت على مضض إلى أن ذهب طبيب الإذاعة في إجازته السنوية، فذهبت إلى الطبيب الشاب الذي حل محله حدثته بالقصة كاملة فضحك وقال: «هل تريد إجراء عملية استئصال اللوزتين؟» قلت : «أرجوك» فوافق وأحالني إلى المستشفى، لكنني أبديت له استغرابي من موقفه فقال: «باختصار هناك مدرستان في الطب: الأولى تفضل الإبقاء على اللوزتين كخط دفاع أول

للجسم ولا توصي باستئصالهما وتلك مدرسة الطبيب الذي أحل محله و هو أستاذي، وهناك مدرسة أخرى توصي باستئصالهما إذا أصبحتا مكان إزعاج دائم لصاحبهما، كما هو الحال معك. وأرى أن تسرع بإجراء العملية قبل عودة الدكتور الأستاذ» وهكذا فعلت.. لكنه عندما عاد وقرأ في اضبارتي إجرائي للعملية لم يكن سعيداً. وقد ظهر هذا بوضوح في أول استقبال لي بعد ذلك حيث قال: «ما كان عليك أن تلعب هذه اللعبة وتنتظر غيابي». فاعتذرت ولم أقل له إن سكرتيرة القسم العربي في الإذاعة العالمية هي التي نصحتني ودلتني على الطريق. وإن تلميذه الطبيب الذي حل محله لم يبد أي ممانعة بإجراء العملية والتخلص من ذاك العبء الذي عانيت منه طويلاً، وللفائدة الصحية أفيد بأنني لا زلت عندما أصاب بنوبة برد أحس أول ما أحس بالتهاب مكان اللوزتين وكأنما قد نمتا من جديد.

سعدت خلال وجودي في الغربة بزيارات كانت تخفف من وطأة البعد عن الوطن الحبيب وعن الأهل والخلان، زارتني ست الحبايب التي كانت تبدي انبهارها بجمال الطبيعة، فكلما أرسلت بصرها عبر النافذة الواسعة في غرفة الجلوس والنافذة الواسعة الأخرى في المطبخ، وكلما ذهبنا إلى حقول الزنبق بألوانها الزاهية المختلفة التي كنت أعشق التردد عليها، كانت تقول: «سبحان الله.. هذه يا ولدي جنة الله في أرضه».. كذلك زارتني أختي الكبرى التي لم تهنأ لبعدها عن ابنها الوحيد وزوجها فاختصرت زيارتها، وأختي الصغرى التي تمنت أن تبقى معنا لكن دراستها كانت تناديها. وسعدت أيضاً بزيارة أخي وزوجته وابنهما عبد الوهاب حيث حضر أخي دورة في معهد الدراسات الاجتماعية في مدينة لاهاي مبعوثاً من عمله في دمشق، ولا أنسى الانطباع الذي عاد به الصغير عبد الوهاب وكان في الثالثة، كما أعتقد، حيث بات يحلم بعد عودته بمستقبل زاهر يؤكد أنه سيكون فيه: «زبالاً هولندياً»، فقد لفت انتباهه اللباس البرتقالي الذي كان يرتديه عمال التنظيف في هولندا والذي كان نظيفاً أعجب به. وأذكر أن كثيرين آخرين من الأقارب والمعارف قصدوني لشوقهم ولتطلعهم إلى زيارة بلد أوروبي متقدم وذي شهرة بدماثة أهله وجمال

طبيعته. ولم يتوان أصدقائي أفراد شلتنا التي تعود صداقتنا إلى أيام الدراسة الإعدادية والثانوية ولا تزال مستمرة والحمد لله، لم يتوانوا عن زيارتي فأحدهم جاءني وعروسه وقضيا جزءاً من شهر عسلهما في هولندا (الأخ عبد الرزاق الكسواني)، وآخر جاءني خصيصاً من دمشق وكان طوال الوقت يمنّ علي بأنه قطع آلاف الكيلومترات فقط لرؤيتي (الأخ إحسان خانجي)، ولما صحبته في بداية زيارته إلى أمستردام المدينة الكبيرة، راقت له مظلة نسائية طويلة اليد فاشتراها لزوجته لكنه ندم بعد ذلك لأنها كانت عبئاً عليه في تحركاتنا عبر الأزقة الضيقة المزدحمة على قنوات أمستردام طوال اليوم، وبقيت عبئاً عليه إلى أن طمأنني بوصولها معه سالمة إلى دمشق فهنأت زوجته الكريمة على وصولها وتمنيت أن تستعملها أكثر ما يمكن.. لكن لا أدري هل فعلت أم لا؟ لم تكن مناسبة لنا ولبيئتنا. وصديق آخر زارني وعائلته في طريق عودتهم بالسيارة من دبلن عاصمة ايرلندا، وكان يتابع دراساته العليا فيها و هو الأخ (محمد التيناوي) وقد أمضينا معاً أوقاتاً طيبة لا تقل جمالاً عن الأيام التي كنت قضيتها عند زيارتي له وتجوالنا في ربوع ايرلندا الجميلة. وكذلك جاءني صديق آخر كان يتابع دراسته في باريس حيث هيأ لي لدى زيارتي له برنامجاً مسح فيه كل باريس التي بت أعرفها كما أعرف مدينتي الحبيبة دمشق وهو الأخ فاروق الباشا.

كل تلك الزيارات كانت نفحات طيبة أعادتني إلى ربوع بلادي الرائعة بكل ذكرياتها الأثيرة إلى قلبي.. لكنني أسفت لأن والدي، رحمه الله، لم يستطع زيارتي إذ كان يعاني من مرض في القلب ولا ينصح بركوب الطائرة.

ومما أسعدني أيضاً تلك الحادثة الفريدة التي جرت معي: فقد وصلتني يوماً رسالة من سورية الحبيبة مكتوب على مغلفها: «هولندا - فاروق حيدر» .. فقط تلك الكلمات الثلاث ومع ذلك فقد وصلتني، وكانت من خالة لي، رحمها الله، اعتقدت أن ابن أختها شخصية كبيرة معروفة في كل أنحاء هولندا، كانت تلك الرسالة حديث الأهل في سورية وحديثي في هولندا. لكن.. كيف وصلت؟..

موظفو البريد في العاصمة أمستردام عرفوا أن الرسالة قادمة من دمشق والكتابة باللغة العربية، وهم يعلمون أن القسم العربي في إذاعة هولندا العالمية في مدينة هلفرسوم القريبة من امستردام يتلقى رسائل كثيرة بالعربية فوضعوها بين رسائل الإذاعة فوصلتني بكل بساطة.. ومن جديد لا أريد اللجوء إلى أسلوب المقارنة لعدم إيماني بعدالة المقارنة، فأنا منذ البداية أحاول تجنب المقارنة بين ما يجري عندنا وما يجري في أماكن أخرى، ربما تجنباً للألم الذي قد تسببه تلك المقارنة، لكنني أتساءل: هل ذاك الألم الذي أخشاه يزول إذا لم أقارن؟!!!

عندما بدأت عملي في إذاعة هولندا العالمية أعلمتني سكرتيرة القسم أنني أحتاج لإجازة سواقة سيارة هولندية: أخذت إجازة السوق السورية التي أحملها واتصلت بالدائرة المختصة هاتفياً ثم أرسلت الإجازة السورية مع ترجمة لها وصور وبعد يومين جاء الجواب في مغلف يحوي الإجازتين السورية والهولندية.

وأذكر أنني أردت الاستفهام مرة عن موضوع إقامتي، فذهبت إلى دار البلدية وعجبت لعدم وجود مراجعين، بل كل موظف يعمل في جو هادئ ولطيف، وعندما وصلت للموظف المختص لأسأله، أجابني بكل لطف بعد أن رحب بي وسمع سؤالي وقال لي: في المرة القادمة عندما تريد أي استفهام لا لزوم لأن تأتي إلينا وتضيع وقتك، يمكنك الاتصال هاتفياً ونحن نلبي طلباتك، هذا غيض من فيض، و لا أدري هل يدعوني إلى مقارنة ما؟؟

أتاح لي وجودي في هولندا زيارة كل الدول الأوروبية وعلى الرغم من أنه كان يتوجب علي كأجنبي التوقف عند تجاوز حدود دولة إلى دولة أخرى للحصول على تأشيرة دخول إلى كل دولة أقصدها، فركوبي سيارتي التي هي هولندية كان يتيح لي أن أنتقل بين الدول الأوربية بسهولة لأن الأوربيين لا يحتاجون لتأشيرات تنقل بين دول أوروبا، كانت تلك الحقيقة تشغل تفكيري دوماً، وأغلق عيني وأحلم بأن الدول العربية ستحذو حذو الدول الأوربية في المستقبل، وكنت، ولا زلت، مهتماً جداً بالسوق الأوروبية المشتركة وكيف بدأت باتفاقية الفحم الحجري وتطورت وتوسعت حتى شملت كل الدول الأوروبية، وما أزال

أحلم، حتى اليوم، في أن نبدأ بوحدة اقتصادية ليست صعبة كصعوبة الوحدة السياسية. في تلك الأيام بين منتصف الستينات ومنتصف السبعينات من القرن الماضي كانت لكل دولة أوروبية عملتها وكانت انكلترا خارج السوق، ومع ذلك كان الإنجاز كبيراً، وبالعلم والإخلاص توصلت دول أوروبا، ذات اللغات المختلفة وأصول شعوبها المختلفة، إلى توثيق وحدتها الاقتصادية بالاعتماد على عملة واحدة هي اليورو وعلى وحدة ديبلوماسية تتيح للأجنبي إذا ما حصل على تأشيرة دخول إلى دولة أوروبية محددة أن يعتبر تلك التأشيرة لكل الدول الأوروبية. يا إلهي.. لماذا ولماذا ولماذا؟و.. متى ومتى ومتى؟ هل يتحقق الحلم قبل أن أموت؟ هل ستشهد عيناي وحدة عربية تمحو كل الآثار السلبية التي حفرت في داخلي عن انفصال وحدة سورية ومصر؟ هل سأتمتع بالعيش في سوق عربية مشتركة وبعملة عربية واحدة؟ الدينار العربي متى سنقبض أصابعنا عليه بقوة وحنان وكأننا نقبله؟ للأسف الشديد لن يتم شيء من هذا في زماني، فهلا تم في زمن أولادي؟ أو أولاد أولادي؟ المهم أن يتم وتتحقق دورة التاريخ ويصبح للعرب قوة وبأس و كيان محترم في العالم، بمستقبل زاهر قد يعوض لأحفادنا بعض ما عاناه أجدادهم.. اللهم أبعد عنهم الاحباط.. أبعد عنهم الكسل والتواكل.. الله أيقظهم أيقظهم أيقظهم.

ومما يجدر ذكره هنا زيارتي جنوب إسبانيا (بلاد الأندلس) ومدينة «ماربيا» بالذات، ومشاهدتي تاريخنا الذي اندثر: قصر الحمراء في غرناطة وغيرها من المدن التي بناها الأجداد الفاتحون وخلفوا فيها تاريخاً من مساجد وقصور. وفي قرطبة هزني مشهد باب حجري في أحد الفنادق لا زالت عليه الآيات القرآنية المحفورة وقد حولوه إلى بار، أصبح باباً للبار في الفندق إلى جانب بعض المآذن التي قصّ قسمها العلوي. ولا أنسى ذاك الدليل السياحي في قصر الحمراء وهو يري السياح أجزاء القصر ويتحدث بسخرية عن ملوك الأندلس وعن زوجاتهم الكثيرات و.. و.. وماذا أقول؟ لكن ما لفت انتباهي أن شعب الأندلس بالذات شبيه جداً بنا، بكل تصرفاته هذا عدا عن شكله الخارجي ولولا اللغة لتصورت أنني في بلد عربي شقيق.

كذلك علي الإشارة إلى أن ألمانيا المحاذية لهولندا كان لها النصيب الأكبر من زياراتي إذ كان لي فيها، وفي مكانين مختلفين، صديقان حميمان أتبادل الزيارات معهما باستمرار، فالصديق الكبير الأستاذ يوسف زخور الذي كان يوماً أستاذي في جامعة دمشق يقيم في بون عاصمة ألمانيا الغربية آنذاك وكانت لقاءاتنا دائمة، وأذكر يوماً جاءني فيه إلى هولندا ومعه الأستاذ الكبير زكي الأرسوزي الذي كان يزوره وأمضينا معاً وقتاً طيباً استمتعت فيه بأحاديث الأستاذ الأرسوزي الطريفة والقيمة. أما الصديق الآخر فكان الدكتور جودت شوفان الأخ العزيز الذي أراد يوماً أن يحصل على الجنسية الألمانية فغضبت منه ومنعته لأنه كان عليه أن يتنازل عن الجنسية العربية السورية، ولكن فيما بعد صار يحق للسوري أن يحمل جنسية أخرى إلى جانب جنسيته بحيث أصبح الدكتور جودت ألمانياً مع عائلته.أما الأستاذ زخور عاد إلى سورية بعد أن عدت وتوفي في بيته بدمشق، والدكتور جودت بقي في ألمانيا وتوفي فيها، رحمهما الله. ولأن وجودهما قريباً في خلال كل سنوات الغربة تلك فربما يأتي ذكرهما في أماكن أخرى من هذه المذكرات ولكن في مواقف أخرى غير ما ذكرته الآن.

أنا لا زلت اجزم بأنني لا أبتعد عن حديث المايكروفون عندما أستطرد في أحاديث جانبية لأن وجودي في هولندا ما كان لولا المايكروفون ولأن بقائي عشر سنوات ما تم لولا مشواري مع المايكروفون، فهل أتجاهل كل الأحاديث الجانبية وأركز على حديث المايكروفون؟ تساءلت هذا التساؤل لكنني لم أطل التفكير، أجبت مباشرة: مررت بتجارب عديدة وكبيرة تستحق أن تذكر فإذا لم أذكرها فكأنما أظلم القارئ الكريم: أوصله إلى هولندا وأبقيه في محيط إذاعة هولندا ومايكروفون هولندا.. لا.. لن أفعل.. سأكتب كل ما أذكره وأجد فيه علامات إيجابية يمكن أن تفيد ويمكن أن تتيح لمن لم يحالفه الحظ بالعيش في دولة متمدنة خارج بلده أن يطلع على بعض الصور المفيدة المضيئة أملاً في أن يكون في بلدنا صور وصور وصور كلها مضيئة منيرة إن شاء الله.

يطرح هذا الحديث السؤال الذي لابد وأن يطرح: لم قصرت الأمة العربية وتقصر في التمسك بأخلاقيتها والإيمان بمبادئها القومية ومن ثم النضال من أجل تحقيق أي إنجاز يمكن أن يكون لبنة في البناء الأمثل الذي نحلم به؟ هذا السؤال الذي لا يحتاج إلى جواب يقود إلى الحديث عن أوضاع العرب في ديار الفرنجة و أبدأ بنفسي فأقول: تركت وطني مقهوراً محبطاً مدحوراً مكرهاً وفي قلبي الكثير من الأسى على ما نحن عليه، والكثير من الحقد على الذين يسيئون للبلد ويحطمون كل جميل فيه. وفي هولندا وفي كل موقف أجتمع فيه مع الفرنجة الأجانب ويعرفون أنني عربي سوري يبدؤون بطرح الأسئلة، وبلا شعور أتناسى كل ضغينة وكل الإحباط الذي عشته، وأتخيل بلدي جميلاً رائعاً، رجاله طيبون ومواطنوه طيبون والطيبات للطيبين. أدافع عنه وأستعد لأن أنشب أظافري في عيون كل من يقول كلمة لا تروق لي. أنا الآن بعيد عن وطني أحن إليه وأدافع عن وجوده وحتى عن أولئك الذين أساؤوا إلي. أفعل ذلك دون تردد ولا أذكر مرة سئلت عن وطني وقلت إنها سورية العربية إلا وينطلق اسم واحد: «ناصر» «أنت من بلد ناصر إذا».. ولأن ذاك شرف لي لا أحاول أن أقول إن «ناصر» مصري وأنا سوري فكلانا عربي. منذ بدأ اغترابي عام ١٩٦٥ وحتى عودتي ١٩٧٥ كان ناصر، في حياته وبعد مماته، هو النسب لكل عربي في بلاد الفرنجة. ولا أذكر مرة تحدث فيها أجنبي عن «ناصر» إلا أشاد به واعتبره زعيماً عظيماً على الرغم من أن غالبيتهم تناصر إسرائيل وتدافع عنها.

في بداية وجودي بهولندا دعيت إلى حفل عشاء يقيمه اتحاد الطلبة الهولندي للطلاب الأجانب الذين يتابعون دراستهم في هولندا، وكان جلوسنا إلى طاولات كبيرة ممدودة وعليها المآكل والمشارب، وفي لحظة صمت مع من حولي استرعى انتباهي طالب مصري قبالتي على المائدة وبجانبه طالبة عرفت من لهجتها الانكليزية أنها أمريكية. كان الحديث ساخناً وكان الطالب المصري يبين بحماس زائد كيف أن «ناصر» خرب مصر وأساء إليها بينما الطالبة الأمريكية تنظر إليه بعينين مفتوحتين دهشتين قالت له: «يكفيه فخراً أنه بنى السد العالي..» فأجاب الطالب المصري: «السد العالي؟ إنه مصيبة أضرت بمصر

وبميزانية مصر - بزراعة مصر».. لم أستطع ضبط أعصابي وصرخت به بالعربية: «أيها الكاذب.. ألا تخجل من نفسك.. لنفرض أنك لا تؤيد عبد الناصر هل تسمح لك نفسك أن تهاجمه أمام الأجانب؟» وفوجئ الشاب وكالعادة جبن عن التصدي لي، فوجهت كلماتي إلى الطالبة الأمريكية، وكنت مضطراً لأن يكون صوتي عالياً كي تسمعني، قلت لها: «لا تصدقي كلمة واحدة مما قاله، هذا الشاب موتور».. وقبل أن أنهي كلامي تبسمت وقالت بهدوء: «مشكلته أنني أهيئ رسالة الدكتوراه عن السد العالي وأنني أعرف كل الحقائق بالأرقام، لكنني لم أكن أتصور أن أجد مصرياً يهاجم بلده بهذا الشكل. هل أنت مصري؟» قلت لها: «أنا عربي أولاً، وسوري ثانياً، وصدقيني لو كان في حديثه شيء من الحقيقة لما تدخلت وأنا أشك بأنه مصري، انظري كيف يخفض رأسه وقد علم عبد الناصر كل المصريين أن يرفعوا رؤوسهم دائماً».

وكأنني شعرت بقسوة رد فعلي فأردت أن أقيم حواراً مع المصري لأفهم منه سبب تورطه في تشويه الحقائق لكنه ترك طاولة الطعام ولم ألقه طوال السهرة بعد الطعام، قلت لنفسي ربما كان محبطاً وهارباً من النظام في مصر ويريد شن هجوم أحمق عليه يسيء فيه إلى نفسه لا إلى النظام في بلده، لكن.. مع الأسف ضاع مني. بالمقابل حدث وتعرفت إلى طالب مصري آخر في الدراسات العليا وأصبحنا صديقين لكننا كنا نختلف حول عبد الناصر كان يتهم السوريين جميعهم بأنهم مساكين استطاع ناصر أن يخدعهم وكان يعتبره دكتاتوراً ويتمنى اليوم الذي ينزاح فيه عن مصر. على الرغم من ذلك لم يقم مرة واحدة بالحديث عن عبد الناصر هكذا أمام أي أجنبي، كان حديثه ذاك لي بعد أن أصبحنا صديقين. وشتان بين الطالبين المصريين في بلاد الغربة.

كنت سعيداً لأنني تعرفت بعرب كثيرين ومن الأقطار العربية كافة تقريباً وقد كنت مهتماً بأن أقارن بينهم لأبرهن أننا من قومية يعربية واحدة، فما دامت لغتنا واحدة وهي لغة القرآن الكريم وما دمنا من دينين سماويين يجمعهما المصدر وتجمعهما المبادئ فلا شك أن نجد تقارباً في تفكيرنا وفي أخلاقنا وفي سلوكنا وما إلى هنالك من فوارق لابد منها، تقترب وتبتعد حسب

البلد العربي الذي ينتمي إليه كل منا. ومما وجدته أن أقرب الناس إلينا، نحن السوريين، السودانيون ثم التونسيون. وما أقصده بالقرب هنا التقارب في شخصية الفرد وفي معتقداته وفي صفات عامة محددة يفضلونها على صفات أخرى ويجدونها في غاية الأهمية فالاهتمام بالكرامة والتوسم بالصراحة والجرأة في القول والفعل ثم الإيمان بالوحدة العربية، ولو أن الأخوة في شمال إفريقيا يضعون الدين قبل القومية غالباً. المهم أن أؤكد هنا على أن ما أكتبه صدر عن قناعة شخصية قد تكون مخطئة لكن تجاربي مع الجميع أوصلتني إلى نتائج قد لا يوافق عليها الجميع وقد تكون غير واقعية لكنها جاءت معي بالمصادفة. أنا لا أشكك برأيي لأنني مقتنع به لكنني أترك للآخرين آراءهم وأضع إمكانية أن تكون آراؤهم أقرب إلى الصحة من رأيي، ولم لا؟ أنا أسرد مذكرات حدثت معي وأستنتج استنتاجات، مجرد استنتاجات.

ولابد أن أذكر تلك العلاقة المضيئة التي كانت قائمة بيني وبين صديق قديم من سورية ومن مدينتي يبرود بالذات حيث كان مقيماً في ألمانيا الغربية يعمل طبيباً مختصاً في إحدى المستشفيات، وقد التقينا منذ بداية إقامتي في هولندا وكنا نتبادل الزيارات والمشاوير فسهولة الطرق واتساعها في أوروبا تقصر المسافات. وكانت عطلة نهاية الأسبوع تجمعنا في ألمانيا أو في هولندا.. وعلى الرغم من أن ألمانيا وهولندا جارتان إلا أن الاختلاف كبير والتباعد واضح بين الشعبين فبقدر ما صادفت من طيبة الهولنديين وانفتاحهم على الأجنبي، صادفت في ألمانيا جفاء الألمان وانغلاقهم على الأجنبي. في هولندا يمكن للأجنبي أن يستوقف أي سائر في الطريق ويستفهم منه عن عنوان مثلاً فيتحمس الهولندي ويحاول أن يحدث الأجنبي السائل باللغة التي يتحدث فيها، إنكليزية كانت أم فرنسية أم ألمانية لأن اللغات الثلاث تدرس في المدارس إلى جانب اللغة الهولندية أو ما يسمونها بالفلمنكية، أما في ألمانيا فعندما يسأل أجنبي ضائع عن عنوان ما باللغة الانكليزية مثلاً يفهم الألماني طلبه لكنه يصر على إجابته بالألمانية. وتحضرني هنا حادثة طريفة جرت معي شخصياً فقد أراد صديقي الدكتور جودت أن يرحب بي بعد وصولي هولندا فأقام حفلة في منزله

في ألمانيا ودعا إليها أصدقاءه وصديقاته كي أتعرف بهم ويتعرفوا بي.. وبدأت الحفلة وبدأ أصدقاء وصديقات صديقي يتوافدون لكنهم كانوا يصرون على التحدث بالألمانية وأزعجني هذا لأنني لم أكن أفقه شيئاً من الألمانية، وعندما شعر صديقي جودت بانزعاجي قال لي: لا تنزعج، انتظر قليلاً حتى يشربوا وتحل عقدة لسانهم وينسون أنهم ألمان، ستراهم يتسابقون إلى التحدث معك بالإنكليزية وهذا ما حدث فعلاً. في نهاية السهرة كان الحديث كله بالانكليزية وقد توطدت العلاقات واتسعت الأحاديث، لكن عندما أقمت حفلة لصديقي في هولندا كانت الصورة منعكسة تماماً، كان الجميع يحدثونه بالألمانية دون تردد. ويبدو أن هتلر قد ولد لدى الألمان ذاك الشعور بالفوقية الذي لم يحاولوا أن يتخلصوا منه بل بالعكس ربما وجدوه شعوراً يناسب نفسياتهم فأبقوا عليه وخلفوه لأولادهم. وطبعاً في هذه الأمور يصعب التعميم لكن الأحداث تنبئ عن كثير. اصطحبني صديقي الدكتور جودت اصطحبني يوماً إلى صديق ألماني له أكبر منا عمراً وكان طبيباً مشهوراً يعيش مع عائلته في بيت أقرب إلى القصر، أقل ما يمكن وصفه أن فيه مسبحاً داخلياً مسقوفاً وباراً صنع بشكل ساحر وفوق البار لوحة كبيرة تمثل منظراً طبيعياً، وأذكر تماماً المشهد الذي فاجأنا به ذاك الطبيب إذ وبعد أن شرب بضعة كؤوس ضغط زراً فانقلبت اللوحة إلى الوجه الخلفي فإذ بها صورة مكبرة لهتلر وهو يحيي الجماهير أمامه وقال: «هذا هو الرجل». ربما لا تعني هذه الحادثة الكثير لمن يقرؤها لكنها بالنسبة لي عنت شيئاً واحداً: لا زال الكثيرون بل يمكن القول غالبية الألمان يحنون إلى أيام هتلر والانتصارات التي حققها للألمان، ويحلمون بالأمجاد على الرغم من أنها انهارت جميعها ودمرت ألمانيا والعالم معها. رحم الله صديقي الدكتور جودت فقد مات في ألمانيا ودفن فيها وبقيت زوجته السورية وابنه وابنتاه في ألمانيا بعد أن أصبحوا ألماناً.

أذكر أنني قررت مع جودت المجيء إلى الوطن بعد سنوات من الانقطاع ولأول مرة منذ رحيلي وقد نفذنا ذلك بالسيارة وبدأنا من ألمانيا من بيت الصديق جودت في ٧/٢٦ إلى مدينة بون عاصمة ألمانيا الغربية ثم مدينة

ميونخ الألمانية ومنها إلى فيينا عاصمة النمسا حيث وصلناها في ٧/٢٨ في السادسة صباحاً، وأعجبت بطراز بنائها الذي يعود أغلبه إلى القرون الوسطى وتبدو عليها العظمة والتماثيل تملأ الشوارع، وواصلنا طريقنا إلى بودابست عاصمة المجر للاجتماع بالصديق ياسين الذي كان يحضر مؤتمراً فيها، وتمتاز بودابست بضخامة المدن العريقة حيث يخترقها نهر الدانوب العظيم، وفي ٧/٢٩ غادرنا بودابست إلى بلغراد عاصمة يوغوسلافيا آنذاك وهي مدينة حديثة بنيت بعد الحرب العالمية التي دمرتها ثم إلى صوفيا عاصمة بلغاريا ومنها إلى مدينة بلوفديف على الحدود التركية، ووصلنا اسطنبول أجمل المدن التي شاهدتها في حياتي بقسميها الآسيوي والأوروبي ونزلنا في فندق يطل على بحر مرمرة. وكانت تركيا آنذاك من دول العالم الأكثر رخصاً في تكاليف المعيشة وفيها جامع أياصوفيا الشهير والمتحف وهو أحد قصور السلاطين وجامع السلطان أحمد الضخم، ولفت انتباهي التقدم الكبير والاهتمام بالسياحة والسياح وشبكة الطرق الفخمة والجديدة والكبيرة، حيث يقال إن أمريكا ساهمت في إنشائها. وصلنا اسطنبول في ٧\٣١ وغادرناها في ٨\٢ عابرين الدردنيل إلى الجزء الشرقي من المدينة حيث تبدأ قارة آسيا والفرق كبير وواضح بين جزئي المدينة الأوروبي والآسيوي. ثم اتجهنا إلى مدينة «أضنة» ومنها إلى اللواء السليب لواء اسكندرون حيث زرنا مدينتي اسكندرون وإنطاكية وفوجئنا بترحيب الباعة والأهالي بنا لأنهم سمعونا نتكلم العربية، وحدثونا عن منع السلطات التركية لهم من كتابة أسماء المحال بالعربية أو تعليم أولادهم العربية لكنهم يفعلون ذلك سراً. ووصلنا الحدود السورية التركية ومع الأسف الشديد بدا الفرق واضحاً بين الطرفين من حيث الطرق والنظام وحتى جمال الطبيعة، وبوصولنا قطعنا ما يقارب الخمسة آلاف كيلو متر. وقد قمت بهذه الرحلة أكثر من مرة بالسيارة وكانت آخرها عندما قدمت عائداً للإقامة في وطني ووصلته في الأول من مايو أيار ١٩٧٥.

بقي أن أذكر بعض الأحداث التي عاصرتها في السنوات الهولندية العشر والتي لا أنساها مطلقاً.

أولها نكسة ٥ حزيران / يونيو ١٩٦٧ حيث كانت أنباؤها التي تصلنا دقيقة وآنية عن طريق وكالات الأنباء التي تصب أنباءها في الإذاعة. لن أتحدث عن الصدمة التي اعترت كل العرب وبخاصة نحن العاملين في إذاعة هولندا والمجتمعين معاً طوال الوقت، لكنني لا يمكن أن أنسى تلك الصورة المحفورة في داخلي عن رجال يبكون، نعم.. اجتمع الزملاء في بيتي بعد أن انتهى عملنا في الإذاعة وصرنا نتابع الأنباء، وكانت المشكلة أننا شعرنا بالمصيبة النكسة، لكننا كنا نود لو نرفضها فنهرع إلى الإذاعة العربية، وبخاصة إذاعة القاهرة التي كانت تسمع جيداً في هولندا تاركين كل وكالات الأنباء التي تتحدث بالتفصيل عن مجريات المعركة، أردنا أن نصدق ما تذيعه إذاعة القاهرة من انتصارات الجيشين المصري والسوري ومن إسقاط الطائرات و.. و.. و.. لكننا مع ذلك كنا نبكي.. نبكي الأمل الضائع، كان المصري والفلسطيني والأردني والعراقي والسوري.. كنا معاً نبكي. ويا لها من لحظات بائسة تلك التي يبكي فيها الرجال.. أيقنا أننا في الحضيض، وبدأنا نشعر بالخجل من ملاقاة الهولنديين الموالين، بغالبيتهم، لإسرائيل «تلك الدولة الصغيرة التي يريد العرب من حولها أن يدمروها». وفي اليوم التالي وكان علينا أن نذهب إلى عملنا في الإذاعة فضلنا أن نستعمل النظارات الشمسية لتغطي عيوننا المتعبة من البكاء والتي تخجل النظر في عيون الآخرين. كان الانهزام تحطيماً لكرامة كل عربي.. وماذا نقول؟ وكيف سنبرر موقف اولئك الذين خذلونا ورخّصوا كرامتنا؟ لقد عانينا كثيراً من حرب حزيران وعدوان اسرائيل واحتلالها أراضينا في الجولان وسيناء والضفة الغربية والقدس.. وماذا أيضاً؟ هل بقي شيء يمكن أن نفخر بأننا حفظناه ولم نسمح للدولة المسخ أن تحتله؟ وهل هناك أغلى من القدس؟. ومن المهم أن أقول إن خجلنا كرجال إعلام ليس فقط لانكسار جيشينا بل للإعلام الفاشل والكاذب والبعيد عن الموضوعية الذي كانت تبثه إذاعاتنا وصحفنا ولا أدري من كانت تريد أن تغش وعلى من كانت تحاول أن تحتال؟ على الشعوب؟ تباً وتباً وتباً.

الحدث الثاني من الأحداث الهامة في حياتي الهولندية حصولي على درجة الدكتوراندوس في القانون الدولي العام أواخر عام ١٩٦٩ والحمد لله. ومما أود التطرق إليه في هذا المجال ما تعلمته في البلاد المتقدمة من أن الحصول على درجة علمية لا يعني أن تصبح تلك الدرجة العلمية عكازاً يتوكأ عليه صاحبها ويجعلها المفتاح الذي يفتح الأبواب، وكأن كل إمكاناته قد اندثرت ولم تبق إلا تلك الشهادة: الدال نقطة (د.). وللأسف فإن مجتمعنا يضم إلى عقده الكثيرة هذه العقدة بحيث يشعر من يحمل فعلاً الدرجة العلمية، يشعر بأن عليه ذكرها في كل مناسبة ولصقها باسمه كي يصير اسمه ليس فلاناً بل: الدكتور فلان. أذكر أن المشرف على رسالتي في الجامعة والذي أصبح في المراحل الأخيرة من حصوله على شهادته، تخرج وأصبح يحمل اللقب الذهبي: الدكتور. هرعت إليه وهنأته قائلاً له: «أنا سعيد من أجلك يا دكتور مايرز»" فنظر إلي ببرود وقال لي: «أرجوك، نحن لا نستعمل اللقب العلمي للمخاطبة. يمكنك مناداتي كما كنت تفعل قبلاً: «أنا المستر مايرز وأنت المستر حيدر. قد حصلت على الدكتوراه لا كي يناديني الناس بها بل كي أضعها قبل اسمي في المحافل العلمية فقط. فكلمة سيد أهم بكثير من الدرجة العلمية سواء أكانت ماستر أو دكتور أو بروفيسور». ذكرك الله بالخير يا سيد مايرز فقد علمتني الدرس المهم الذي يجب أن نعيه هنا في مجتمعنا وبخاصة بعد تلك الفوضى التي وصلناها بحيث صارت درجة الدال نقطة (د.) تطلق ببساطة وسهولة وصار كل مدع يعتنق (الدال نقطة) ويقرنها باسمه كي يحترمه الآخرون، لكنه بذلك يجهل أو يتجاهل أنه لا يحترم نفسه بل يشعر بصغر قيمته وبحاجته إلى (الدال نقطة) كي ترفع من قيمته، قد أصبحت (الدال نقطة) رخيصة - مع اعتذاري الشديد لمن استحقها بجدارة ولمن يشعر بالفرق الهائل في المجتمع بين أن يذكر اسمه مجرداً أو يذكرها قبل اسمه مضطراً - وأنا أستغرب وأصاب بالدهشة عندما أفاجأ بإنسان يوجب عليه عمله ألا يجد وقتاً لتحضير الدكتوراه - كأن يكون وزيراً مثلاً - لكنه، وبقدرة قادر، يعتنق مبدأ (الدال نقطة) ويلحق اسمه بها.

ولابد من الإشارة في هذه العجالة، ما دمت أتحدث عن درجة الدكتوراه إلى أن التعليم العالي في هولندا، وكذلك في باقي دول أوروبا، محدود بالأشخاص الذين يريدون مواصلة العلم والبحث والمعرفة كأن يكونوا عاملين في الجامعات أو المراكز العلمية، أي أن الأمر ليس كما هو الحال في بلادنا: كل طالب يريد مواصلة الدراسة والحصول على أعلى الدرجات. في هولندا يكتفي الطالب بالحصول على شهادة الدراسة الثانوية ثم يحدد مستقبله كي يدخل المدرسة المهنية الخاصة بمهنته القادمة، فإذا كان يريد أن يعمل لحاماً مثلاً عليه الحصول على شهادة تخوله فتح محل لحام والتعامل مع لحوم الحيوانات المذبوحة والمعدة للبيع، وقد ذكر لي أحد اللحامين أن المدرسة المهنية الخاصة بتخريج اللحامين تدرس جسم الحيوان من بقر وأغنام وخيول كما يدرس طلاب الطب جسم الإنسان، تفصيلاً وبكل جزئياته. وهكذا الحال في كل المهن ، لكل مهنة شهادتها العلمية التي تخول حاملها الانخراط في المهنة والعمل فيها. وتبقى الدراسات العليا لمن يريد أن يكون أستاذ جامعة مثلاً أو باحثاً .. وهكذا، بحيث أن عدد الطلبة الذين يتابعون الدراسة الجامعية ليس كبيراً وأقل منه عدد المتابعين للدراسات العليا. وأتساءل: هل يمكن أن نصل إلى هذه المرحلة في بلدنا بعد أن أصبح خريجو الجامعات عندنا يشكلون أعداداً ضخمة ويساهمون في رفع نسبة البطالة؟.. الحل كما أراه هو الاهتمام بالمعاهد والمدارس المهنية المختصة واشتراط شهادة المهنة العلمية لكل من يريد أن يعمل في مهنة من المهن.

الحدث الثالث كان في الأول من أيلول عام ١٩٧٠ أو الفاتح من سبتمبر كما يقول إخواننا في ليبيا حيث رزقني الله بابنتي أوّل أولادي «نظمية عالية»: «نظمية» تيمناً بوالدتي و«عالية» كي تستعين به عندما تكبر وعندما تجد في اسمها الأول بعداً عن العصر، وما توقعته حصل فعلاً فابنتي الحبيبة الغالية تتوكأ على اسمها الثاني «عالية» هرباً من اسمها الأول «نظمية» أما نحن فقد اهتدينا بسرعة إلى حل مقنع للجميع فصرنا نناديها : «نانا» وهذا وفر علينا زعل الوالدة الحبيبة التي بقدر فرحها عندما تيمنت باسمها بقدر انزعاجها عندما تلحظ أن حفيدتها تتهرب من اسمها. هذه الابنة الحبيبة نظمية عالية لعبت دوراً هاماً في حياتي سوف يأتي الحديث عنه لاحقاً.

الحدث الرابع كان وفاة جمال عبد الناصر في ١٩٧٠/٩/٢٨ .. فوجئت بجرس الباب يقرع باكراً و سمعت عبر الانترفون صوت الزميل عقيل هاشم يقول لي بحزن وأسى: أنا آسف لإخبارك، قد توفي جمال عبد الناصر، لم أستوعب ما قاله عقيل مباشرة فقد كنت لا زلت نصف نائم لكنني فجأة صرخت: «ما تقول؟.. غير معقول».. قال: «هذا ما حدث وأنا ذاهب إلى لاهاي حيث السفارة المصرية لتعزية السفير المصري، هل تذهب معي؟».. قلت له : «لا.. لا أستطيع.. أنا.. أنا..» وانخرطت في بكاء شعرت أن عقيل يبكي هو الآخر.. كان من المتحمسين لعبد الناصر وكان يردد دوماً: «أنا فلسطيني، وأعلم أن لا أحد سوف يعيدني إلى فلسطين إلا عبد الناصر». ذهب وتركني مع المفاجأة التي هزت العالم. مات جمال عبد الناصر، رحمه الله لكنه لا يزال حياً في عقول الناس وقلوبهم، بل إن أجيالاً جديدة لم تعرفه ولم تعش في زمانه تتحدث عنه بإجلال واحترام وتدافع عن مبادئه وتعتبره زعيماً عربياً كبيراً.

ولابد هنا من الإشارة إلى أن يوم وفاة عبد الناصر ٩/٢٨ هو نفس تاريخ يوم قيام الانفصال بين سورية ومصر ٩/٢٨. ومعلوم أن هذا الحدث، الانفصال، كان حدثاً مؤلماً لكل العرب وبخاصة للرئيس عبد الناصر. ويشاء القدر أن يصادف يوم وفاته نفس يوم الانفصال ولكن بعد سبع سنوات.

الحدث الخامس كان قيام الحركة التصحيحية في ١٦ تشرين الثاني \ نوفمبر ١٩٧٠\ وقد جاءت في الوقت الذي كان لابد من قيامها لتصحيح مسار الحزب القائد بعد أن تدهورت الأحوال وتسلط الكثيرون، ومع الحديث عن التسلط لا بد وأن أذكر ذاك الآمر الناهي، إذ جاءت الأخبار بعد فترة ليست بالطويلة من مغادرتي سورية باكتشاف أنه كان متواطئاً على البلد و كان يتصرف تلك التصرفات المعادية لكل مواطن شريف وقد حوكم عسكرياً وأعدم. وللحق أقول: أراحني النبأ لكنني لم أشمت بل قلت: «اللهم لا شماتة» على الرغم من أن نهايته كانت متوقعة.

الحركة التصحيحية كانت مبعث أمل لي ولكثيرين غيري وبعد أن كنت أحسب ألف حساب قبل الذهاب إلى دمشق للقاء الأهل أصبح الأمر يسيراً،

وصرت أزور دمشق مرة كل عام، وأشعر في كل زيارة أنّ الوطن صار أحلى وأن الناس باتوا يتنفسون بعمق وارتياح، وهذا ما شجعني ببداية التفكير في العودة النهائية إلى الديار.

الحدث السادس كان اندلاع حرب تشرين التحريرية في ١٦/ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٣، وكانت من بدايتها تدل على تغيير حاسم في أوضاعنا العربية، فالإعلام العربي أصبح موضوعياً بعكس ما كان عليه في حرب حزيران ١٩٦٧، وكنا نتابع الحرب باهتمام، ونسعد لانتصارات الجيشين المصري والسوري، وبعكس ما حدث في نكسة حزيران باتت وكالات الأنباء تنقل الأنباء عن الوكالات والإذاعات والصحف المصرية والسورية بعد أن وثقت بمصداقيتها. وهذا كان موضع فخر واعتزاز لنا. وعلى الرغم من أن مكتسباتنا في تلك الحرب لم تكن كما يجب أن تكون إذ لم تحرر القدس وبقيت الجولان محتلة وحررت مدينة القنيطرة، لكن المرتفعات المحيطة بها لم تحرر وكذلك الأمر في سيناء. على الرغم من ذلك كنت متفائلاً، إذ كان يكفي أن تحطم نظرية هيمنة الجيش الإسرائيلي «الذي لا يقهر»، كما كانوا يسمونه، و هذا ما جعل القلوب ملأى بالحبور وجعل النفوس متعطشة للإنتاج والرفع من سوية البلاد.

قبل أن أختم حديثي عن تلك الفترة التي عشتها في هولندا من عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٧٥ لا بد وأن أشير إلى بعض الأحداث التي بدأت تعود إلى ذاكرتي والتي يحق للقارئ الكريم أن يقرأها ويطلع عليها فهي لا شك ذات فائدة إلى جانب ظرفها.

معروف عن هولندا أنها من آخر الدول الاستعمارية التي اندثرت في القرن العشرين، فقد كانت تحتل اندونيسيا في أقصى الجنوب الشرقي من آسيا وتحتل جنوب أفريقيا في أقصى جنوب القارة الإفريقية، وتحتل جزر الأنتيل في أمريكا الجنوبية، وقد خرجت من اندونيسيا وكذلك من جنوب أفريقيا. وكان خروجها من جزر الأنتيل آخر مواقعها المستعمرة، في الفترة التي كنت فيها في هولندا حيث نالت الجزر استقلالها بعد مرحلة من الحكم الذاتي، لكن الغريب

الذي كان مفاجأة للعالم كله أن إحدى الجزر واسمها «أروبا» رفضت الاستقلال وطالبت بالبقاء ضمن نفوذ هولندا واضطرت هولندا إلى إجراء استفتاء في الجزيرة جاءت نتيجته البقاء في حكم ذاتي مع التبعية لهولندا ورفض الاستقلال. وقد أحدث هذا الأمر بعض البلبلة في أوساط الأحزاب الهولندية بين مؤيد ومعارض. كان في هولندا آنذاك ثلاثة عشر حزباً بين ديني وسياسي على صغر مساحتها وقلة عدد سكانها. المهم وافقت هولندا وبقيت أروبا البقعة الوحيدة في العالم التي لم تحظ باستقلالها.. ويمكن الإشارة هنا إلى جزيرة مايوتي التابعة لجزر القمر في المحيط الهندي حيث أصر سكانها، وبعد استفتاء أيضاً، على بقاء ارتباطها بفرنسا عن طريق خضوعها للقوانين الفرنسية ورفضها للاستقلال وقد كان ذلك في أواخر السبعينيات، كما أذكر، وربما حدث هذا اقتداءً بجزيرة أروبا في الطرف الآخر من العالم.

ولابد أن أعرج ، وأنا أتحدث عن انتهاء الاستعمار القديم ، إلى ما نسميه الاستعمار الجديد وامتداده عن طريق التسلل والسيطرة على موارد ومصالح الدول الفقيرة والمتخلفة.

كذلك لا بد وأن أشير إلى تلك الدولة المسخ التي أوجدها الاستعمار وأتى بشذاذ الآفاق إلى فلسطين العربية كي يحتلوا أراضي غيرهم وينشئوا دولة على الرغم من عين العدالة الإنسانية والقانونية. هل أعود وأتساءل عن مكان القانون الدولي والمنظمات الدولية؟

عندما أصل بحديثي إلى الحياة الاجتماعية في أوروبا، وفي هولندا بخاصة، أقول إن الكثير من المواقف والمشاهد قد فتنتني وأعجبت بها، إلى جانب كثير غيرها قد سببت لي اشمئزازاً واستياء.. وعلينا ألا نستغرب وألا نعتبر أن فيما أقوله تضارباً لأن المتناقضات موجودة في كل مجتمع من المجتمعات.

الهولنديون شعب طيب وبسيط ومسالم، قد أثرت فيه مآسي الحرب العالمية الثانية واضطهاد النازيين المحتلين فجعلتهم يدافعون عن حريتهم ويعتزون بديمقراطيتهم ويحترمون قوانينهم. وأذكر هنا أن أحد الوزراء الهولنديين كان يقود

سيارته ليلاً فأوقفه الشرطي وطلب منه أن ينفخ في بالون كي يتأكد أنه لم يشرب الخمر ، وهذا أمر طبيعي قد يتعرض له أي مواطن لكن الجميل في الصورة أن الشرطي عرفه وناداه بسيادة الوزير ولم يعتذر منه وعندما نفخ الوزير بالبالون، دون أن يعترض، تبين أنه قد تناول من الخمرة نسبة تمنعه من قيادة السيارة فطلب منه الشرطي أن يركن السيارة وحرر ضبطاً بالحادث وعاد الوزير إلى بيته بسيارة أجرة لكنه في صباح اليوم التالي قدم استقالته. قصة حقيقية كنت أحد معاصريها ونشرتها الصحف وأذيعت في الإذاعة والتلفزيون. فمن الذي يقرأ هذه القصة أو يسمع بها ثم لا يعجب بذلك الوزير، المواطن الصالح. وذلك الشرطي، الموظف الأمين، وذلك الشعب الذي وجد الأمر عادياً ولم يصفق للوزير الذي أخطأ؟

كثيراً ما تساءلت: كيف نصادف صوراً مضيئة من هذا النوع في مجتمع مليء بالصور غير المضيئة؟ في ليلة من الليالي رن جرس الباب في بيتي وكان الوقت متأخراً نوعاً ما، فتحت الباب لأجد زميلة هولندية كانت تعمل في الإذاعة وإلى جانبها حقيبة ملابس، ومع دهشتي رحبت بها، ولأن علاقتنا جيدة أعلمتني أنها كانت في سهرة وعادت إلى بيتها فوجدت حقيبة ملابسها أمام الباب الخارجي، حاولت فتح الباب فوجدته مقفلاً من الداخل، رنت الجرس ففتح أبوها وقال لها: «أنت لم تدفعي أجر معيشتك معنا للشهر الماضي وقد أنذرتك بالدفع ولم تفعلي لذا لن تبقي هنا».. رجته ووعدته بالدفع في اليوم التالي، فأصر على طردها وأغلق الباب في وجهها. تلك واقعة حقيقية كنت أحد شهودها، ولا يظنن أحدكم أن الفتاة لعوب أرادت أن تلقي بنفسها علي فأنا لا تفوتني هذه الأمور والفتاة لم تكن تمثل، وقد استأذنتني بالنوم عندي تلك الليلة فقط، حيث في اليوم التالي تدبر مبلغاً تدفعه لأبيها. كانت صادقة ورحبت بها لكنني لم أدهش فقط لموقف أبيها منها بل دهشت أكثر كونها أخذت الأمر بهدوء ولم تصب جام غضبها على أبيها أو على أمها التي كانت داخل البيت ولم تتدخل، وجدتها مقتنعة بأنها أخطأت لأنها لم تدفع ما عليها من مصروف البيت، وعندما عرضت عليها أن تستدين مني وتعود إلى بيتها رفضت، وقالت إنها تستطيع في الغد أن تأخذ سلفة من محاسب الإذاعة.

وحادثة أخرى أذكرها، وكل الحوادث التي أذكرها عايشتها فاعلاً أو مشاهداً أو مستمعاً. من الأخوة العرب المقيمين في هولندا. وهذه الحادثة جرت مع صديق تزوج هولندية فجاء يوماً يشكو ويعلن عن رغبته في العودة إلى بلده.. لديه ابنة في الدراسة الثانوية. وعندما جاء يوماً إلى البيت وسأل زوجته عن ابنته، فقالت إنها في غرفتها تدرس مع زميلها، ولما أراد التأكد من أنها تدرس مع زميلتها أو زميلها أكدت الأم بشكل طبيعي وعادي: بل مع زميلها. يقول الأخ العربي: «نسيت للحظة أنني أصبحت هولندياً وأن زوجتي هولندية وابنتي التي ولدت في هولندا هولندية»، هرعت إلى غرفة ابنتي فوجدت باب الغرفة مغلقاً ففتحته بشيء من العنف لأجد مجلس ابنتي وزميلها بريئاً من كل شائبة، كان كلّ منهما يجلس في مواجهة الآخر على الطاولة وهما يدرسان معاً، يكتبان وربما كانا يحلان مسائل رياضية، المهم استقبلتني ابنتي بابتسامة بريئة وقفزت إلى وقبلتني قائلة بحماس: «هذا زميلي جورج».. ولأنني أحب ابنتي الوحيدة بل أعشقها هدأت أعصابي فجأة وقلت أحيي جورج : «هالو جورج».. وأجاب الصبي زميل ابنتي: «هالو»، وتابع كتابته على الورق الذي أمامه.. قلت لابنتي: «لم تغلقان الباب؟ أليس الأفضل أن يبقى مفتوحاً هكذا؟ قالت ابنتي: «أغلقنا الباب كي لا نسمع صوت التلفزيون المنبعث من غرفة الجلوس لأنّ أمي تشاهده».. وتبسمت، وكأنها فهمت وقالت: «OK دادي.. كما تشاء نتركه مفتوحاً». تركتهما وعدت إلى زوجتي في غرفة الجلوس وقلت لها: «أنا لا أوافق على هذا الوضع».. لكن زوجتي انبرت تدافع عن الوضع وتقول إنه طبيعي ثم تبسمت وقالت لي: «ألا تذكر كم مرة جلست وإياك وحيدين في غرفتي قبل أن نتزوج؟» هذا السؤال أثارني بدل أن يهدئني، قلت لها: «كنا قد نوينا الزواج ثم إنني كنت مخلصاً لك وأحبك».. قالت: «وربما جورج هذا مخلص لابنتنا».. فقلت مستفهماً: «ويحبها؟» قالت: «لا أعلم.. ذاك موضوع يخص ابنتنا، أرجوك لا تعد إلى شرقيتك فلا جدوى من ذلك.. أنت اخترت أن نعيش هنا وعليك أن تقبل بقوانيننا وأعرافنا». يقول صاحبي منهياً حديثه: «لم أستطع مواصلة الحوار مع زوجتي لكنني بدأت أفكر جدياً بالعودة إلى وطني

فابنتي تكبر أمامي وستنهي الدراسة الثانوية وتدخل الجامعة وستتصرف كقريناتها وستتخذ صديقاً وستأتي به إلى غرفتها رغماً عني». ونظر إلي ليرى ردة فعلي فقلت له: «أنا منذ البداية جئت أتابع دراستي العليا ثم أعود إلى وطني.. عودتي لا بد منها».. نظر إلي بابتسامة ساخرة وقال: «أنهيت دراساتك العليا منذ سنوات ولكنك لا تزال هنا، ليس هذا فقط بل رزقت بابنة وصار عليك أن تتوقع ما ستفعل عندما تكبر، ولن تستطيع لومها فهي تعيش في هذا الجو وستتصرف كما تتصرف الفتيات في سنها في هذا الجو على الرغم من أنها سورية الجنسية».. المهم أن صاحبي العربي لم يستطع العودة إلى وطنه لأن زوجته رفضت وابنته كذلك و بقي يتعذب وسيبقى يتعذب إلى آخر عمره.

هذه الحادثة زادت من تفكيري بالعودة السريعة إلى الوطن قبل أن تكبر ابنتي، لكن ما قالته لي صديقة هولندية مختصة بعلم نفس الأطفال هو الذي جعلني أقرر قراراً نهائياً ودون تردد، قالت الصديقة الدكتورة في علم نفس الأطفال إن علي أن أذهب إلى وطني قبل بلوغ ابنتي سن السادسة لأن الطفل ما قبل السادسة لا تؤثر عليه أي تغييرات فجائية وكبيرة فهو ينساها، أما الطفل بعد السادسة فتبقى في ذاكرته كل التطورات والتغييرات وتؤثر على شخصيته ومسيرة حياته حسب نوعها وموقعه ضمنها. كانت ابنتي قد بلغت الخامسة وكنت أتلقى تأكيدات من الأصدقاء والأهل أنّ وضع الوطن بات جيداً يفتح ذراعيه لكل المغتربين فقررنا العودة إلى دمشقنا الحبيبة، وكان علي أن أنهي تعاقدي مع إذاعة هولندا فقابلت المدير المسؤول عن البرامج لكل الأقسام الأجنبية وعرضت عليه وضعي. وللحقيقة أقول: الرجل أخجلني بتواضعه وبتمسكه بي، وحاول كثيراً ثنيي عن قراري، لكنني ذكرته بأحاديث سابقة كنت أؤكد فيها أنني سأعود إلى وطني، فكل إنجازاتي في الخارج لا تعني شيئاً إذا لم أعد وأقدمها لأبناء وطني وأشارك في معركة البناء فيه. ووافق الرجل عندما شعر بمدى حماستي وتصميمي لكنه قال لي: «إذا وجدت مستقبلاً أنك أخطأت بتركنا والعودة إلى بلدك فأبوابنا مفتوحة لك.. دوما»، وابتسم بخبث وقال: «لا أكتمك أنا أرجح أنك ستعود إلينا».. كثيرون قبلك اختاروا العودة إلى بلادهم

لكنهم بعد فترة ندموا وأرسلوا يطلبون العودة إلينا، وقال لي: «أتذكر زميلكم فلان؟ ها هي رسالة منه على مكتبي يسألني العودة».. قلت له: «جيد يمكنه أن يأخذ مكاني»، وفوجئت بجوابه: «لا أحد يستطيع أن يأخذ مكانك يا مستر حيدر.. أنت جئتنا إذاعياً محترفاً وأنجزت الكثير في برامجك التي قدمتها إلى جانب نجاحك في دراساتك العليا، الزميل الذي أرسل يريد العودة ليس إذاعياً أصلاً وقد قبلناه لحاجتنا ثم إنه لا يحمل شهادات عليا» وأنهى لقاءه معي واقفاً: «اسمع مستر حيدر، إذا كان الموضوع يتعلق بزيادة مرتبك فأنا مستعد لأن أقترح زيادة مرتبك إلى رقم معقول يناسبك ولا يضرنا..تذكر هذا»".

بعد أن ذكرت تلك الحادثة تراني أتساءل: هل كان هناك لزوم لذكرها؟ وهل علي أن أحذفها قبل دفع الكتاب إلى المطبعة؟ لكني أؤكد أنه يجب أن أذكرها بحذافيرها فلعلّ بعض المديرين هنا في هذا البلد الحبيب الكريم، يتعلم كيف يكون التعامل مع الناس الذين يعطون ويكونون ذا فائدة للمؤسسة التي يعملون فيها، وبالتالي للوطن.

يبقى من حديثي عن هولندا أن أذكر بعض المعلومات العامة عنها فأقول: إنها دولة أوروبية صغيرة في شمال غرب القارة الأوروبية تمتد على مساحة تتجاوز الأربعين ألف متر مربع وعدد سكانها حوالي الاثني عشر مليون نسمة، آنذاك، وأول ما يُقال عنها أنّ اسمها في الهولندية «ندرلاند» أي: «الأراضي المنخفضة» حيث لا جبال فيها ولا مرتفعات بل أراض منبسطة خصبة، كانت في الماضي مهددة بمياه بحر الشمال حيث غمرتها عدة مرات، فبنت السدود والجدران العازلة. وتقول الحكاية إن أحد أطفال هولندا لحظ ثقباً في أحد تلك الجدران التي تمنع هجوم المياه وأدرك أن ذاك الثقب الذي بدأت المياه تنبجس منه سوف يكبر فوضع أصبعه الصغيرة فيه كي يمنع تدفق مياه البحر بحيث أنقذ بلده وافتداها بنفسه. وهذه الحكاية يسمعها كل من يزور هولندا وقد أصبحت أسطورة رائعة، ولا شك أن طبيعة الأرض الهولندية أثرت في كون شعبها طيباً مسالماً مضيافاً يرحب بالغريب ويحترمه. ويكفي هذا الشعب فخراً ما قامت وتقوم به هولندا من الإفادة من بحر الشمال حيث تزحف اليابسة نحو البحر بدل أن يزحف البحر نحو اليابسة عن

طريق إنشاء أرض جديدة على ساحله تتقدم بهدوء وببناء محكم يعتمد على العلم والمعرفة لتبدأ من قاع البحر بوضع أحجار ضخمة استوردتها هولندا من دول أخرى، مجاورة وبعيدة، ونقلتها بالطائرات إلى شواطئ بحر الشمال الهولندية، وإنني لا أنسى ذاك الشعور الذي انتابني عندما قصدت بسيارتي تلك الأراضي الجديدة وفيها طرق للسيارات وحقول للزراعة وكلها كانت قبل سنوات قليلة جزءاً من بحر الشمال، وها أنا اليوم أقف فوقها وأتجول في طرقاتها .. إنه شعور بعظمة الإنسان وإنجازاته وبالتالي بعظمة خالقه. الهولنديون استطاعوا أن ينتقموا من البحر الذي هدد أجدادهم ودمر بيوتهم فسلبوه جزءاً بل أجزاء، وضموها إلى الأرض الهولندية، ذاك الإنجاز يستحق رفع القبعة والوقوف باحترام وإجلال.

الهولنديون متعاونون ويؤدي كل مواطن دوره دون تعقيدات أو تأفف، وأذكر عندما تهطل الثلوج بغزارة يهب كل صاحب بيت إلى تنظيف الشارع أمام بيته بحيث تجد في النهاية أن الشارع كله نظيف. كذلك يفعلون في الاعتناء بحدائقهم المنزلية، وتحضرني هنا حادثة طريفة: عشت يوماً في بيت استأجرته، صادف أن له حديقة أمامية ليس فيها سوى الأعشاب ومع الأيام صار العشب ينمو ويطول بينما جيراني يقومون بجزها باستمرار، ومرة صادفني جار لي بدأ حديثه معي مستفسراً عن سبب إهمالي لحديقتي وعدم جز أعشابها مما يجعل منظرها غير مريح فاعتذرت وقلت إن صاحبة البيت التي أجرتني بيتها لم تلفت انتباهي لتلك المسألة وأنا لا علم لي بذلك. قال بتأدب واحترام: ألم تلاحظ وأنت تدخل البيت وتخرج أن منظر حديقتك مختلف عن منظر بقية الحدائق ؟ قلت له : أنا آسف وانضمت زوجته للحديث وقالت له بالهولندية التي كنت أفهمها ولكن لا أتقن التكلم فيها: دعه إنه آت من الصحراء ولا يعرف أسرار الحشائش. فضحكت وقلت لها بالانكليزية التي نتبادل الحديث بها: في دمشق حدائق غناء رائعة لكن مختصاً من البلدية يقوم بالعناية بها، ضحك الرجل وقال : هي لم تفهم ما قلته سأفهمها ذلك واسمح لي أن أعتني بحديقتك كما أعتني بحديقتي، وحاولت البدء بشكره فقاطعني وقال: دون أجر، وفعلاً صارت الحشائش في بيتي المستأجر كما في بيوت جيراني قصيرة وحلوة بهمة جاري حفظه الله.

قبل أن أقلب صفحة هولندا ومايكروفون إذاعتها العالمية لأنتقل عائداً إلى الأرض التي أعشق والنسيم الذي يحييني ويعيد لي كياني، أود أن أشير إلى القضية الهامة والمحورية، قضيتنا نحن العرب في فلسطين، فلا شك أن كل عربي في الخارج يحاول أن يقدم كل ما يستطيع كي يبين حقيقة المشكلة، لكنه يصدم بأن الأقوام الغربية تواجهه باللامبالاة أو بالانحياز السافر لإسرائيل. ويحاول ويحاول عله يصل إلى حالة من إقناع الأجنبي أنّ انحيازه لإسرائيل ناتج عن تلقيه معلومات خاطئة وعدم محاولته البحث عن الحقيقة. المشكلة أن صوتنا غير موجود خارج وطننا العربي الكبير. ندبج الخطب الرنانة ونصرخ ونهدد ونتوعد في بلادنا، أما في الخارج فلا وجود لنا. ويمكنني الجزم بعد سنوات عشر عشتها بين الفرنجة أنهم إنما يفتقدون من يخبرهم عن الحقيقة، من يبين لهم بالوقائع حقائق قضيتنا العادلة، لأنهم في غالبيتهم أناس موضوعيون يعشقون الحرية والعدالة وأنا واثق من أنهم سوف يناصرون قضيتنا إذا ما أتيح لهم أن يعرفوا تفاصيلها على حقيقتها، إن سيطرة اليهود على الإعلام ورؤوس الأموال هو الذي يكسبهم التأييد، فأين نحن؟ أليست لدينا الأموال كي نفتح أبواب الإعلام والمال في أوروبا؟ وننافس أولئك المسيطرين الذين لا منافس لهم؟ إنها مشكلة تتعلق بالجامعة العربية التي طالما تحدثت عن مشروع إنشاء فضائية تلفزيونية عربية، وببعض الحكومات العربية التي تضع أموالها في البنوك الأجنبية كي يفيد منها الأجانب لكنها لا تفكر في تحريكها وتشغيلها وتمويل مشاريع عربية خالصة منها، وماذا أقول أكثر؟ هل يعقل أنني أكتب هذه الكلمات عام ٢٠٠٩ عن الستينيات من القرن الماضي ثم أكتشف أن لا شيء تغير؟ السنوات تمضي ونحن في مكاننا والوقوف في المكان هو تأخر وتخلف ما دام العالم يسير ويقفز. ثمّ ماذا بعد؟

ملاحظة: علمت مؤخراً أن إذاعة هولندا العالمية اقفلت وأغلقت أبوابها ربما نتيجةً للأزمة المالية العالمية.

« والعود أحمد »

في الواحد من أيار - مايو من عام ١٩٧٥ وصلت إلى سورية الحبيبة بسيارتي الهولندية وكنت فعلت ذلك عدة مرات قبل هذه المرة التي كانت الأخيرة. وقد سبقتني زوجتي وابنتي بالطائرة توفيراً للتعب الذي سيصيبهما من رحلة خمسة آلاف كيلومتر بالسيارة التي تحتاج إلى أربعة أو ستة أيام. انطلقت من هلفرسوم المدينة التي عشت فيها عشر سنوات وهي مدينة الإذاعة والتلفزيون متجهاً صوب الشرق، وفي ألمانيا مررت بالصديق الدكتور جودت فودعته وأكدت على ضرورة عودته للوطن، وواصلت طريقي من ألمانيا عبر ميونخ إلى النمسا حيث العاصمة فيينا ومنها إلى يوغوسلافيا، وكانت آنذاك دولة كبيرة تجمع الدول الأربع التي تفككت وأصبحت دولاً مستقلة، وعبر العاصمة بلغراد باتجاه بلغاريا وعاصمتها صوفيا ثم مدينة بلوفديف حيث الحدود البلغارية التركية، وفي تركيا كانت اسطنبول التي نصفها أوروبية ونصفها آسيوية محطة رائعة للاستراحة والاستجمام، وبخاصة أن الأسعار فيها كانت رخيصة بعكس الدول الأخرى، ومن اسطنبول إلى العاصمة التركية أنقرة ومنها إلى أضنة ثم إلى لواء اسكندرون السليب حيث مدينتا اسكندرونة وأنطاكية و السكان فيها عرب سوريون يعتزون بعروبتهم حتى اليوم و يرحبون بالعرب والسوريين خاصة ويعبرون عن محبتهم وولائهم لسورية وعن تعليمهم أولادهم اللغة العربية، وتابعت طريقي لأدخل سورية وأنا لا أكاد أصدق أنني وصلت إلى وطني.. وللأسف فوجئت بالتغيير الحاد عند الحدود التركية السورية فمن الخضرة والشوارع الحديثة والنظام إلى الرمل والصحراء وأذكر، وليتني لا أذكر، أن مروري بكل تلك الدول كان روتينياً حيث يطلعون على جواز السفر

وتأشيرة الدخول لكل دولة، لكنهم لا يطلبون مني أن أنزل كل ما أحمله في السيارة إلى الأرض ليجري تفتيشه، كما فعلوا في مركز باب الهوى الحدودي السوري، بعد أن أخذوا جواز سفري، وجوازات سفر الكثيرين وصاروا بعد توقيعها ينادون باسم الشخص صاحب الجواز بصوت عال ودون كلمة سيد، مثلاً، ويرمون بالجواز في الهواء ليمر فوق رؤوس المسافرين المزدحمين كي يهرع صاحبه ويلتقطه.. وأذكر أن ذلك الأسلوب استفزني كثيراً فقصدت غرفة المدير المسؤول ودخلت إليه وهو يجلس باسترخاء على كرسيه وراء مكتبه وبنصف استلقاءة، فقدمت نفسي كمغترب عائد إلى الوطن وأظهرت له استيائي مما يجري في الخارج وذكرت له السبب، فتبسم دون أن يعدل من جلسته المريحة وقال لي: «ماذا نعمل؟ الأمور هنا هكذا» وكان وقحاً بشكل تمنيت خلال كل تلك السنوات التي مرت أن أنساه فما استطعت، اعتذرت لإزعاجي له، وخرجت من الغرفة، لأبدأ موالاً آخر في تفريغ السيارة من كل ما فيها لفحص كل تلك الأشياء التي أحملها ودفع المبالغ اللازمة للسماح بدخولها، ومن ثم لوزن السيارة كي أدفع أيضاً رسم دخولها حسب وزنها، والمفروض أن يكون لديهم قائمة بكل أنواع السيارات وأوزانها، لكن المفروض شيء والواقع شيء آخر، وبقدر سعادتي لأنّي قد أصبحت في وطني كانت خيبة أملي كبيرة وكأنني نسيت أن الوضع لم يتغير وأنني أعرفه جيداً، المهم.. بدأت بدخولي وطني رحلة المعاناة التي تأتي من المقارنة بين ما كنت عليه هناك وبين ما يحصل هنا.. وبقيت متعباً فترة من الزمن حاولت خلالها أن أتجنب المقارنة مقنعاً نفسي أنّه ليس من العدل أن أقارن بلداً نامياً كبلدنا ببلدان متقدمة في أوروبا، وعبرت سورية بلدي من شمالها إلى دمشق.. وحمدت الله على سلامتي ولقاء أحبابي.

« إذاعة دمشق »

من محاسن المصادفات أن كان صديقي وزميلي الأستاذ مروان عبد الحميد يحتل منصب مدير البرنامج العام لإذاعة دمشق وتحمس لعودتي ورحب بي. وكان مدير الإذاعة آنذاك الأستاذ خضر عمران، وكان المدير العام لهيئة الإذاعة والتلفزيون الأستاذ خضر الشعار، كما كان على رأس وزارة الإعلام السيد الوزير الأستاذ أحمد اسكندر أحمد أنجح وزراء الإعلام في عصرنا. رحب بي الجميع ووقعت عقداً مع الإذاعة بصفة خبير برامج على أن نسعى إلى إصدار مرسوم جمهوري بتعييني رسمياً في وظيفة مخرج إذاعي بحسب مرسوم الفنانين.

كانت الأوضاع في الوطن جيدة، وكان موقع الفنان ممتازاً بعد صدور مرسوم خاص بالفنانين حقق لهم من الميزات ما لم يحققه أي مرسوم آخر في أي دولة عربية أو من دول العالم الثالث. وقد انتسبت للنقابة فور وصولي وبعد اجتماعي بكامل أعضاء مجلس إدارة النقابة برئاسة النقيب الفنان صباح فخري، وأغلبهم كان يعرفني قبل اغترابي أو كان يسمع عني، فرحبوا بي واعتبروا اجتماعي بهم امتحاناً اجتزته، حسب المرسوم، كي أصبح عضواً عاملاً ودون فترة تمرين.

بدت لي إذاعة دمشق مختلفة تماماً عما كانت عليه قبل عشر سنوات، وذلك بعد انتقالها إلى المبنى الرئيسي في ساحة الأمويين. وجدتها قد توسعت، وهذا أمر طبيعي، بكل مديرياتها: البرنامج العام، صوت الشعب، الإذاعات الأجنبية، إلى جانب مديرية الهندسة. وقد لفت انتباهي المزيد من الاهتمام في البرامج المقدمة، وبخاصة فترة البث المباشر على الهواء التي كان فارسها

الزميل المخرج نذير عقيل ببرنامجه الشهير «استديو ٢٦»، مع توسع في ساعات الإرسال امتدت تدريجياً حتى أصبحت أربعاً وعشرين ساعة في أربع وعشرين ساعة للبرنامج العام، إلى جانب التوسع في برامج إذاعة صوت الشعب، وفي البرامج الموجهة باللغات الأجنبية في مديرية الإذاعات الأجنبية التي تبث على الموجة القصيرة إلى جانب بثها على الموجة المتوسطة لتغطي الأجانب الموجودين في سورية وأولئك الذين في بلادهم، مع البرامج العربية الموجهة إلى المغتربين العرب في الخارج.

وعلى الرغم من إيماني بالتطور وسعادتي بالتقدم البرامجي، فوجئت أنّ تضخم عدد العاملين في الإذاعة، وفي التلفزيون أيضاً، لا يوازي ما حصل من تطور وتقدم. وتذكرت ستينيات إذاعة دمشق والعدد القليل من العاملين الذين كانوا يعملون بجد ونشاط ويحققون إنجازات إذاعية ناجحة، لكن ما استرعى انتباهي في تضخم العدد، دون مسوغات كافية، هو أن الكثيرين من المتسلقين والمستفيدين، دون امتلاكهم موهبة أو علماً هم الذين تسببوا في تضخم لا جدوى منه، بل يمكن أن يشكلوا عائقاً في الجو الذي يعتمد على الخلق والإبداع.

لقد لمست تطوراً في البرامج لكنني تساءلت: هل ذاك التطور يوازي مرور عشر سنوات؟ وجاءني الجواب مباشرة: كان المفروض والمتوقع أن يكون التطور أكبر، لكن أولئك الذين تسللوا إلى الحرم الإذاعي أثروا على سوية البرامج، دخلوا بالواسطة أو بحكم القرابة إلى مكان لا يحق لهم أن يدخلوه، وتوزعوا في الأماكن والمفاصل التي وجدوا أنها تدر عليهم ربحاً ومبالغ إضافية. ويؤسفني أن أقول إن في إذاعة دمشق مذيعين متسللين لا يتقنون حتى اليوم عملية التنفس وهي من أولى قواعد الإذاعي الناجح، وإن في إذاعة دمشق مخرجين جهلة لا يتقنون القراءة السليمة ولا علاقة لهم بالثقافة العامة. وكثيرون آخرون تسلقوا فوصلوا وهم مصرون على إغلاق عقولهم وأفئدتهم وآذانهم أيضاً، في نفس الوقت الذي تجاهل فيه المسؤولون عدم صلاحيتهم وتناسوا تلك القاعدة الرئيسية في الإعلام وهي: «المتابعة».. فلم يتابعوا البرامج ولم ينصحوا ولم ينتقدوا.

بصراحة أقول: وجدت إذاعة دمشق تسير بقدرة القادر فمن اجتهد كان ناجحاً ومن لم يجتهد بقي فاشلاً وأساء إلى إذاعة عريقة اعتادت منذ تأسيسها على نجاحات العاملين فيها أصحاب الموهبة وأصحاب العلم. ثمّ ذاك التدهور الحاصل في ميدان اللغة العربية أقض مضجعي، بعد أن كنا نفخر بأننا من إذاعة دمشق، الإذاعة الأولى في السبق الإذاعي بما يخص اللغة العربية.

هذا حديث طويل لكنني أوجزه قائلاً: إن غيابي عشر سنوات جعلني أتوقع وضعاً أفضل مما وجدته. وقد عانيت من هذه المسألة ثم توصلت إلى حل ربما يساعد في تحسين الأوضاع ألا وهو الاهتمام بما نسميه "المتابعة" فهي مفقودة للأسف، إذ على المسؤول ذي المواصفات التي تخوله ملء مركزه والقيام بواجباته، عليه أن يتابع ما يذاع كي يحاسب على ما يقع من مطبات وما يقترف من أخطاء ويوجه في سبيل تقويمها.

ولا شك أن ملاحظات كثيرة سوف ترد خلال عرضي ذكرياتي مع مايكروفون إذاعة دمشق، لكنني أعود الآن إلى عدد من أعداد مجلة «هنا دمشق» أواخر عام ١٩٧٥ وانقل منها أسماء البرامج التي كان يبثها البرنامج العام آنذاك، ففي ذلك تذكير بما كانت عليه الحال:

برنامج «مرحباً يا صباح» يومي: منير الأحمد ونجاة الجم

برنامج «البث المباشر» يومي: نذير عقيل والمذيعون

برنامج «عالم الأسرة» أسبوعي: رجاء الزين

برنامج «وراء العدو» أسبوعي: توفيق حسن

برنامج «المواطن والقانون» أسبوعي:نجاة قصاب حسن

برنامج «للحقيقة فقط» أسبوعي: فايز قنديل

برنامج «عالماشي» أسبوعي: طالب يعقوب

برنامج «تمثيلية لم تتم» أسبوعي: داوود شيخاني وهشام شربتجي

برنامج «إذاعة فلسطين» يومي: فايز قنديل وابراهيم بسيوني

برنامج «الندوة الثقافية» أسبوعي: صفوان القدسي
برنامج «ليالي الشام» أسبوعي:سهيل كنعان ومحمد صالحية
برنامج الأطفال أسبوعي: هيام طباع
برنامج «من وحي الهداية» أسبوعي: مروان شيخو
برنامج «مجلة الإذاعة» أسبوعي: فؤاد شحادة
برنامج «جولة في الوطن العربي» أسبوعي: فاروق حيدر
برنامج «برامجنا في الميزان» أسبوعي: عادل عبد الوهاب
برنامج «حكايا للحياة» أسبوعي: ياسين رجوح
برنامج «دوحة الشعر» أسبوعي: يحيى الشهابي
برنامج «كاتب وموقف» أسبوعي: عبد الرحمن الحلبي
برنامج «ما يطلبه المستمعون»" نصف أسبوعي: فردوس حيدر
برنامج «صندوق الدنيا" أسبوعي: مصطفى الغراوي
برنامج «من الذاكرة» أسبوعي: سعيد الجزائري
برنامج «قصة فلم» أسبوعي: أسامة الروماني
برنامج «عالم السياحة والآثار» أسبوعي: مصطفى شحيبر
برنامج «رجال خالدون» أسبوعي: مصطفى عكرمه
برنامج «أنا المايكروفون» أسبوعي محمد حوراني
برنامج «إلى هواة التسجيل» أسبوعي: رياض تيناوي
برنامج «نجوم من أسرة واحدة» أسبوعي: نزار عابدين واعتدال البكري
برنامج «تحت المجهر» أسبوعي: روشان علبي

في ١٩٧٥/٥/١٦ بدأت عملي في إذاعة دمشق من جديد، وفي داخلي من الحماس وفي رأسي من المعلومات ما جعلني أعمل بنشاط وأجهد بمتعة. وقد التحقت بدائرة التمثيليات التي كان يرأسها الزميل خالد شعبو مع استمراري في الدراسات التي تُطلب مني كخبير برامجي. كان عدد الزملاء

المخرجين كبيراً وهم: مروان عبد الحميد- سهيل كنعان- نذير عقيل- داوود يعقوب- علي القاسم- هشام شربتجي- خالد شعبو- عادل عبد الوهاب- مصطفى فهمي البكار- مظهر الحكيم- شاكر بريخان- محمد صالحية- محمد عنقا- حسان دهمش- زياد مولوي- محمود الأغواني.

كنت سعيداً بممارسة إخراج الدراما من جديد بعد عشر سنوات إذ لم يكن في إذاعة هولندا مجال للدراما الإذاعية. وكنت مكلفاً بالإشراف على تسجيل وإخراج البرامج الأجنبية بعد أن كان الزميل نذير عقيل يقوم بالمهمة، وقد أتيح لي بذلك الاطلاع على برامج كل قسم من الأقسام الأجنبية التابعة لمديرية الإذاعات الأجنبية بحيث كونت فكرة واضحة عن أسلوب جديد يمكن إتباعه ضمن منهج التغيير والإصلاح. وكانت مديرية الإذاعات الأجنبية تتألف من سبعة أقسام تذيع باللغات المختلفة: القسم الإنكليزي، القسم الفرنسي، القسم الاسباني والبرتغالي، القسم الروسي، القسم الألماني، القسم التركي، والقسم العبري الموجه للأرض المحتلة وهو أهم الأقسام.

وقد شاركت بتقديم برنامج أسبوعي في القسم الانكليزي بعنوان «أغنية عربية» حيث كنت أختار أغنية مشهورة من أغانينا العربية وأتحدث عن كلماتها وألحانها وغنائها مستعيناً بإذاعة أجزاء منها، قاصداً تقديم معلومة للمستمع الأجنبي عن أغانينا العربية، كما بدلت شارة برنامج كل الأقسام وشارات بعض البرامج المختلفة.. وكانت مدة إرسال كل لغة تمتد بين النصف ساعة والساعتين، وتشتمل على الأخبار والتعليق وأقوال الصحف السورية والعربية.

وفي أواخر عام ١٩٧٥ انطلق برنامجي الأسبوعي «جولة في الوطن العربي» الذي كان يعنى بتقديم الأقطار العربية المختلفة بكل ما يتعلق بها من معلومات ونشاطات، وبإجراء لقاءات مع الطلبة العرب الدارسين في سورية ليتحدثوا عن بلادهم وعن أوضاعهم ودراستهم، وقد اعتمدت للبرنامج الأغنية الشهيرة «الأرض بتتكلم عربي» للموسيقار سيد مكاوي شارة، إلى جانب استمراري في تأليف وإخراج بعض الأعمال الدرامية.

في ١٩٧٦/٥/١١ كلفت بتسيير أعمال دائرة المذيعين بأمر إداري وقعه الأستاذ خضر عمران مدير الإذاعة الذي كان يقوم بأعمال المدير العام لخلو المنصب بعد انتقال الأستاذ خضر الشعار وتسلمه مهام مدير المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني بدمشق التابع للجامعة العربية في حقبة إنشائه، وقد قمت بالمهمة بعد أن كان يقوم بها الزميل المذيع سميح خليل وريثما ينهي الزميل المذيع عدنان شيخو خدمته الإلزامية ويعود رئيساً لدائرة المذيعين. وقد كان في هذا التكليف فرصة ذهبية لي كي أشارك الزملاء في قراءة نشرة الأخبار وبخاصة نشرة الثانية والربع ظهراً، وهي أهم النشرات، وذلك إشباعاً لاشتياقي لقراءة الأخبار إذ مارستها عشر سنوات في هولندا ودخلت إلى إذاعة دمشق كمخرج فنان وليس مذيعاً.

كان عدد الزملاء المذيعين كبيراً بالنسبة لما كان عليه الحال قبل عشر سنوات وأذكر منهم الزميلات والزملاء: سكينة نعمة، نجاة الجم، رجاء الزين، امتثال السمان، سميحة مخلص، هالة الأتاسي، روشان علبي، عصام الشريف، طالب يعقوب، عدنان شيخو، سوسن شحادة، نهاد تلاوي، محمد حوراني، سهيل خليل، نزار عابدين، اعتدال البكري، مصطفى شحيبر.

ومن الحوادث التي لا أزال أذكرها وأحدث بها تلامذتي قصة تلك المذيعة الزميلة التي كان عليها أن تقرأ نشرة أخبار الثانية والربع ظهراُ وهي أهم النشرات الإخبارية، لكن الساعة بلغت الثانية دون أن تأتي فهيأت نفسي لقراءة النشرة بدلاُ عنها، إلا أنها ظهرت في الثانية وعشر دقائق فوجدتني قلقاً غاضباُ فقالت لي ببرود: «لم تصبح الساعة الثانية والربع بعد» قلت لها: «ألا تجدين من الأفضل قراءة النشرة وتحضيرها قبل إلقائها على الهواء مباشرة؟» أجابت بنفس البرود: «أنا .. أنا لا أحضر النشرة قبل قراءتها على الهواء». وكظمت غيظي لأنها أكبر مني قدراً وعمراً، كما يقولون، ولم أشأ أن أناقشها فأقول لها: إن تحضير النشرة قبل قراءتها على الهواء يوفر عليها جزءاً من الجهد الذي سوف تبذله في أثناء قراءتها، بل إن ضبط أواخر الكلمات بالشكل

يوفر في أثناء القراءة مهمة التفكير بالضبط ويبقى الاهتمام والتركيز منصباً على الإلقاء بدل أن يتوزع بين الإلقاء والضبط. لنفترض أن اسماً أجنبياً ورد في النشرة ولم يسبق لقارئها أن عرفه بحيث يصبح من الطبيعي أن يسأل عنه وعن طريقة لفظه وبخاصة أن نص النشرات الإخبارية في إذاعتنا لا يعتمد الأحرف اللاتينية عند كتابة الاسم الأجنبي، وهذا قصور كبير حذرت منه مراراً بلا جدوى. وأذكر هنا كيف بقيت إذاعة دمشق ومذيعوها مدة أسبوع كامل يقرؤون «زيمبابوي»: «زيمبابُوي» بضم الباء بينما هي: «زمبابوي» بتسكين الباء وكسر الواو ولو كتبت الكلمة بالأحرف اللاتينية Zimbabwe لما وقع المذيع في مطب معيب.

في هذا العام ١٩٧٦ كلفت بتدريب مذيعين جدد هم الزملاء: مروان صواف، وليد سرديني وآنسة أردنية لا أذكر اسمها. وقد كان السيد المدير العام الأستاذ أحمد حلواني الذي عين حديثاً، يتابع نتيجة التدريب بنفسه.

وفي نفس العام صدر أمر إداري بتكليفي بدراسة واقع دوائر الإذاعة كافة وتقديم تقرير يتضمن المقترحات الآنية والمستقبلية التي يمكن أن تدفع بالعمل الإذاعي إلى الأفضل، وطلب السيد مدير الإذاعة خضر عمران من الدوائر كافة التعاون معي في هذا الأمر.

ومما يستحق التسجيل في صيف هذا العام إقامة «الدورة الرياضية العربية الخامسة» في دمشق، حيث كلفت مع الزميلين ميشيل قوشقجي وسميح خليل بالعمل في الاستديو المركزي المقام في الملعب البلدي وهو صلة الوصل بين كل الملاعب والألعاب في صالتي تشرين والجلاء وإستاد العباسيين ضمن أحد عشر مركزاً، وكنا في الاستديو المركزي ننتقل بالمايكروفون بين الملاعب المختلفة والمسابح ونتبادل الأحاديث مع مذيع كل لعبة رياضية من تلك الألعاب، ومن الطرف التي لا أزال أذكرها أنني كنت يوماً أتبادل الحديث مع الزميل منير الجبان الذي كان ينقل مباريات كرة الماء واصفاً مجرياتها للمستمعين فسألته: هل حكم المباراة موجود تحت الماء ليتابع

الكرة ولاعبيها أم هو على الأرض يراقب؟ وأذكر أن الزميل منير تلعثم ولم يعرف الجواب الصحيح لأنه لم ينتبه لتلك النقطة: هل الحكم موجود على ضفاف البركة أم يسبح مع اللاعبين أم يغطس وراء الكرة كي يراقب اللاعبين وهم ينقضون عليها، قال لي: «في الحقيقة لا أدري، انتظرني قليلاً حتى أبحث عن الحكم وأرى أين هو»، وكان يتمنى أن يكون هذا الحديث بيننا لكنه كان على الهواء فضحكنا وعاد ليقول: «ها هو الحكم.. أراه في الماء يسبح وراء الكرة واللاعبين وأحياناً يغطس تحت الماء».. ولا يزال الزميل منير يتذكر هذه الحادثة حتى اليوم فيذكرني بها ونضحك. كانت أياماً رائعة وكانت دمشق تزهو برعايتها لكل تلك الألعاب والمباريات، وكنا نحن في الاستديو نشيد بالعروبة والتجمع العربي في بلدنا ومدى ما يمكن أن تحققه الرياضة من إنجازات في طريق الوحدة العربية.

ويمكن أن أشير هنا إلى البرنامج الإذاعي الذي اشتركت مع الزميل مروان عبد الحميد مدير البرامج آنذاك بإعداده وإخراجه وتقديمه ليكون سفير إذاعة دمشق إلى مسابقة اتحاد الإذاعات العربية في تونس. كانت الفكرة الأولى أن نعرف بسورية الحبيبة واتبعنا أسلوباً جديداً يعتمد على الوحدة المتكاملة بحيث تمر ساعة كاملة فيها كل شيء دون الاهتمام بالعناوين والشارات والأسماء على أن تأتي النهاية فجأة دون أن ننتظرها ما دمنا متابعين البرنامج ككل.. وقد اعتمدنا على أصحاب الاختصاص في كتابة فقراته حيث كتب الأستاذ زكريا تامر قصة للطفل، وحدثنا الأستاذ حسيب كيالي عن الأدب في بلدنا وتحدث الأستاذ فايز قنديل عن الحياة الثقافية وناقش الأستاذ علي كنعان المسرح واستعرض الأستاذ محمد شاهين أحوال السينما في سورية وكتب الأستاذ وليد مدفعي تمثيلية قصيرة واشترك في التقديم الزميلات والزملاء: ثراء دبسي ونزار شرابي وتيسير السعدي ورضوان عقيلي ولوتس مروان عبد الحميد والتسجيل والمونتاج نفذه هيثم حسامي وعدنان دياب، ونال هذا البرنامج الجائزة الأولى لدورة البث الإذاعية الرابعة ١٩٧٦

دورة البث الإذاعي الرابعة
١٩٧٦
الجائزة الأولى
ASBU

كذلك وبمناسبة ذكرى الحركة التصحيحية كتب معن نظام الدين برنامجاً في عشر حلقات بعنوان «من خواطر المسيرة» قمت بإخراجه واستعملت «تكات» الساعة شارةً له للتعبير عن الزمن ومدى أهميته في مسيرة الشعوب. وقد تذكرت ما قاله لي يوماً أحد الفلاسفة الأجانب وهو يحدثني عن الزمن: «الساعة تتألف من دقائق والدقيقة من ثوان، وإذا لم نهتم بالثواني ستضيع علينا الساعات».

وفي هذا العام بالذات نشط اتحاد إذاعات الدول العربية في التهيئة لإنشاء قمر صناعي عربي يمكن عده ثورة في نظام الاتصالات بين الأقطار العربية في الوطن العربي الكبير. وأذكر أنني كتبت مقالاً في مجلة «هنا دمشق»، مجلة الإذاعة والتلفزيون، طالبت فيه بضرورة إنشاء قناة تلفزيونية عربية ترفد التلفزيون المحلي في كلّ دولة من الدول العربية. ولا زال الطلب قائماً فهل ستتحرك همم الإعلام العربي المشترك وتحققه؟

في مقال آخر وفي عدد آخر من مجلة «هنا دمشق» عالجت الاتجاه الجديد - آنذاك- في عالم الإذاعة والتلفزيون والذي يتجه نحو تعدد الاختصاصات للإعلامي الذي يعمل في ذلك الحقل فالمذيع الذي يحرر نشرة الأخبار ثم يقرؤها يكون أكثر نجاحاً من المذيع الذي يقرأ كلمات غيره، والمخرج الذي يخرج عملاً كتبه بنفسه ينجح فيه أكثر من إخراجه لعمل كتبه غيره، وهكذا.

أريد أن أقول باختصار إن سعادتي واهتمامي بعملي وبما لمست من اهتمام المسؤولين بي وبالاستفادة من خبرتي وتجاربي، أكّدت لي أنّ عودتي إلى وطني وإلى إذاعتي كانت القرار الصحيح الحاسم الذي لم أتخذه عبثاً، إذ إنّ كل المخزون الذي حفظته وحافظت عليه من علم ومعرفة وخبرة وجد طريقه الصحيح مما أكد إيماني العميق بما قمت وأقوم به.

في العام ١٩٧٧ شغلت ببرنامجي الجديد اليومي «الشمس تشرق كل يوم» الذي كان يذاع في الواحدة بعد منتصف الليل صباحاً وكنت أستمتع بتحضير مواده وتقديمها وإخراجها وعملت على أن يكون برنامجاً ثقافياً ترفيهياً منوعاً يخاطب المستمع قبل أن ينام ويبث فيه الأمل بغد جديد ستشرق فيه الشمس من جديد. وكنت أتلقى الكثير من رسائل المستمعين المعجبين بالبرنامج وأذكر منهم مستمعة طالبة كانت تواظب على إرسال رسائلها المليئة بكلمات الإعجاب وما فوق الإعجاب، وحالات كهذه كثيرة من الحكمة أن تؤخذ بعناية وأن تكون الكلمات الجوابية دقيقة ومحددة ولا تحتمل معنيين كي تبقى العلاقة محصورة بين مستمع ومذيع، لكن هذه الفتاة اشتركت في استفتاء أجرته الإذاعة بين طلبة الجامعة فاسترعى انتباهي ما ذكرته من ملاحظات وما قدمته من مقترحات وتنبأت لها بمستقبل في عالم الإذاعة فكان أن أصبحت مذيعة ناجحة بعد تخرجها.

الهيئة العامة السورية للكتاب

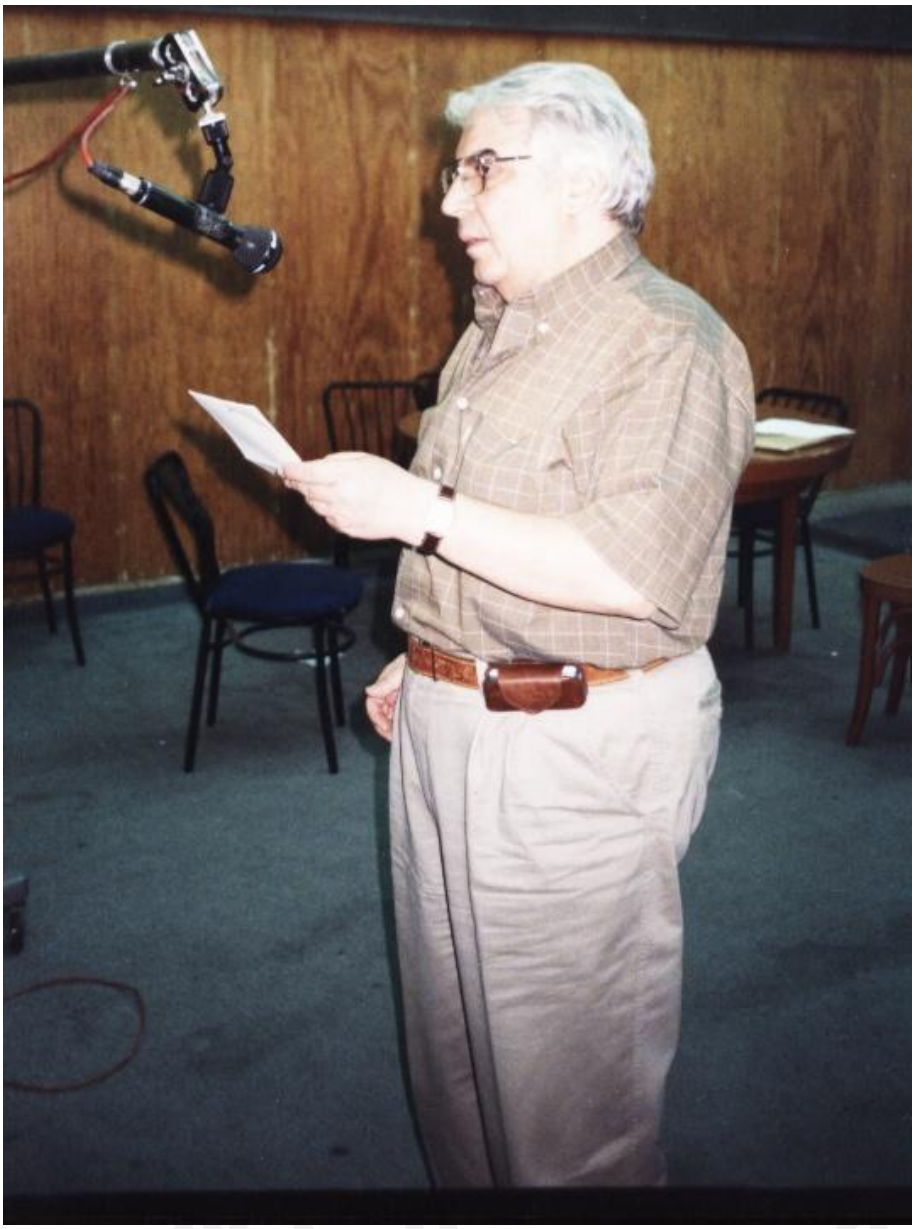

أمام مايكروفون إذاعة دمشق في استديو الدراما

ومع انخراطي في الحديث عن الدراما الإذاعية لا بد أن أشير إلى تلك الأقلام في عالم الأدب التي كانت تثري التمثيلية الإذاعية كالأساتذة حسيب كيالي وعادل أبو شنب ووليد مدفعي وداوود شيخاني ووليد ماردیني وآخرين لا تحضرني أسماؤهم.

كما أشير إلى الممثلين والممثلات الذين أثروا العمل الدرامي وصنعوا أسماء لامعة في عالم الدراما، مؤكداً أن الإذاعة هي المدرسة الأولى للتمثيل إذ على الممثل أن يعتمد على صوته وطريقة إلقائه فقط ليوصل الرسالة إلى المستمع، بينما في المسرح والسينما والتلفزيون يمكن للممثل أن يتكئ إلى جانب صوته على مظهره ولباسه ومكياجه وحركته ضمن مساحة لها ديكورها المناسب وما إلى هنالك. ونتيجة لهذه الحقيقة يستطيع صاحب الاختصاص أن يحكم على أي ممثل لدى مشاهدته على الشاشة وأن يعرف فيما إذا كان قد مر بتجربة الإذاعة أم لا. ويؤسفني القول هنا إن الكثيرين من نجوم الشاشة الذين لم يسعفهم الحظ بالبدء من الإذاعة، يبدو إلقاؤهم مهتزاً، سواء في لفظ الأحرف أو في سوية الصوت حيث يبدؤون الجملة بصوت معقول ثم ينخفض الصوت رويداً إلى أن تغيب آخر كلماتهم، ولو عملوا في الإذاعة لما وقعوا في مثل هذا المطب لأن الإذاعة صوت.. وصوت فقط.

الهيئة العامة السورية للكتاب

في استديو التمثيليات بإذاعة دمشق

الممثلون الفنانون: مفيد أبو حمدة، سلمان أبو عمار، محمد الطيب، فاروق حيدر، رياض نحاس ،صالح الحايك، أحمد مصطفى.

وفي هذا العام ١٩٧٧ كلفت بكتابة وإخراج «برنامج اللقاء العربي» وهو البرنامج الذي تقدمه في كل شهر إذاعة عربية ويعمم ليبث من كل الإذاعات العربية وذلك بإشراف إتحاد إذاعات الدول العربية. وكانت الحلقة التي كتبتها وأخرجتها بعنوان: «دور الإذاعة والتلفزيون في بناء الإنسان العربي» وقد اخترت لتقديم البرنامج اسمين لامعين في عالم الإذاعة: المذيعة السيدة عواطف الحفار إسماعيل والمذيع الأستاذ خلدون المالح.

وفي شهر رمضان كلفت مع الزميل مروان عبد الحميد بإعداد وإخراج برنامج «استديو الظهيرة» من الساعة ١٥:٣٠ وحتى الساعة ١٧:١٥ يومياً.. وقد قمنا بتكليف كتاب يكتبون للبرنامج كل في اختصاصه، عن النهضة التي تعم القطر العربي السوري وعن المنجزات والمشاريع القائمة والمستقبلية مع طرائف وذكريات رمضانية، ومن عجائب الحياة، ورواد في الإسلام، والضاحكون في الأدب والرحلات المشهورة مع قصة للأطفال وتمثيلية قصيرة من أرشيف الإذاعة.

ومن الإنجازات الإذاعية التي أعتز بها إخراج تمثيليات مترجمة للكاتب الفرنسي مارسيل إيميه من كتابه الشهير «حكايات القط الجاثم» وقد قام بترجمتها وإعدادها إذاعياً الصديق والكاتب الكبير حسيب كيالي، واشترك في تمثيلها مروان عبد الحميد وثناء دبسي وثراء دبسي وتيسير السعدي ورفيق سبيعي ورضوان عقيلي، وقد أبدعت في دور الطفلة ديلفين الممثلة أميمة الطاهر، وقامت هند جبري بدور الطفلة الثانية مارينيت. ويقول المؤلف إن حكاياته للأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين أربع سنوات وخمس وسبعين سنة، وتجري حوادثها في مزرعة تضم الأبوين والطفلتين والقط وذكر البط الحكيم والكلب الودود الأمين والثورين الأشهب والأبيض. ويقول الأستاذ حسيب كيالي إن هذا النوع من الأدب الحديث الموجه للكبار والصغار يشبه حكايات كليلة ودمنة القديمة. وأذكر أن الجزء الثاني من الحكايات قام بإخراجها الزميل مروان بينما قمت بدور الراوي فيها.

ولا بد من الإشارة والإشادة بذاك الرجل والكاتب الكبير الأستاذ حسيب كيالي، فقد كان من الشخصيات التي تأثرت بها سواء عن طريق كتاباته أو عن طريق اللقاءات الدائمة التي كانت تجمعنا مع الصديق مروان عبد الحميد وأحياناً ينضم إلينا الصديق الدكتور محمد محفل والصديق الأستاذ برهان بخاري والصديق الفنان يوسف شويري والصديق الأستاذ نصر الدين البحرة رحم الله من غادر منهم وأطال عمر من بقي معي نعبر متاهات هذا الزمان.

الصديق حسيب كان شخصية فريدة لا يستطيع أي ممن عرفه عن قرب، وهم كثر، أن ينكر هذا.. وأهم ما فيه أنه أديب عالي الثقافة ينشر حوله، إلى جانب الإفادة المباشرة، جواً من المرح والسعادة على الرغم من كل المشاكل الحياتية التي كانت تحيط به.

الأستاذ حسيب كيالي كان زميلنا في دائرة التمثيليات في إذاعة دمشق كمراقب للنصوص الدرامية مع الزميل الأستاذ داود شيخاني. وكلاهما كان يزود الإذاعة بأعمال درامية ذات مستوى جيد كان المخرجون يتسابقون لتبنيها وإخراجها. وكان الأستاذ حسيب يتحفنا بمقالاته الصحافية ذات الأسلوب الخاص به. حيث يهتدي القارئ إلى اسمه من خلال قراءته لكلماته حتى لو لم يذكر اسمه في بداية المقال أو في نهايته. ولا أنسى مقالاته التي كان يكتبها في الصفحة الأخيرة من جريدة البعث في العام ١٩٧٨ وما تلاه تحت عنوان «حديث الصباح» حيث لا زلت أحتفظ بواحد منها أفسح لي فيه مكان الصدارة متحدثاً عن رحلة لنا إلى أشرفية الوادي معرجاً على أمور حياتية كثيرة وهامة يستطيع قارئي اليوم أن يكتشف ذاك الأسلوب الرائع الذي أشرت إليه.

AL BAATH
TEL: 225200.22

حديث الصباح

حبيب كيالي

الضوء في محل كسى

فاروق حيدر ، واحد من أكبر اذاعيي هذا البلد ، يضاف الى مواهبه الجمة خلق دمث ، مهذب ، حلو مثل العسل قبل ان يتشرغشه انيق حتى لتخاله من سلاح المخارجية . شافني ذلك اليوم خلقي طالع، انخانق مع ذبان وجهي ، فطيب خاطري وسألني عما يخفشني ، اهي قصيدة من الشعر الحديث برمائية ؟ — ذلك ان صفحة «الثورة»الثقافية نشرت قصيدة رهيبة بحرية ، منذ اسبوعين ! — أم فنان تشكيلي مغمور فاشل، الشغلة ليست شغلته ويتمدى عليها. قلت له : «لا، هذان السببان خف ضررهما وكفانا الله شرهما منذ ان اغلق ملحق الثورة الثقافي الذي كان هذا الاغلاق ، ربما ،اعظم منجزاته ! ولكن ما يطلع خلقي هو انسان ودود معسول ، مهذب ، حي ، شاعر هو سهيل ابراهيم مسؤول الصفحة الثقافية الوحيدة في «البعث» الذي ينقع مقالاتي في درجه اشهرا ، او يضيعها فيحرم القراء المشغوفين بي من التثقيف على يدي. في حين انه يفتح ذراعيه على مصاريعها لكل «ترجمة واعداد» يكتبون عن كاتب انكليزي فيراكبون لا اقل من عشرين خطيئة نحوية في العمود الواحد وقد قرات قبل ايام مقالا عن المسرح السوفييتي «ترجمة واعداد» سبق ان قرانه في«البعث» الثقافي ذاته « ترجمة واعداد» مترجم معد اخر اسمه فلان الفلاني . ولا يقولن لي اخي سهيل ان هذه اخطاء مطبعية لان قول المترجم المعد : « وخلال سني مراهقتهما اعتادا مارتن واخيه !! » لا يمكن ان يأتي من المصحح ! فكيف لا انرهز ياأخي فاروق ؟..

قال فاروق في لطف :«تعال معي !» قلت : «الى اين ؟» قال:«اركب معي هذه السيارة التي ينتظرنا فيها مروان عبد الحميد . سنخرج في نزهة برة البلد .»والمنحل ان فاروق عنده سيارة . انه هو الشخص الثاني ، بعد هاني الراهب ، بين الادباء يملك سيارة . وهذا ليس بدعا من فاروق . فالسيارة لم يربحها من شغله في الادب او الاذاعة السورية: لقد عمل في هولندا عشر سنوات ! لو لم يهاجر الى هناك كان عنده طنبر ، اذ هل يعقل ان يكون عند كاتب ترجم الى اكثر من عشر لغات اسمه زكريا تامر سيارة؟ اي سيدي حنا مينه ذاته مايزال يسكن بيتا بالاجرة . وسعيد حورانية مستعير بينا في المزة من فيصل حوراني .. ونزيه ابو عفش ساكن في كراج .

قال هذا موضوع اخر . قال فاروق :« الى اين نذهب ؟» قلت:«الى هذه الفسحة بعد اشرفية الوادي ،على الطريق الذاهبة الى العين الخضراء . هناك لا اجمل من الخريف ولا احلى ، ولاسيما الحور وهو يودع رونق الصيف ولدانته ورعشاته في الاوراق الزمردية .هناك جزيرة اعتاد الطلائع والفتوة ان ينصبوا فيها خلال الفصول الدافئة ،خيامهم واما في الخريف فالحور الف لون

من صحيفة البعث عدد ٤٨٥٨ تاريخ ١٩٧٨/١٢/٢٥

بعد إحالته إلى التقاعد انتقل الأستاذ حسيب كيالي إلى دبي متعاوناً مع تلفزيونها ومستمراً في كتابة مقالاته وملحه في صحف الخليج، لكنه بقي يحن إلى دمشق وأهل دمشق. وكانت رسائله إلي آيات من المعرفة والحكمة مع المحبة والتفاؤل الدائم حيث نعتني في إحداها أنني من بقايا السيوف النبيلة. وحدثني في الأخرى كيف يعكس الرقم ٧١ الذي يدل على عمره ويجعله ١٧ معتبراً نفسه كالغريب أو عابر السبيل في هذه الدنيا، وطالما حدثني عن الكتاب، كتاب هذا الزمان، الذين لا يفهمون أن الكاتب شاهد العصر وواصفه بعجره وبجره.

ولا أنسى تلك الحكاية التي قال إن أباه المرحوم كان يرويها له فالإنسان بعد الأربعين يربط له القدر بغلاً غير منظور على باب داره كلما دخل أو خرج ناوله رفسة في موضع ما من جسده وذاك هو حاله، وكان أن مرض وذهب إلى ألمانيا وانكلترا ثم عاد إلى دبي حيث لاقى وجه ربه ودفن فيها رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

الهيئة العامة السورية للكتاب

دبي في ٢٢/٤/١٩٩٣

أبا عمر الحبيب،

لا تؤاخذني يا أخي الحبيب على تأخري في الكتابة إليك
إجابة عن تهنئتكم اللطيفة الكريمة بالعيد، وإسعادك إياي
بكلماتك الصادرة عن قلب محب صديق، وحسن انتقائك
للبطاقة التي حوت معلماً من معالم طفولتي وشبابي أي
قلعة حلب الفريدة.

كان من جملة أسباب قصوري وتقصيري في الجواب بالوجه
أني كنت متوعكاً، وأتهيأ للسفر إلى ألمانيا (ميونيخ)
التي كنت فيها منذ ست سنوات وقيل في الكتاراكت
والغلوكوما اللتين أعاني منهما إنهما تحتاجان إلى نضج
كاف قبل إجراء العملية. ناهيك بأوجاع أخرى صح فيها مضمون
نص حكمة كان يرددها لنا المرحوم أبي من أن الإنسان بعد الأربعين
يربط له القدر بغلاً غير منظور على باب داره كلما دخل أو خرج ناوله
رفسة في موضع ما من جسده، وإذا هو يشكو اليوم جنبه وغداً
صدره وبعد غد رأسه وهكذا... أنا أرى البغل الكظي نشطاً
في الذكرى لك.

سأكتب إليك إن شاء الله من ميونيخ تحياتي وأشواقي ومودتي
إسلم لأخيك المحب

آخر ما وصلني من رسائله

ومن إنجازاتي الإذاعية الهامة أيضاً مسلسل «بكائية القتل والندم» الذي كتبه الأستاذ ياسين رجوح عن قصة وحشي قاتل حمزة عم النبي بتحريض هند زوجة أبي سفيان. وقد حلق ياسين في كتابته فجاء عمله هاماً استمتعت بإخراجه. وأذكر هنا أنني أسندت الدور الرئيسي «وحشي» إلى الفنان رضوان عقيلي وكان آنذاك في بداياته الإذاعية مما جعل الكثيرين حولي يستغربون هذا الانتقاء ويحذرونني من الفشل لكنني كنت واثقاً من أن رضوان سيؤدي الدور بنجاح بعد أن تابعت تقدمه ومدى تفهمه للكلمة التي يمثلها ولدوره في النص، وقد نجح رضوان وأكرمته بأن ذكرت في الحلقة الأخيرة من المسلسل ولدى ذكر الأسماء: «قام بدور وحشي: رضوان عقيلي» فتأثر ودمعت عيناه وكنت سعيداً بدفع ممثل يستحق، وأود هنا أن أعرج لأذكر القلم الرائع الذي كتب فيه الأستاذ ياسين رجوح عدة أعمال برامجية ودرامية لإذاعة دمشق، لكن السياسة أخذته فهجر الكتابة وخسرت الإذاعة كاتباً مميزاً، رحمه الله.

ويبقى إنجازي التلفزيوني الأول: تمثيلية بعنوان «وانتهى الألم» التي كتبتها وأخرجها الزميل فردوس أتاسي، وقمت بتمثيل دور البطولة فيها في دور أستاذ جامعي إلى جانب الفنانة ثراء دبسي كطالبة جامعية أبوها الفنان أحمد عداس وأمها الفنانة يولاند أسمر، وقامت الفنانة فايزة الشاويش بدور الزوجة الثانية. ومما يجب الإشارة إليه أن هذه التمثيلية كانت من أوائل الأعمال الدرامية التلفزيونية التي انطلقت للتصوير خارج الاستديو، حيث تم جزء من تصويرها في سد الفرات، وجزء آخر في جامعة دمشق، حسب السيناريو الذي وضعته. وتحكي التمثيلية قصة فتاة اعتادت أن تأخذ دون أن تعطي نتيجةً لتربية والديها. وتطرح التمثيلية مفهوم الحرية الفردية وموضوع فهمها الخاطئ، وتنتهي التمثيلية بمقولة: إن الفشل لا يعني النهاية والاستسلام. المهم أن أقول هنا إنني بعد هذه التجربة قررت ألا أقترب من الدراما التلفزيونية، كممثل، فالعناء من إعادة المشاهد يبعد الممثل عن الحالة التمثيلية التي عليه أن يعيشها مما يؤدي إلى فشل عانيت منه كممثل وعانى منه العمل ككل وبخاصة بعد أن قسموه إلى جزئين وهو لم يكتب على هذا الأساس فأضاع الكثير من المقولة وشتت المشاهد.

باختصار: فشلت في تجربتي الأولى وفشل المخرج مع النص فلم يتعامل معه كما يجب، وقد كتب الزميل الأستاذ رياض نعسان آغا آنذاك نقداً لاذعاً للعمل نشر في مجلة «هنا دمشق» طال النص والتمثيل والإخراج وأجابه الزميل فردوس لكنني تجاهلته، وحسناً فعلت.

أما في ميدان الصحافة فقد كتبت مقالاً في مجلة «هنا دمشق» بعنوان: «لمحات في فن الإخراج» قلت في بدايته: «في كل عمل فني خمسون خطوة أو ما يزيد، ويترتب على المخرج أن يخطوها وأن يحققها، لكن الوقت والظروف لا تسمح بتحقيق أكثر من خمس وعشرين منها.والمخرج الأستاذ هو الذي يسلم بذلك على أن يحقق الخمساً وعشرين عملية فنية تحقيقاً جيداً وناجحاً»..

مع بداية العام ١٩٧٨ أصبح الأستاذ فؤاد بلاط مديراً عاماً لهيئة الإذاعة والتلفزيون بدلاً من الأستاذ أحمد حلواني الذي نقل إلى مكان آخر. ومع تغيير المدير العام تحدث تغييرات متتابعة على مستوى المديرين ومما أذكره أن الزميل مروان عبد الحميد أعفي من عمله مديراً للبرامج وعاد مخرجاً، وعين مكانه الزميل المذيع ميشيل قوشقجي. ولا بد من أن أشير هنا إلى أن التغيير المستمر في منصب المدير العام ينعكس سلباً على هيئة الإذاعة والتلفزيون، وبخاصة عند اختيار شخصية بعيدة عن العمل الإذاعي والتلفزيوني، فيحاول جهده، وعندما يبدأ بتفهم طبيعة العمل والإحاطة بدقائقه يستبدل ويأتي مدير جديد يحتاج إلى بداية جديدة، وهكذا.

وعلى الرغم من ذلك.. لو أن كل مدير جديد تابع ما بدأه المدير الذي سبقه، إذن لبقيت حركة البناء والتجديد مستمرة، لكن ما يجري غالباً أن يلغي المدير الجديد ما بدأ به المدير السابق معتقداً أن عليه البدء بداية أخرى تكون خاصة به. تماماً كما يلجأ إلى تغيير فرش مكتبه واستبداله بأثاث جديد يليق به من اليوم الأول، وللحق أقول: إن ما ذكرته سابقاً لا ينطبق على الأستاذ فؤاد بلاط لأنه كان يشغل قبل تسلمه منصب المدير العام منصب مدير التلفزيون. إلا أن ما أقوله ينطبق على كثيرين جزئياً أو كلياً.

من أوائل قرارات الأستاذ فؤاد بلاط المدير العام الجديد كان الأمر الإداري الذي كلفني فيه بتقديم الدراسات والمشورة حول البرامج الإذاعية للمكتب الفني، وكلف الزميل فؤاد أبو نبوت (شحادة) بتقديم الدراسات والمشورة حول البرامج التلفزيونية للمكتب الفني. والمكتب الفني يتبع للمدير العام لكنه غير فعال بحيث لم نعرف عنه إلا اسمه ولم يطبق هذا الأمر الإداري ولم يعمل به.. لماذا؟ لا أدري.

والمهم أن أذكر حدثاً هاماً يميز هذا العام وهو انطلاق «إذاعة صوت الشعب» التي كرست برامجها للخدمات والاهتمام بالمستمع المحلي في كل المحافظات السورية.. وقد أثبتت هذه الإذاعة ضرورتها من ناحية، وأزاحت من ناحية أخرى بعض العبء عن البرنامج العام الذي كان يشكو من تلك البرامج الخاصة بالعمال والفلاحين والطلبة وما إلى هنالك لأنها ذات طبيعة جامدة إلى حدّ ما. وهي لا تؤدي دورها كاملاً في إذاعة كرست كي تكون إذاعة كل العرب وليست مجرد إذاعة سورية محلية.

ومواصلة لنشاطي الصحافي كتبت في مجلة «هنا دمشق» مقالاً بعنوان «إذاعيات» تحدثت فيه عن دور الإذاعة التثقيفي والترفيهي ومدى أهمية دور المستمع في تحديد برامجها. في مقال آخر بعنوان "بين الإيجابية والسلبية" تحدثت عن الاستفتاء والبحوث الجماهيرية التي يمكن أن تطرحهما الإذاعة والتلفزيون والاعتماد الكبير على إيجابية المتلقي من مستمع ومشاهد في الاشتراك بالأداء برأيه الصريح والواضح. وقد تفضل الأستاذ سعيد الجزائري في عدد لاحق فأثنى على ما كتبته وقال: «كان الأستاذ فاروق حيدر موضوعياً ومشكوراً في مقاله «بين الإيجابية والسلبية» الذي تحدث فيه عن الآراء التي يبديها مستمعو الإذاعة ومشاهدو التلفزيون».

مع بداية عام ١٩٧٩ شكل السيد المدير العام الأستاذ فؤاد بلاط لجنة لدراسة احتياجات مشروع مبنى الإذاعة الجديد وتقديم تقرير بذلك للإدارة العامة. وكانت اللجنة برئاسة الأستاذ خضر عمران مدير الإذاعة وعضوية المهندس الدكتور ميشيل بارة مدير الهندسة والمهندس تيسير طنطاوي مساعده

والزميل هشام جزائري و.. أنا. وقد اجتمعنا اجتماعاً واحداً أو اثنين، كما أذكر، ثم.. طوي الموضوع برمته، ولا زال مطوياً!!!

وقد تابعت في هذه السنة نشاطي الإذاعي فشغلت ببرنامج «تمثيلية لم تتم» تأليفاً وإخراجاً، وكان يكتبه قبلي الزميل داوود شيخاني ويخرجه الزميل هشام شربتجي. ثم كتبت وأخرجت مسلسلاً في ثلاثين حلقة مدة الحلقة خمس عشرة دقيقة عن «ابن بطوطة» وتجواله في البلدان. كذلك كلفت بإعداد وإخراج «برنامج اللقاء العربي» وكان بعنوان: «الطفل العربي» وقد استضفت فيه الزميل الأستاذ حسيب كيالي رحمه الله والزميل الأستاذ نادر قباني ولكليهما باع طويل في عالم الطفل.

الهيئة العامة السورية للكتاب

مديرية الإذاعات الأجنبية:

في حزيران / يونيو من العام ١٩٧٩ صدر أمر إداري بتوقيع المدير العام يكلفني بتسيير أعمال مديرية الإذاعات الأجنبية، بعد إعفاء الدكتور أديب خضور من تلك المهمة ونقله إلى الإذاعة الموجهة إلى جمهورية مصر العربية. ولم أفاجأ بذلك التكليف لأنني كنت أجريت دراسة شاملة عن تلك المديرية بأقسامها السبعة ووضعت توصيات لتطويرها وتحسينها، وكان الأستاذ خضر عمران مدير الإذاعة ينتظر الفرصة المناسبة، كما بدا لي، كي يعهد إلي بالمديرية التي كنتُ بشكل أو بآخر عارفاً تفاصيلها وبالتالي مهتماً بها.

تسلمي أعباء مديرية الإذاعات الأجنبية كان في الحقيقة محطة هامة من محطات مسيرتي المهنية في عالمي عالم الإذاعة، لاسيما وأن السيد مدير الإذاعة كان يضع ثقته بي وأعطاني الصلاحيات كافة التي من شأنها أن تحقق ما أراه مناسباً، وقد فعلت.

من أهم عوامل النجاح في العمل الإداري نشوء التفاهم والتعاون بين الرئيس والمرؤوس، وكان بودي أن أقول بين الزملاء لتلافي كلمتي الرئيس والمرؤوس لكن لا بد في أي عمل ناجح من رئيس ومرؤوس أو رئيس ومرؤوسين. المهم أنني اعتبرت الجميع زملائي في أقسام الإذاعات الأجنبية السبعة، وكان الجو مريحاً للغاية بعد أن نجحت في تمتين علاقتي مع رئيس كل قسم وبالتالي مع العاملين في كل قسم من مترجمين ومحررين ومذيعين، وأذكر أن القسم الإنكليزي كانت ترأسه الزميلة السيدة وفاء الغاوي وكان فيه عمداء الترجمة من العربية إلى الإنكليزية ومن ثم تحرير النشرة الإخبارية والتعليق وأقوال الصحف وبقية البرامج: الزميل الأستاذ عصام الحسيني رحمه الله،

الزميل الأستاذ عدنان جلاد، الزميل الدكتور سليم الملا، وكذلك كان فيه مشاهير في الإذاعة آنذاك وعلى رأسهم الزميل الأستاذ محمود الخاني والزميلة جيهان الحافظ والزميلة علياء الشرباتي، التي جذبتها أضواء الـــ BBC فانتقلت إليها، والزميل رشيد حيدر وآخرون أعتذر عن ذكر أسمائهم لغيابها من ذاكرتي. ثم، أنتقل إلى القسم الفرنسي حيث كانت ترأسه الزميلة السيدة عادلة الشمعة رحمها الله، وكان في القسم زميلات وزملاء من محررين مترجمين ومذيعين أذكر منهم الزميلة منى كردي والزميلة لبانة مشوح التي حصلت على درجة الدكتوراه وأصبحت أستاذة في جامعة دمشق، وعذراً من ذكر أسماء آخرين. وأنتقل إلى قسم أمريكا اللاتينية الذي كان يرأسه الزميل زكريا الصارمي وزميلات وزملاء أذكر منهم الأستاذ توفيق الفقيه وكان القسم يبث أيضاً باللغة البرتغالية إلى جانب الإسبانية، كما كان يبث باللغة العربية في إذاعة موجهة إلى المغتربين العرب حول العالم. وأنتقل إلى القسم الرابع وهو القسم الروسي وكان يرأسه الزميل الدكتور زهير بغدادي وفيه مذيعات روسيات يقرأن ما يترجمه لهن محررون درسوا في روسيا فعرفوا اللغة الروسية وكان منهم الزميل الأستاذ ريمون بطرس الذي درس الإخراج السينمائي في روسيا وعاد ليقبل هذا العمل ريثما يبدأ عمله الأساسي مخرجاً سينمائياً، حيث أخرج فأبدع وساهم في بناء النهضة السينمائية السورية. ثم نأتي إلى القسم الألماني وكان يرأسه الزميل الدكتور ميكائيل محرز وفيه مذيعات ألمانيات، هن كالروسيات، زوجات سوريين درسوا في روسيا وألمانيا وتزوجوا روسيات أو ألمانيات، ومعهن في القسم بعض المترجمين السوريين الذين يترجمون من العربية إلى الألمانية.. كانت فترة بث كل من هاتين اللغتين ساعة كاملة يومياً تبث مرتين، صباحاً ومساء. ثم نأتي إلى القسم التركي وكانت ترأسه الزميلة مسرة حيدر ومعها زملاء للترجمة من العربية إلى التركية وللتحرير وللإذاعة. وكان أغلب من يعمل في القسم التركي من العرب السوريين من أبناء لواء اسكندرون. وكانت مدة بث البرنامج ساعة واحدة يومياً. وأخيراً آتي إلى أهم الأقسام الأجنبية وأكثرها خطورة وتركيزاً وهو قسم

اللغة العبرية الذي يبث ساعة ونصف يومياً موجهةً إلى الأرض المحتلة صباحاً ويعاد بثه مساء وكانت رئيسة القسم الزميلة السيدة وصال سمير ومعها مجموعة من المترجمين والمذيعين، ويبقى البرنامج الموسيقي الذي يبث مدة ساعتين يومياً في فترة الظهيرة ويقدم موسيقى خفيفة في الساعة الأولى وموسيقى كلاسيكية في الساعة الثانية ويتناوب المذيعون تقديم الساعة الأولى ويتولى الزميل فاهيه تمزجيان الساعة الثانية.

ويمكن لي الآن بعد استعراضي للأقسام السبعة ولبعض الزملاء العاملين فيها أن أبدأ الحديث عن وضع البرامج الموجهة بصورة عامة فأقول: عندما كلفت بدراسة تلك البرامج قبل سنتين من تسميتي مديراً للإذاعات الأجنبية، فوجئت أن غالبية المواد المذاعة وبكل اللغات هي سياسية تعتمد على أسلوب القراءة الجاف، وتفتقد عناصر الترفيه كالأغنية والموسيقى التي هي عناصر ثقافية في الوقت نفسه، وقد كانت وجهة نظر السيد مدير الإذاعات الأجنبية السابق أن الإذاعات الموجهة يجب أن تضخ كل ما هو جاد من سياسة وايديولوجيا فقط، وليست بحاجة إلى ما نسميه نحن الإذاعيين بالتطرية، ومع احترامي له لم أوافقه لأنني أؤمن أن كسب المستمع لا يتم عن طريق ضخ السياسة ذات الاتجاه الواحد، أعني سياسة الدولة بشكل مباشر وصريح، بل يجب أن يكون ذلك عبر أسلوب لين وممتع يجذب المستمع الذي سيتقبل عندها ما نبثه من آراء وسياسات ضمن المواد المذاعة. كانت أولى مهامي أن أحدث تغييراً شاملاً في البرامج وفي كل الأقسام على ألا تخسر تلك البرامج غايتها الأساسية وهي التوجه إلى الأجانب وطرح قضايانا المصيرية بالشكل المقبول غير المباشر، فالأسلوب المباشر قد أثبت فشله في الإعلام وبات الأسلوب غير المباشر هو الأسلوب المتبع، وهذا يسوقنا إلى الحديث عن الفرق بين نظريتي التكرار والإلحاح في علم الإعلام، فالتكرار يسيء أكثر مما يفيد وهو بكلمات مبسطة وكمثال بعيد عن السياسة، كمن يقول صباح مساء ويكرر ويردد: لا تهدروا المياه فنحن بحاجة إليها، أما الإلحاح فيعني أن نبقى مصرين على الحديث عن إسراف المياه لكن بأساليب

مختلفة بحيث لا يمل منها المستمع ولا تسبب له إزعاجاً وبالتالي عزوفاً عن متابعتنا. في أسلوب الإلحاح نؤلف تمثيلية نضمنها شيئاً عن إسراف المياه ومدى ضرره، ونحدث أغنية نضمنها وبشكل غير مباشر طبعاً تلك الدعوة لترشيد المياه، وهكذا فنحن نصل إلى الهدف الذي نريده،لكن بالشكل المقبول الناجح لا بالشكل المباشر الفج الذي يهرب منه المستمع. هذا المثال البسيط كنت أطرحه لأقنع من كان متحمساً لإيصال أفكارنا وقضايانا إلى المستمع الأجنبي بالأسلوب المباشر وتبعاً لنظرية التكرار، ولأن ما أقوله علم وليس فذلكة أو تفلسفاً كان الإعلاميون الحقيقيون يقتنعون.

أول نجاحاتي في مديرية الإذاعات الأجنبية إتباع أسلوب الإلحاح بدل أسلوب التكرار وبالتالي التقليل من المادة السياسية المباشرة وتلطيف المهم الذي بقي منها عن طريق تطعيمها بالمواد المرفهة فالترفيه عنصر هام من عناصر الإعلام في عالمي الإذاعة والتلفزيون..

ثاني إنجازاتي في مديرية الإذاعات الأجنبية أن حاولت بمعونة الزميلات والزملاء رئيسات ورؤساء الأقسام ودعم الإدارة، تطبيق تحول تدريجي يلغي المترجم المحرر ليجعله مترجماً محرراً ومذيعاً معاً.. يترجم ويحرر النشرة الإخبارية مثلا ثم يدخل الاستديو ليقرأها، وطبعاً فإن من يقرأ كلمته التي ترجمها وحررها يختلف تماماً في القراءة والإلقاء عن ذاك الذي يقرأ كلمة ترجمها غيره وحررها غيره وانتدب هو فقط لقراءتها، وقد تصيب وقد تخطئ، فإحساس القارئ ينتقل إلى المستمع بلا استئذان وأن يكون القارئ مرتاحاً لمايقرأ يجعل المستمع مرتاحاً ومتقبلاً لما يستمع إليه.

من الإنجازات التي أعتبرها هامة أيضاً والتي اعتبرها البعض ثانوية وصاروا يتندرون بها هو أنني فرشت مدخل مديرية الإذاعات الأجنبية الذي كان مظلماً، وممراً يوحي بكل ما هو غير جميل، أطلقت الأضواء فيه ووضعت كنبات ونباتات،وصار الزملاء الذين يدخلون متجهين إلى غرفهم والضيوف الذين يأتون لقضاء أعمالهم، كلهم يشعرون بالراحة لدى ولوجهم الباب الذي كتب عليه «مديرية الإذاعات الأجنبية». أقول: عددت ذلك إنجازاً

لإيماني بأهمية الناحية النفسية في عالم الخلق والإبداع، والإذاعة دار الخلق والإبداع، الإذاعة الناجحة. أعني، كنت أول من فكر بالناحية الجمالية التي تهمل عادة لاعتقاد خاطئ أن مكان العمل للعمل فقط، متناسين أن العمل الجيد لا يأتي إلا عبر مناخ جيد، ويؤسفني أن أقول إن ما صنعته لم يلق الاهتمام الكافي ولم يحمس غيري على تقليدي فقد رأوا أن ما قمت به يخصني ولا يخص الإذاعة التي هي لنا جميعاً. لا بأس.. قد نتغير مع الأيام.. مع الأيام؟ قل مع السنوات.. مع السنوات؟ مع العقود؟ لن أقول مع القرون، لا سمح الله.

اكتشفت أن المخصصات المالية لمديرية الإذاعات الأجنبية بأقسامها السبعة ضئيلة لا تساعد على أي تطوير برامجي كالاستعانة بالخبرات والشخصيات الأدبية والسياسية والاجتماعية فالمردود المادي لا يشجع على المساهمة من خارج الهيئة وتبقى المساهمة محصورة بموظفي المديرية الذين يقبلون الإفادة من أي مبلغ إضافي إلى جانب مرتباتهم، وعلى الرغم من كل المحاولات لم أستطع تحقيق ما أصبو إليه. وفهمت أن علي أن أفعل ما أجده مناسباً دون أن أفكر أو أتحدث عن زيادة التعويضات المالية الخاصة بالبرامج لأن الميزانية لا تسمح، كما يقول المسؤولون. وفي الحقيقة إن إذاعة دمشق عموماً والإذاعات الأجنبية خصوصاً تعاني من ضعف ميزانيتها، ولو تفضل المسؤولون فنظروا نظرة عادلة لوجدوا أن الفرق كبير جداً بين ميزانية التلفزيون وميزانية الإذاعة، ومع اعترافنا أن نفقات التلفزيون الإنتاجية أكبر بكثير من نفقات الإذاعة الإنتاجية لكن الفروق المالية بين الجهازين غير معقولة وغير منطقية. ويؤسفني أن أذكر هنا ما يشعر به كل العاملين في الإذاعة من وضعها في الدرجة الثانية بعد التلفزيون، إن لم يكن في الدرجة الثالثة، ذلك لأن الصورة تجذب المسؤولين وتلفت انتباههم وتكون ردود فعلهم عليها أقوى وأسرع، مما يوجب الاهتمام بتلك الصورة ووضعها في المقام الأول. وأنا ما طلبت يوماً أن تكون الإذاعة في درجة الأهمية الأولى وقبل التلفزيون، على الرغم من أن الإذاعة هي الأم وهي الأساس،لكنني أيضاً ما أردت ولا أريد أن تكون بهذا الوضع. وأجد أن هذه النقطة بالذات هي الفخ

الذي يقع فيه كل المسؤولين. ولا أنسى أبداً أن سوء تفاهم وقع بين السيد الوزير والسيد مدير التلفزيون فنقل مدير التلفزيون مديراً للإذاعة ونقل مدير الإذاعة مديراً للتلفزيون تكريماً له.

المهم حاولت جهدي بالتعاون مع الزميلات والزملاء أن أحسّن من سوية البرامج.وحاولت جلب أسماء ذات خبرة ومعرفة للمساهمة في برامجنا وكنت راضياً عما أقوم به إلى أن عقد اجتماع برئاسة السيد المدير العام في أواخر العام ١٩٨٢ لدراسة أوضاع مديرية الإذاعات الأجنبية وفوجئت بالسيد المدير العام يتحدث عن التعليقات السياسية التي يقدمها القسم العبري ويقول إنها مجرد مواضيع إنشاء ولا علاقة لها بالتعليق السياسي، وهو لا يعلم أنني اجتزت دورة في هولندا بإشراف إذاعة الـــ BBC عن كتابة التعليق السياسي لكنه يعلم أن لا علاقة له هو شخصياً بالتعليق السياسي لا من قريب ولا من بعيد، وأن بين كتاب التعليق الذي يعتبره مجرد موضوع إنشاء كتاباً كباراً لن أذكر أسماءهم احتراماً لهم وللسيد المدير العام آنذاك. وبكل بساطة اقترح أن يحال موضوع التعليق السياسي إلى زميلة مختصة بالأخبار تكون مسؤولة عنه، وطبعاً لم أجد أمامي إلا أن أقول: «أنا لا أقبل بالحلول الوسط فإما أن أكون مديراً ومسؤولاً عن كل شيء وإما أن لا أكون واعتذر معلناً انسحابي». وفوجئت من جديد، وفي نفس الاجتماع، أن يطرح اسم الزميلة السيدة جيهان العلبي لتستلم مكاني بكل بساطة وبصورة مرسومة مسبقاً فرحبت بالطرح وشكرت السيدين المدير العام ومدير الإذاعة. وما أغاظني فعلاً صدور أمر إداري بإنهاء تكليفي بوظيفة مدير الإذاعات الأجنبية دون الإشارة إلى أن ذلك تم بناء على طلبي بل جاء في ذلك الأمر الإداري عبارة "بناء على ضرورات العمل". وإذا أردت أن أكون صادقاً وصريحاً، وهذا ما عاهدت نفسي عليه في هذه المذكرات، أقول إن السبب في كل تلك التمثيلية اكتشاف المسؤولين متأخرين أنني لست أهلاً للثقة بما يخص الأمور السياسية وبخاصة التعليقات السياسية. لماذا؟ ألأنني لست حزبياً مثلاً؟ إذن لم يسندون إلي المناصب ويكلفونني بإجراء الدراسات وينفذون الكثير من نصائحي وآرائي؟؟ السبب

واهٍ وغير مقبول، إن كان هذا هو السبب حقاً. المهم أنني أفخر بانتمائي لهذا الوطن ولهذه الأمة وأفخر بكل ما ناضلت من أجله في بلاد الغربة وفي وطني قبل وبعد ذلك. بقي أن أشير إلى أن السيد المدير العام أراد تصحيح الموقف فوجه إلى كتاب شكر لما بذلته من جهود في مديرية الإذاعات الأجنبية. وكذلك أشير وباعتزاز للزملاء والزميلات في الإذاعات الأجنبية الذين أقاموا لي حفل وداع وحفل استقبال للزميلة جيهان العلبي في الوقت نفسه التي أصبحت مديرة للإذاعات الأجنبية، وقد شكرتهم على ذاك الموقف الحضاري الذي لم يحدث سابقاً في إذاعتنا ولا أعتقد أنه حدث بعد ذلك.

حفل وداعي واستقبال المديرة الجديدة
للإذاعات الأجنبية بإذاعة دمشق

بقي أن أقول إنني منذ تسلمي مديرية الإذاعات الأجنبية لم أهمل نشاطي البرامجي على الرغم من أن العمل الإداري يأخذ معظم الوقت، ففي العام ١٩٨٠ كتبت وأخرجت مسلسلاً دينياً لرمضان بعنوان «من قصص القرآن الكريم» عن الأنبياء الذين لا نعرف عنهم الكثير كنوح ولوط وصالح ويونس وآخرين.

تابعت كذلك نشاطي الصحافي في «مجلة هنا دمشق» وكان الأستاذ هاني الحاج قد تسلم رئاسة تحريرها خلفاً للأستاذ حسين راجي، فكتبت مقالاً عن «إذاعة دمشق الثالثة» بشرت فيه بما تقوم به الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون من بناء محطات للبث الإذاعي على موجات قصيرة ومتوسطة، إحداها متوسطة بقوة ١٠٠٠ ألف كيلو واط ساعي في منطقة عدرا قرب دمشق ستخصص لإذاعة البرامج الأجنبية. وتحدثت عن ضرورة التخطيط المشترك للإذاعات الثلاث والتنسيق بينها، وأردد ما أقوله دوماً: جميل أن نحلم على الرغم من أن شيئاً في داخلنا يقنعنا بأن الحلم يبقى حلماً.!!

وفي مقال آخر طرقت موضوعاً هاماً وهو تصنيف الفنانين العاملين مع الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون وتساءلت: هل يقتل السخاء الطموح؟ واعترفت بحقيقة أن الفنان السوري لاقى تقديراً يوازي غالبية فناني العالم بل ويزيد عن كثيرين منهم. «فمرسوم الفنانين رقم ٣٢ لعام ١٩٧٣ قدر فناننا تقديراً كبيراً جعل بعض أساتذتنا في عالم الفكر والأدب يلمحون، بين آن وآخر، ويغمزون ذاكرين أن «الطبال» مثلاً - والطبال بلغة الفن هو الفنان الضارب على الطبلة - أصبح يتمتع بامتيازات كبيرة وكثيرة منها أنه بات موظفاً رسمياً في المرتبة الثانية وربما الأولى مع استحقاقه تعويض طبيعة عمل إلى جانب مرتبه، مع تحديد حجم عمل سنوي له ما زاد عنه يتقاضى أجوره كعمل إضافي. ويذكرون أيضاً أن مخرجاً تلفزيونياً عادياً - ليس فناناً أولاً ولا فناناً ممتازاً - حدد حجم عمله السنوي بست ساعات من الإنتاج الدرامي، وما زاد عن ست ساعات خلال عام كامل يتقاضى عنه أجوراً إضافية. وتحدثت عن التصنيف الأخير آنذاك للفنانين وكيف أن نسبة الفنانين الممتازين كبيرة على الرغم مما جاء في نظام اللجنة من أن التصنيف لفئة

فنان ممتاز تتطلب أن يكون الفنان المتعامل مع الهيئة على الانتاج قد قدم أعمالاً فنية متميزة في كافة المجالات الفنية من مسرح وإذاعة وتلفزيون وسينما (البند ٨). وتساءلت، أين ذاك الفنان بين فنانينا؟ وخلصت إلى أن التصنيف يجب أن يحفز الفنان لا أن يرفعه إلى الأعلى بسرعة أو أن يتركه في الأسفل فيحبطه. وقد تفضل الأستاذ الصحافي الكبير سعيد الجزائري فعلق على مقالي هذا في عدد لاحق من مجلة «هنا دمشق» وقال: «إن المقال الموضوعي الذي كتبه المثقف الفنان الأستاذ فاروق حيدر تحت عنوان «الفنان السوري لاقى تقديراً يوازي غالبية فناني العالم» يلفت النظر ويستحق كل الاهتمام، فقد كشف بعرضه البياني عن «الحقيقة الفنية» التي نعيشها ضمن ملحوظات موضوعية بسطها».

وتحدثت في مقال آخر عن مذيع الفترة الإذاعية تحت عنوان «فن ربط البرامج» وأشرت إلى ضرورة الاهتمام بالربط بين فقرة وأخرى، وإيجاد الصيغة المتطورة والمقبولة التي تشد المستمع وتبقيه معنا.

وفي العام ١٩٨١ حضرت أسبوع العلم في اللاذقية بصفتي مدير الإذاعات الأجنبية وحضر معي الزميل الأستاذ محمود الخاني بصفته مذيعاً بالقسم الانكليزي حيث أنجز لقاءات مع علماء سوريين وعرب وأجانب.

وكتبت في المجال الصحافي في صفحة «إلى اللقاء» من مجلة «هنا دمشق» مقالاً بعنوان «همسات بصوت مرتفع» تحدثت فيه عن برنامج «الباب المفتوح» التلفزيوني الذي يختار أعمالاً تلفزيونية ويعرضها يوم الجمعة ظهراً كإعادة، وأحياناً تكون الأعمال المعروضة غير مناسبة للأطفال فنكون كآباء قد منعناهم من مشاهدتها ليلاً وإذ بنا نفاجأ بها نهارا. وتساءلت: هل زوجتي وأنا مغاليان في أسلوب تربية أطفالنا؟ وأشرت في موضوع ثان لنشرة أخبار التلفزيون، وكيف يكون قارئ أو قارئة النشرة هو الذي يحتل الشاشة أغلب الوقت بدل الاستعانة بمواد مصورة لعرضها. وفي موضوع ثالث ناشدت الزملاء المذيعين والمذيعات: «يا أعزائي.. رفقاً بسيبويه

وبأجدادنا، وبأعصابنا أيضاً، خصصوا جزءاً من وقتكم لتعلم قواعد لغتنا، وما أجملها من لغة. فإذا كنا نعذركم لهفوات بل أخطاء إذاعية فات متقدميكم والمسؤولين عنكم أن يلفتوا انتباهكم إليها ويدربوكم على الإقلاع عنها، فإننا لن نستطيع عذركم للأخطاء اللغوية التي لا تفتأ تضرب آذاننا بلا رحمة، لماذا؟ لأن حلها عندكم أنتم بالذات. هذا إذا أردتم أن تكونوا مذيعين حقاً.»

وفي العام نفسه حللت ضيفاً على برنامج «ذكريات» الأسبوعي الإذاعي الذي كان يعده ويقدمه الزميل الأستاذ فؤاد شحادة رحمه الله ومدته ساعة كاملة وكان لقاء ممتعاً استعرضت فيه مسيرتي مع الإذاعة.

* * *

في ١٩٨٢/١/٢٥، وبعد سنوات من الانتظار، صدر المرسوم الجمهوري رقم ١٠٨٤ بتوقيع السيد الرئيس حافظ الأسد رحمه الله بتعييني بوظيفة فنان ممتاز مخرج إذاعي من المرتبة الأولى والدرجة الثالثة بدائرة التمثيليات بمديرية الإذاعة لدى المديرية العامة لهيئة الإذاعة والتلفزيون، ولهذا المرسوم قصص سبقته أختار أهمها وأشير إليها فيما يلي:

قبل كل شيء أقول إنني وجدت في هذا المرسوم الذي صدر خصيصاً من أجلي، الجائزة الكبرى والوسام السامي الذي قدمه إلي الوطن الذي أعشق والإذاعة التي أحب. وقد ولّد لدي شعوراً مضاعفاً وتصميماً حازماً لمتابعة المسيرة وبذل الجهود، أقصى الجهود. وكنت وعدت منذ عودتي من الخارج وتوقيعي عقد الخبرة مع الإذاعة أن يصار إلى إصدار مرسوم جمهوري بتعييني موظفاً دائماً حسب مرسوم الفنانين الذي أعطى الفنان شرف أن يعين بمرسوم جمهوري. وأذكر أن الأستاذ زهير بريدي،رحمه الله، كان مديراً للشؤون الإدارية والمالية فوضع مشروع مرسوم بتعييني يوقعه السيد وزير الإعلام ثم يرسل إلى القصر الجمهوري كي يوقعه السيد الرئيس. وقبل أن يرفع المشروع للسيد الوزير ألهمني الله أن أطلع عليه ففوجئت باقتراح تعييني في المرتبة الثانية الدرجة الثالثة، وكنت سألت الأستاذ بريدي عما إذا كان

تعييني على أساس شهادة الدكتوراة يساعد فقال: إذا أردت أن تعين حسب شهادتك تكون في المرتبة الرابعة والدرجة الثانية أو الأولى لا أذكر لأن التعيين يبدأ للإجازة الجامعية بالمرتبة الخامسة والدرجة الثانية. وأضاف أما إذا أردت أن تعين حسب سنوات خبرتك فتعين بمرتبة ودرجة من لازموك من الزملاء، لذا توقعت أن يكون تعييني في المرتبة الأولى والدرجة الثالثة كزميلي مروان عبد الحميد حيث كنا بدأنا معاً عام ١٩٦٠، واتفقنا على هذا، لكن الأستاذ بريدي لأمر ما حدد لي المرتبة الثانية والدرجة الثالثة فغضبت وفقدت أعصابي وقلت له: «قد قبلت أن أكون بمرتبة ودرجة الزميل مروان وتناسيت كل الدورات التي حضرتها وكل الخبرة والتجربة اللتين اكتسبتهما وتأتي الآن لتنزلني دون سبب؟ أنا غير موافق ولا أريد مرسوماً». وأشهد أن الأستاذ بريدي كان كريماً فتقبل ثورتي العارمة بهدوء ووعد بأن يصحح المشروع وأنال المرتبة والدرجة التي أستحق وذاك ما كان.

في العام ١٩٨٢ نفسه حضرت مهرجان لايبزغ السينمائي عضواً في وفد نقابة الفنانين وزرت برلين الغربية والشرقية للمرة الأولى في حياتي، حيث انتقلت من الشرقية إلى الغربية عبر تعقيدات كثيرة مجتازاً الجدار الفاصل بين جزئي المدينة الذي نجح الشعب الألماني فيما بعد في هدمه وإعادة وحدة جزئي ألمانيا. ويمكنني أن أقول الآن إنني كنت ولا زلت معجباً بالشعب الألماني الذي استطاع أن يكون قوياً ،وأن تتزعم ألمانيا الشرقية الكتلة الأوروبية الشرقية، وألمانيا الغربية الدول الأوروبية الغربية، وأن يعمل الشعب الألماني على إعادة توحيد الجزأين على الرغم من أنه قد ترتب على ألمانيا الغربية أن تضحي بالكثير كي ترفع ألمانيا الشرقية إلى سويتها اقتصادياً واجتماعياً. وأنا أتحدث عن ذاك الجدار بين جزأي برلين وكيف هدمه سكان برلين أنفسهم لا بد أن أرنو إلى الجدار الفاصل الذي بنته اسرائيل في فلسطين المحتلة وأن آمل أن يستطيع الشعب الفلسطيني العربي يوماً من هدمه وإعادة وحدة الأرض الفلسطينية الطاهرة.

في حقل الإخراج الإذاعي أخرجت عام ١٩٨٢برنامجاً أسبوعياً كان يكتبه الأستاذ الأديب أحمد الجندي رحمه الله بعنوان «حكايات عربية» وأذكر هنا باعتزاز علاقتي الطيبة التي نشأت مع ذاك الرجل المثقف الطيب والطريف أبي حيان الذي كنت فخوراً باستطاعتي فك خطه الذي يعجز الكثيرون عن قراءته، وكانت رحلتي معه طويلة عبر سلسلة من البرامج ذات السوية العالية التي كان يكتبها مشكوراً لإذاعة دمشق.

بدأ التلفزيون يعاني من عدد من الراقصات والراقصين في فرقة دبكة التلفزيون لأنهم يكبرون في العمر بحيث يصعب مواصلة الاستفادة منهم كراقصين وراقصات، فشكل السيد المدير العام فؤاد بلاط لجنة لدراسة أوضاعهم والأخذ بيدهم لتغيير عملهم من الرقص إلى مساعد مخرج إذاعي أو تلفزيوني. وصفة المخرج الإذاعي تحتاج لوقفة طويلة حيث كل المسؤولين يعتبرون أن الإخراج الإذاعي أمر ليس بحاجة إلى موهبة أو خبرة أو حتى علم، بل هو لكل من هب ودب. أنا لا أبالغ بل أستعرض بالأسماء من حلم أن يصبح مخرجاً إذاعياً وصار مخرجاً إذاعياً أما إن كان نجح أم لا فذاك أمر غير مهم لأن المسؤولين لا يستطيعون التمييز بين المخرج المهني المختص وبين غيره والقضية لديهم مجرد وضع فواصل موسيقية بين الفقرات والكلمات. وحتى هذه، وضع الفواصل الموسيقية، تحتاج إلى خبرة ومعرفة، لمن يفهم ما تعنيه. المهم شكل السيد المدير العام لجنة كنت والزميلان مروان عبد الحميد ونذير عقيل من أعضائها وقد نجحت اللجنة، بعون الله وتشجيع المسؤولين وتلبية رغباتهم في تسمية كل الراقصات والراقصين مساعدات ومساعدي إخراج إذاعي. وسار الأمر على هذا؛ هنّ وهم في البيوت يتقاضون رواتبهم ولا يحاولون أن يستفيدوا كما إن المخرجين لم يحاولوا إشراكهم لعدم إيمانهم بما تم، على الرغم من أن بعضهم قد نجح في الإخراج التلفزيوني كالزملاء فواز كيلارجي ومحمد الشيخ نجيب وغيرهم.

« الإخراج إبداع »

في العام ١٩٨٣ وبعد إعفائي من مديرية الإذاعات الأجنبية تفرغت لعملي الإذاعي مخرجاً درامياً فكتبت وأخرجت مسلسل «نجوم وزبد» الاجتماعي في ثلاثين حلقة مدة الحلقة خمس عشرة دقيقة وعالجت فيه مسيرة شلة من الأصدقاء تعاهدوا على الصداقة منذ أن كانوا طلاباً في المرحلة الثانوية، وكيف اختلفت آراؤهم ومشاربهم لكنهم حافظوا على الصداقة بينهم. وقلت في بداية المسلسل وضمن الشارة: «عندما تغوص القدمان في الوحل ويملأ الزبد الآفاق يضطر الإنسان لضغط مساحات أحلامه، لكنه أبداً، يرنو إلى النجوم».

كما أخرجت مسلسل «عشاق على الهواء» الذي كتبه الأستاذ منيف حسون وتحدث فيه عن العشاق المشاهير في التاريخ. وكذلك أخرجت برنامج «سنابل الأدب» ومسلسل «بقايا» الاجتماعي وكتبه الأستاذ عمر قنوع رحمه الله، كما أخرجت مسلسلاً لحساب إذاعة قطر بعنوان «رحلة مع الأغاني» كتبه الزميل خالد شعبو رحمه الله.

ومن الأحداث المميزة في هذا العام بدء الدورات التدريبية في المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني بدمشق التابع لاتحاد إذاعات الدول العربية في تونس التابع لجامعة الدول العربية. ففي السادس والعشرين من أيلول/ سبتمبر ١٩٨٣ سعدت بالإشراف والتدريب والمحاضرة لدورة «إخراج الدراما الإذاعية»، وبهذا تكون رحلتي مع المركز قد بدأت وهي رحلة ممتعة وبناءة حققت فيها الرسالة التي كنت أطمح أن أؤديها دائماً عن طريق العطاء، عطائي للزملاء من الإذاعيين والإعلاميين العرب، وسأحاول أن أفتح عنواناً خاصاً عن هذه الرحلة، التي لا تزال مستمرة حتى اليوم، ضمن مذكراتي هذه.

« الإذاعة والتمثيلية المسموعة »

في العام ١٩٨٤ سعدت بصدور أول كتاب لي من المكتبة الإذاعية التي أزمعت تأسيسها وكان بعنوان «الإذاعة والتمثيلية المسموعة» تبناه فطبعه وأصدره اتحاد إذاعات الدول العربية في تونس بمقدمة للأمين العام للاتحاد آنذاك الأستاذ عبد الله شقرون، وكان صدور هذا الكتاب ضرورياً لخلو المكتبة العربية من كتب خاصة بالإذاعة والتلفزيون، وقد عاد والحمد لله بالفائدة الكبيرة على الكثيرين من الإذاعيين العرب الذين حضروا ويحضرون دورات تدريبية في المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني ويزودون به، وأذكر هنا العناوين التي اشتمل عليها الكتاب: الإذاعة كوسيلة اتصال، الإذاعة بين وسائل الاتصال الأخرى (الصحافة، الكتاب، المسرح، السينما، التلفزيون) فن الدراما، الدراما المسموعة، التمثيلية الإذاعية، كتابة التمثيلية الإذاعية، النص الكامل لتمثيلية «تقاليد»، النص الكامل لتمثيلية «الشمعة»، إخراج التمثيلية الإذاعية، محاولة عملية في كتابة تمثيلية إذاعية، النص الكامل لتمثيلية «أين الحقيقة»، ماذا عن المستقبل؟

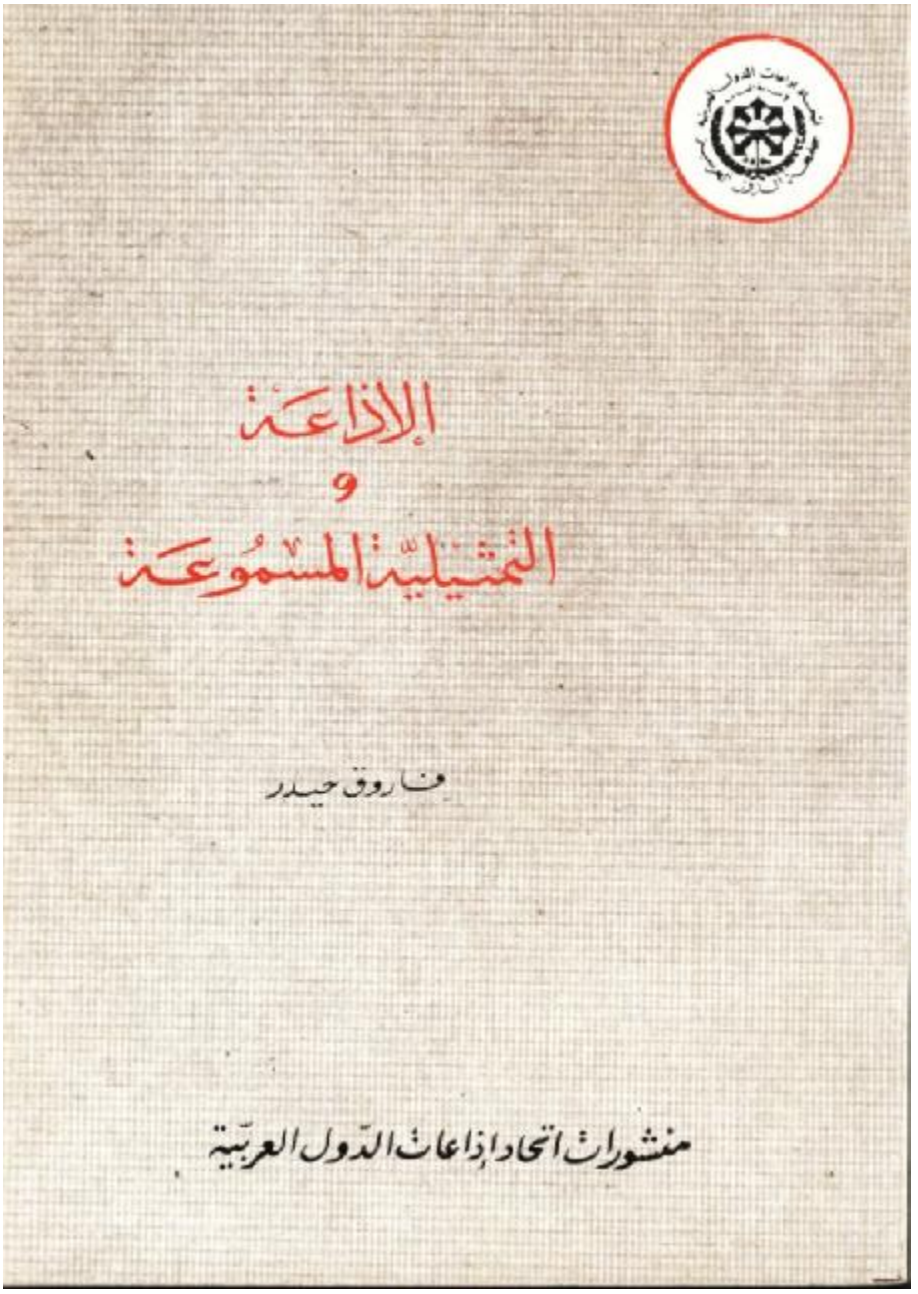
الإذاعة
و
التمثيلية المسموعة
فاروق حيدر
منشورات اتحاد إذاعات الدول العربية

ومن كلمات التعليق على هذا الكتاب تلك التي كتبها الأستاذ يحيى الشهابي رحمه الله.

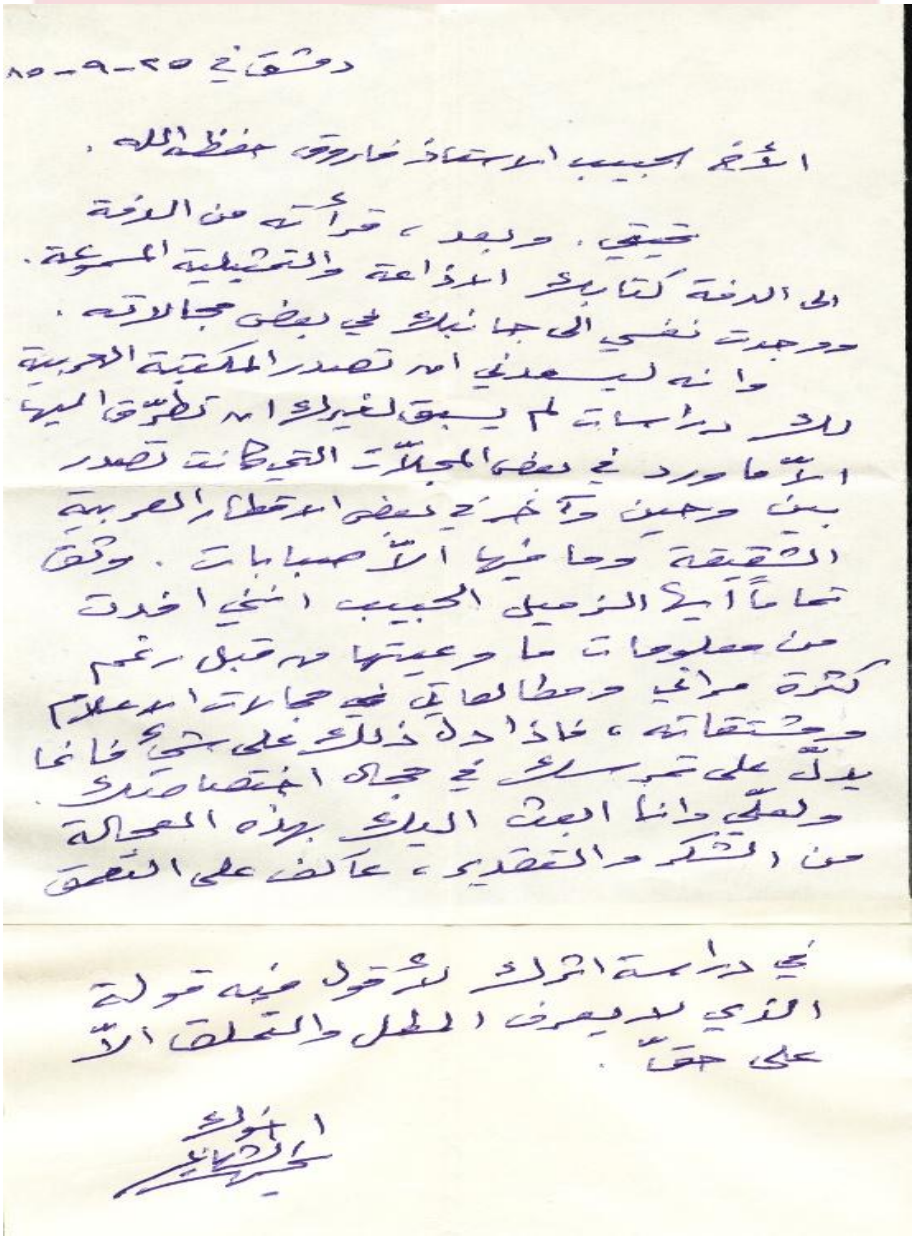

دمشق في ٢٥-٩-٨٥

الأخ الحبيب الأستاذ فاروق حفظه الله .

تحية . وبعد ، فقد قرأته من الدفة
إلى الدفة كتابك الإذاعة والتمثيلية المسموعة .
ووجدت نفسي إلى جانبك في بعض مجالاته .
وإنه ليسعدني أن تصدر المكتبة العربية
لك دراسات لم يسبق لغيرك أن تطرق إليها
إلا ما ورد في بعض المجلات التي كانت تصدر
بين حين وآخر في بعض الأقطار العربية
الشقيقة وما فيها من الإصابات . وثق
تماماً أيها الزميل الحبيب أنني أخذت
من معلومات ما وعيتها من قبل رغم
كثرة مراسي وعطائي في مجالات الإعلام
ومشتقاته ، فإذا دل ذلك على شيء فإنما
يدل على تمرسك في مجال اختصاصك .
ولعلي وأنا أبعث إليك بهذه العجالة
من الشكر والتقدير ، عاكف على التعمق
في دراسة آثارك لأقول فيه قولة
الذي لا يعرف الملل والتملق إلا
على حق .

أخوك
يحيى الشهابي

في عام ١٩٨٤ كتبت وأخرجت مسلسلاً من ثلاثين حلقة مدة الحلقة خمس عشرة دقيقة بعنوان: «أوراق من مذكرات الأستاذ مصلح» وهو يتحدث عن معلم مدرسة مثالي يفكر بالمجتمع وضرورة إصلاحه، فيتعرض لكل سلبيات المجتمع ويصاب بخيبات أمل، لكنه يبقى مصراً على موقفه داعياً الآخرين ليكونوا ايجابيين في مجتمعاتهم لا سلبيين. وهذا العمل كان الأول والأخير الذي كتبته باللغة العامية وأسندت دور الأستاذ مصلح للممثل القدير محمود جبر رحمه الله. وسبب ابتعادي عن الكتابة بالعامية أنني أجدها أصعب من الفصحى باعتبارها أقرب إلى الواقع، ولا شك أن الموضوع يفرض نفسه على لغة النص وكذلك البيئة.

وأخرجت هذا العام برنامجاً من نوع جديد كتبه السيد أحمد الخوص بعنوان «دروس في النحو العربي» وكان أصدره ككتاب ناجح في تعليم النحو.

كذلك أخرجت تمثيليات ومسلسلات عديدة وبعض الأعمال العالمية التي أعددتها أيضاً: عامل المنجم، سيزيف والموت، جين أير، ثمانون يوماً حول العالم، الأرض الطيبة. أما برنامج «الشعر الجاهلي والمعلقات» الذي أخرجته أيضاً هذا العام فقد كتبه للإذاعة الأستاذ نصر الدين البحرة.

وقد زخر هذا العام بالدورات التدريبية في المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني حيث أشرفت وحاضرت ودربت في «دورة مخرجي برامج منوعات الإذاعة» التي اشترك فيها كالعادة إذاعيون من غالبية الدول العربية، كذلك «دورة الصوت» حيث حاضرت فيها عن الإذاعة والمستويات الصوتية في الدراما المسموعة وعن الإخراج وعن الدراما. وفي دورة «تنسيق برامج الإذاعة» أشرفت وحاضرت ودربت حول عناصر التشويق في الإذاعة ووضع الخريطة الفصلية والدورة الإذاعية مع تمارين ومناقشات مشتركة. وفي «دورة المذيعين» حاضرت عن دور المذيع في برامج الإذاعة.

وفي نهاية عام ١٩٨٤ أصبح الأستاذ فؤاد بلاط الذي كان يشغل منصب المدير العام لهيئة الإذاعة والتلفزيون مديراً للمركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني بعد أن انتهت المدة القانونية للمدير السابق للمركز وكان أول مديري المركز الأستاذ خضر الشعار. وكلف السيد مدير الإذاعة آنذاك خضر عمران بتسيير أعمال المدير العام لهيئة الإذاعة والتلفزيون. وجدير بالذكر أن أغلب

المدراء العامين للإذاعة والتلفزيون يصوبون نحو مديرية المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني لما فيها من ميزات عديدة لأن تبعيتها لجامعة الدول العربية توازي العمل الدبلوماسي. فالأستاذ الشعار كان مديراً عاماً للإذاعة والتلفزيون قبل تسميته مديراً لمركز التدريب وعندما انتهت مدته وهي أربع سنوات أصبح المدير العام للإذاعة والتلفزيون الأستاذ البلاط مديراً للمركز.. وهكذا.

في بداية عام ١٩٨٥ صدر قرار السيد وزير الإعلام الأستاذ ياسين رجوح رحمه الله بإنشاء مكتب فني استشاري لشؤون الإذاعة والتلفزيون يرتبط به مباشرة ويضم السادة: خضر الشعار رئيساً وعضوية فاروق حيدر ومروان عبد الحميد والمهندس خليل السلطي ومهمة المكتب: متابعة البرامج الإذاعية والتلفزيونية وتقديم الملاحظات، إعداد تقارير ودراسات يراها المكتب ضرورية، متابعة المحطات المماثلة في المنطقة للتعرف على التجارب الناجحة وإمكانية الاستفادة منها وفق ظروفنا وحاجاتنا، إلى جانب أية مهمة أخرى يكلف بها السيد الوزير.

كان هذا القرار ضرورياً وقد رحبنا به وتحمسنا لتطبيقه ولكن تبين بعد ذلك أن الأمور لا تسير حسب توقعاتنا ولا حسب آمالنا فقد اجتمع المكتب مرة واحدة في مكتب خاص به بعيداً عن مبنى الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون بساحة الأمويين، وكأن الأمر كان نوعاً من إيجاد عمل ما للأستاذ خضر الشعار الذي أمل أن يعود مديراً عاماً للهيئة كما كان قبل اختياره مديراً لمركز التدريب لكن يبدو أن الرياح لم تكن في صالحه وأن رئاسته للمكتب الفني الاستشاري المنشأ حديثاً نوع من تسوية وضعه، هذه مطالعتي الشخصية وربما أكون مخطئاً.

كذلك وفي نفس العام شكل السيد المدير العام الأستاذ خضر عمران لجنة تحديد مستوى الفنانين المتعاملين على الإنتاج لدى المديرية العامة لهيئة الإذاعة والتلفزيون وألفت برئاسته على الشكل التالي: مدير الإدارة والمالية الأستاذ زهير بريدي ومدير التلفزيون الأستاذ عبد السلام حجاب ونقيب الفنانين الزميل سهيل كنعان رحمه الله والسادة دريد لحام، أسعد فضة، مروان عبد الحميد، فاروق حيدر، غسان جبري.

وفي أواخر العام ١٩٨٥ سمي الأستاذ خضر الشعار من جديد مديراً عاماً لهيئة الإذاعة والتلفزيون وبقي الأستاذ خضر عمران مديراً للإذاعة ومديراً للمكتب الفني آنف الذكر.

« القناة الثانية التلفزيونية »

كالعادة ومع مجيء مدير جديد لا بد وأن تجري تشكيلات جديدة من تعيينات وإعفاءات ونقل، وكانت أولى قرارات الأستاذ خضر الشعار القرار الصادر في ١٩٨٥/١١/٢٨ والقاضي بتكليفي بمهام وظيفة مدير برامج القناة الثانية التلفزيونية، وتكليف الزميل علي عبد الكريم بمهام وظيفة مدير البرنامج العام التلفزيوني، وتكليف الزميل عبد الكريم إسماعيل بمهام وظيفة مدير البرامج الإذاعية، وتكليف الزميل يوسف مقدسي رحمه الله بمهام وظيفة مدير الأخبار الإذاعية.

ومن هنا أبدأ مرحلة جديدة وهامة في مسيرتي مع المايكروفون رفيق دربي، والمايكروفون موجود في التلفزيون أيضاً إلى جانب الكاميرا، وها أنا ولأول مرة في حياتي المهنية أصادق الكاميرا كما أصادق المايكروفون على الرغم من حضوري بعض الدورات التدريبية في الخارج والخاصة بالتلفزيون، وجدت من واجبي أن أتحدث عن القناة الثانية التلفزيونية بإسهاب لأن إنشاءها واستمرارها من التجارب الهامة في تاريخ التلفزيون العربي السوري وفي تاريخ العاملين فيه والمسؤولين عنه في تلك الفترة.

عندما علمت لأول مرة من السيد وزير الإعلام آنذاك الأستاذ ياسين رجوح رحمه الله عن النية في إطلاق قناة تلفزيونية جديدة إلى جانب القناة الأولى، استغربت وجود هذه الفكرة وأبديت رأيي الصريح في أن وضعنا التلفزيوني لا يسمح بقناة ثانية، وأن علينا أولاً أن نحسّن من أوضاع القناة الأولى وأن ننفق على تحسينها المبالغ التي ستكلفنا إنشاء القناة الثانية فهي، أي القناة الأولى، أحق وأجدر كي تستطيع أن تستمر بالشكل البرامجي الذي

نتمناه لها. جدال استمر عدة جلسات، اكتشفت بعدها أن القرار قد اتخذ. وأن السيد الوزير مع السيد المدير العام الأستاذ فؤاد بلاط قد حددا موعد افتتاح القناة الثانية،ولم يكونا بحاجة لرأي مخالف ، فكلاهما، ولهما الحق في ذلك، يريد أن يحقق إنجازاً في أثناء ولايته ليقال مستقبلاً إن القناة التلفزيونية الثانية أنشأها فلان وفلان، أو: أنشئت في ولاية فلان وفلان، أما كيف ستكون ومن أين ستمول وهما لا يجدان في الميزانية ما يكفي لتمويل القناة الأولى تمويلاً كافياً، فذاك أمر آخر.

أنشئت القناة الثانية التلفزيونية لمخاطبة مشاهدي برامج اللغتين الانكليزية والفرنسية، وكأن الأجانب في بلدنا كثر ولهم الأفضلية على المواطن كي نوجه إليهم قناة تلفزيونية كاملة في وقت كان عصبياً على سورية وقد تحالفت قوى الامبريالية والصهيونية العالمية ضدها. المهم.. مرحباً بالقناة الثانية التلفزيونية فقد أصبحت واقعاً، وقد اختار السيد المدير العام بموافقة السيد الوزير آنسة غضة العود التحقت حديثاً بالتلفزيون مديرة للقناة الثانية، ولم يضن عليها السيد المدير العام بالتوجيه، وتحمل المسؤولية المباشرة كاملة. وترتب عليه أن يقسم جهده وميزانيته قسمة غير عادلة حتماً على القناتين، فالأولى هي المشاهدة والثانية هي الوليدة التي ولدت ولادة قيصرية وقبل أوانها. وانضمت القناة الثانية التلفزيونية للإذاعة في تحمل ظلم ذوي القربى حيث كانتا لا تحصلان إلا على جزء من الميزانية بينما يخصص الجزء الأكبر للقناة الأولى التلفزيونية. وفي هذا الوضع بالذات يأتي المدير العام الجديد - القديم ليكلفني ذاك التكليف الذي هو تكليف شبه انتحاري، وقد شاء ألا يأخذ رأيي قبل إعداد القرار، وأكد للسيد الوزير أنه صديقي ويستطيع أن يستغني عن مرحلة أخذ موافقتي بل يستطيع إرغامي على القبول. وأمام هذا الإصرار الذي فوجئت به وهو يبلغني القرار بعد أن صدر فعلاً، لم أجد أمامي إلا القبول بشرط واحد لا أتنازل عنه: أن يطلق السيد المدير العام يدي ولا يحاسبني أو يسألني عن كل شاردة وواردة. ويبدو أنه كان يريد أن يرتاح من تلك المشكلة التي اسمها «القناة الثانية» فوافق على تسليمي المفتاح دون تردد.

كان الأمر بالنسبة لي تحدياً وأنا من النوع الذي يقبل التحدي بل ويرحب به. وهكذا بدأت المعركة: كان الوضع مأساوياً، عدد العاملين محدود جداً والمكان في قبو عميق في بناء المهندسين مقابل فندق الشام بعيداً جداً عن الإدارة العامة والبناء العام وساحة الأمويين، والإقامة فيه غير صحية، وعدا عن البرامج المحلية القليلة والتي تكاد تعرفتها المالية لا تذكر بالنسبة لتعرفة برامج القناة الأولى، ليس لديها مكتبة خاصة بها بل علينا أن نشحن موادنا يومياً بل ربما كل ساعة من ساحة الأمويين حيث المكتبة العامة الخاصة بالتلفزيون إلى بناء المهندسين حيث القناة الثانية التلفزيونية. حتى نشرات الأخبار وموادها المصورة نأتي بها من البناء المركزي في ساحة الأمويين لكن والحق يقال،كانت هناك غرفة للمحررين والمذيعين باللغتين الانكليزية والفرنسية، بحيث لا يحتاجون إلى التوجه لساحة الأمويين كي يهيئوا نشرات الأخبار التي كان الشاب مأمون مولجاً بالركض بين الموقعين لتأمين الأفلام المصورة والنشرات بالعربية من أجلها. ماذا أيضاً؟ هل بقي ما أضيفه إلى تلك المآسي؟ لقد كان التحدي كبيراً وكنت مؤمناً بالنجاح، على الرغم من كل العقبات، لأنني أحب عملي وبذلك فالنجاح سيكون حليفي. كنت أقضي معظم ساعات اليوم في ذاك الجحر تحت الأرض، وبدأت أتدخل في كل صغيرة وكبيرة وكان الجميع، وأغلبهم من الفتيان في بداية حياتهم المهنية، متحمسين ومتعاونين. وقد ساعدني الحظ بوجود ابن عمي الذي كان بالنسبة لي أخي الأصغر وهو المهندس معن حيدر مسؤولاً عن قسم الهندسة في القناة الثانية فكان التفاهم كاملاً.

لقد بقيت مسؤولاً مسؤولية كاملة عن القناة الثانية التلفزيونية أكثر من ثلاث سنوات بعد تأسيسها بأشهر قليلة، وبدأت بتحويل نظام ترجمة النشرة وتحريرها ثم إذاعتها من قبل مذيع بإنشاء كوادر المترجم المحرر المذيع، كما سبق وفعلت في مديرية الإذاعات الأجنبية. كذلك وجدت أن المعاناة كبيرة في الحصول على مواد فيلمية أجنبية لأن القناة الأولى تمتص كل ما يأتي للتلفزيون السوري في وقت كان في غاية الصعوبة، ولا أنسى مطلقاً لجوء

الإدارة إلى محو الأشرطة المسجلة عليها مواداً مختلفة والمحفوظة في المكتبة والتسجيل عليها مرة ثانية، وذلك لعدم حصول التلفزيون على أشرطة جديدة من المفروض أن تستورد من الخارج وبالعملة الصعبة. وقد حصل أكثر من مرة أن بدأنا بث مسلسل ما على شاشة القناة الثانية، ثم فوجئنا أن حلقاته غير كاملة بسبب استعمال بعض الأشرطة، لا على التعيين، ما دامت القناة الأولى قد بثت العمل وليس في حسبان أحد وجود قناة ثانية. هذا الموضوع أثار زوبعة كبيرة لم تنته إلا بعد أن أصدر السيد المدير العام قراراً بعدم اللجوء إلى استعمال أشرطة قديمة إلا بعد إذن خطي منه شخصياً.

في هذه الحالة البائسة كانت الأشرطة التي ترد إلى التلفزيون دون مقابل أو بسعر بخس هي «السيرك العالمي» و«مباريات المصارعة الحرة» فاحتلت الصدارة في برامجنا. وفي الحقيقة كان ذاك الوضع البائس يقض مضجعي إلى أن ألهمني الله بحل يمكن القول إنه أنقذ الموقف إلى حد كبير. طلبت من المسؤولين عن المكتبة أن يشنوا حملة على المواد القديمة بالأسود والأبيض الموجودة والكاملة والصالحة للعرض ويهيئوا جداول بها، وبدأنا عرض تلك المواد القديمة فلقيت استحساناً كبيراً من المشاهدين على اختلاف فئاتهم، حيث صار الكبار يستمتعون بمشاهدتها ويتذكرون أيام عرضها لأول مرة منذ سنوات، وصار الشباب يستمتعون بمشاهدتها لأول مرة والاطلاع على ما كان يشاهد الآباء وما كان ينتج التلفزيون في الماضي. وكان السيد المدير العام يبدي إعجابه بما يجري في القناة الثانية عندما نلتقي، ويردد أن أغلب من يلقاهم يحدثونه عن القناة الثانية وبرامجها دون الحديث عن القناة الأولى، ويتساءل: فماذا تفعل هناك؟ وأجيبه: أولاً حضرتك لا تشاهدها كما يبدو، وإذا ما حاولت مشاهدتها يمكنك أن تعرف السبب. وأسأله: هل أنت مزعوج لهذه الحقيقة؟

كثيراً ما تساءلت كيف حافظ السيد المدير العام على وعده، ولم يتدخل في شؤوني ولا في شؤون القناة الثانية عموماً؟ ومع الوقت بدأت أكتشف خيطاً واهياً ربطه بيني وبين السيد وزير الإعلام لعلاقة القرابة التي بيننا.هذه

النقطة بالذات كانت تقض مضجعي فمن يعرفني جيداً يعلم أنني لست من النوع الذي يتسلق حبال المسؤولين حتى ولو كان أحدهم صديقي قبل أن يكون نسيبي. ومن يعرفه جيداً يعلم أنه ليس من النوع الجريء الذي يقول: هذا الرجل إعلامي قدير رصيده سنوات من التجربة والمعرفة والثقافة مع عشرات من الدورات العلمية الإعلامية لذا يجب أن يأخذ حقه وأن يؤدي واجبه تجاه وطنه في الحقل المختص به. كان من النوع الذي يقول: هذا قريبي ولا يجوز أن يقال عني إني أحابيه أو أرفعه أو أقربه.وكانت النتيجة الطبيعية أنني لم أزر مكتبه طوال وزارته إلا مرة واحدة كنت فيها عضواً في لجنة طلب لقاءها في مكتبه، وكانت المرة الوحيدة. المهم أن السيد المدير العام بذكائه وحنكته كان أول قرار أصدره بعد تسلمه منصبه، كما سبق وذكرت، تعيين ثلاثة في مراكز حيوية: الزميل عبد الكريم إسماعيل، ابن أخته، مديراً لبرامج الإذاعة، والزميل علي عبد الكريم مديراً للبرنامج العام في التلفزيون، وأنا من أقارب السيد الوزير. والغريب أنني لم أنتبه إلى تلك اللعبة حيث ربط ثلاثة خيوط فاعلة منذ بداية عمله، على الرغم من أنه ذكر لي أن السيد الوزير عندما اطلع على الأسماء الثلاثة قال له مبادراً: «فاروق لن يقبل بهكذا منصب، هل سالته؟» قال له: - كما نقل لي- «فاروق صديقي ولا لزوم لسؤاله سيقبل ولو رغماً عنه». ومشكلتي أنني لا أفطن إلى الوجه الأسود من أي عملة بل أعتبر أنها ذات وجه أبيض فقط، المهم، بدأت أكتشف أن خلافاً كبيراً تحت السطح يقوم بين الرجلين وأن المدير العام سلمني القناة الثانية بمفتاحها لأنها وليدة الوزير وسلفه المدير العام السابق وتركني أتصرف كما أشاء، لكنه كان يعلم أنني لن أخذله ولن أخذل السيد الوزير وسأكون صامداً أمام التحدي.

لنعد إلى ما أعتبره إنجازاً فأتحدث عن البرنامج الأسبوعي الذي كنت أعده وأقدمه على شاشة القناة الثانية، التي لم تكن تغطي إلا دمشق وضواحيها، وكان بعنوان: «هنا دمشق»، مجلة أسبوعية فيها صفحات مختلفة وأهم صفحاتها: «ضيف الأسبوع»، لم أترك شخصية مهمة في دمشق إلا

وتشرفت بلقائها في تلك الصفحة، من أدباء وفنانين ورجال مجتمع. وكم أتمنى أن يكون من جاؤوا بعدي في القناة الثانية قد احترموا تلك المواد الهامة ولم يمسحوها أو يتلفوها.

وكذلك قدمت برنامج «من هنا وهناك» وهو مواد عالمية مختارة أعلق عليها. وفي رمضان عام ١٩٨٦ قدمت برنامج «ألو مين» وهو مسابقة رمضانية يومية تتحدث فيه الممثلة المعروفة ثراء دبسي مع أسماء معروفة وعلى المشاهد أن يحزر من كان المتحدث. وفي رمضان ١٩٨٧ قدمت برنامج «مساء الخير» وهو برنامج منوعات يومي.

ومع الوقت تحسنت أحوال الإرسال الهندسية للقناة الثانية ففي أيلول ١٩٨٧ وسع البث فصار يشمل إلى جانب مدينة دمشق وضواحيها، مدينة اللاذقية، وذلك بمناسبة قيام الدورة الرياضية لألعاب البحر الأبيض المتوسط. وفي تشرين الأول من العام نفسه توسعت مساحات البث فصارت تشمل مدينة حلب إلى جانب دمشق واللاذقية. وفي كانون الثاني / يناير عام ١٩٨٨ شمل بث القناة الثانية محافظة حمص بحيث صارت القناة الثانية مشاهدة في دمشق وحمص وحلب واللاذقية.

وفي أواخر العام ١٩٨٧ أصبحت القناة الثانية مقتصرة في برامجها على المواد الأجنبية فقط بحيث توقفت كل البرامج العربية فيها بما في ذلك برنامجي «هنا دمشق» وأصبحت اللغتان الإنكليزية والفرنسية اللغتين المستعملتين طوال فترة البث.

ويأتي العام ١٩٨٨ ليتغير وزير الإعلام وبالتالي ليصبح الأستاذ زهير بريدي الذي كان مدير الشؤون الإدارية والمالية، مديراً عاما. ومع هذا التغيير لا بد وأن تتوالى الحلقات لتشمل كل المستويات وليأتيني الدور.. ولكن كيف؟

كما سبق وذكرت كان مركز القناة الثانية في قبو بناء المهندسين مقابل فندق الشام في وسط المدينة وكانت له الحراسة اللازمة كجزء من الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، والحق يقال كان الأفراد المفروزون إلى القناة الثانية طيبين

والتفاهم قائم بيننا بحيث أنهم يستقبلون الزائرين بكل أدب وترحيب. ومن المفيد أن أذكر هنا أن العلاقات العامة ذات أثر كبير وهام في عالم الإعلام، لذا ولإيماني بذلك كنت أشجع على الزيارات لتكون بداية لتعامل ما مع من يفيدون شاشتنا منهم، ولابد أن موقع مكاتبنا في وسط المدينة أتاح لكل من يمر من هناك ويعرفنا أن ينزل إلى القبو ليلقي التحية ويشرب فنجان قهوة. وكنت سعيداً بذاك الوضع إلى أن جاءت أيام متتالية افتقدت فيها الضيوف. فجأة لم يعد يزورني أحد، وكنت أتساءل عن السبب إلى أن التقيت بالمصادفة مع الصديق الأستاذ صميم الشريف فبادرني قائلاً: «كان عليك أن تخبرني بأنك لا تريد زيارتي لك». لم أفهم فاستفسرت منه وفوجئت بما قاله: لقد أتى لزيارتي فاستوقفه رجال الأمن المولجون بحراسة القناة عند المدخل وقالوا له: إذا أردت زيارة الأستاذ فاروق فعليك الاتصال به هاتفياً قبل مجيئك ليطلب منا إدخالك. وعلى الرغم من أن الهاتف موجود أمامهم رفضوا أن يستعمله، فحسب أنني أقصد عدم استقباله مع أنني أحبه وأحترمه. كان ما قاله الأستاذ صميم مفسراً لانقطاع الزيارات، لكنه كان في الوقت نفسه سبباً في انزعاجي الشديد واعتذاري منه، مؤكداً أنني لم أعلم بما يجري حولي. كنت متوجهاً نحو بيتي، وهو قريب، من مركز القناة الثانية فعدت إلى مكتبي وطلبت رئيس مفرزة الأمن وكنت أتمنى لو أذكر اسمه لكنني نسيته، كان رجلاً محترماً، ومن يحترم الآخرين يبعث الآخرين على احترامه. رجاني أن أهدأ وقال لي إن السيد المدير العام طلب منه أن يتبع ذاك الأسلوب مع الزائرين لأنه سمع أنهم كثيرون. ولما عاتبته لأنه لم يخبرني، قال لي لم أشك لحظة بأن السيد المدير العام طلب مني ذلك دون أن يعلمك. شكرته واتصلت هاتفياً بالسيد المدير العام وأنا لا أزال مزعوجاً، ولسوء حظه وجدته في مكتبه وقلت له إنني قادم إليه في موضوع مهم، ثم انطلقت إليه وأذكر أنني دخلت مكتبه قبل أن أهدأ تماماً وسألته لم فعل ما فعل، وبكل برود قال لي: «إن عدد زائريك كثر وهذا لا يناسبنا». فزاد بروده من عصبيتي فقلت له: «بدل أن تشكرني لأنني أتواصل مع الناس كإعلامي تأتي لتعلن رأيك؟ أنا لا أستغرب فأنت لست إعلامياً ولا تفهم بالأمور الإعلامية، أنت إداري طوال عمرك، تأتي

ودون علمي فتتدخل بشؤون مديريتي وتعطي أوامرك لمفرزة الأمن، حتى ولو كنت تحتل منصب المدير العام عليك أن تحترم مديريك وأنا واحد منهم»، قال: «أنا لا علاقة لي، إن السيد ....، وقد نسيت رتبته آنذاك وكان مسؤولاً أولاً عن أمن الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، هو الذي أعطى أوامره بذلك»، قلت له: «معلوماتي عنه أنه محترم ومهذب ويحترم الآخرين، لا أظن أنه يعطي أوامره بما يخصني دون أن يسألني أو على الأقل يخبرني»، وبلا مبالاة أجابني السيد المدير العام الأستاذ زهير بريدي: «ذاك ما حصل وعليك أن تقبل بالأمر الواقع».. زادتني كلماته عصبية فقلت له: «واحد مثلك يقبل بالأمر الواقع أنا لم أطلب من أحد أن يعينني مدير القناة الثانية كي أخاف من فقدان منصبي»، قال لي ببرود: «أذكرك بأنني المدير العام»، قلت غاضباً: «أنت لا تستحق أن تحتل هذا المنصب والكرسي الذي تجلس عليه كبير عليك»، وتركته صافقاً باب مكتبه ورائي. وفي طريق عودتي إلى مكتبي كنت أفكر بهدوء وقررت أن أتصل بسيادة المسؤول عن الأمن أخذت رقم مكتبه من رئيس مفرزة الأمن في القناة الثانية واتصلت به فلم أجده ورد علي أحدهم، وبعد نصف ساعة تقريباً رن هاتف مكتبي ورفعت السماعة لأسمع صوتاً لطيفاً مهذباً يقول لي: «مرحباً أستاذ فاروق قالوا لي انك سألت عني»، عرفت من هو وحدثته عن الموضوع فقال لي بالحرف الواحد: «زهير كاذب، أنا لا يمكن أن أتصرف ذاك التصرف ولو فعلت لأعلمتك قبل أن أفعل. وإذا كان أفراد المفرزة يزعجونك فيمكن سحبهم، نحن نضعهم للحفاظ عليكم وعلى سلامتكم».. شكرته وبينت له مدى طيبتهم وتجاوبهم معنا، ثم اتصلت بالسيد المدير وقلت له ببرود: «السيد المسؤول عن أمن الهيئة يقول إنك كاذب وأنا قادم بعد قليل لأقدم كتاب استقالتي إذ لا يشرفني أن أعمل مع كذابين لا علاقة لهم بالإعلام»، ووضعت السماعة وذهبت إليه في مكتبه. دخلت دون تحية ورميت أمامه كتاب استقالتي وخرجت بعد أن تلقفه ووضعه بين الأوراق أمامه دون تعليق، وفي اليوم الثاني مباشرة ١٩٨٨/٢/١٣ بلغت قرار إعفائي وقرار تكليف الأستاذ الزميل محمد الخطيب بمديرية القناة الثانية.

بعد تلك الحادثة وبعد أن هدأت أعصابي تساءلت: هل فعلت ما كان يجب أن أفعل؟ ووجدت الجواب مباشرة: كان علي ألا أفعل ذلك لأنني، بما فعلت، حققت رغبة السيد المدير العام بإقالتي وتعيين واحد ممن يرضى عنهم حسب المبدأ الذي سبق وذكرته بأن تغيير المناصب يأتي بالتتابع دون النظر إلى الصلاحية أو الإمكانات أو المصلحة العامة، ليس هذا فقط بل إنه، رحمه الله، خشية ألا يوافق السيد الوزير على استقالتي أعلمه أنني قدمت استقالتي لأنني كنت أعمل برعاية السيد الوزير السابق فلما ذهب أردت ألا أتعاون مع غيره.

قد يستغرب القارئ الكريم ويستبعد أن يلجأ إنسان في منصب مدير عام اتباع هذا الأسلوب لكن هذا حدث.. حدث فعلاً.. كيف عرفت؟ السيد وزير الإعلام الأستاذ محمد سلمان قال للسيد وزير الإعلام السابق الأستاذ ياسين رجوح رحمه الله والذي أصبح وزير دولة آنذاك قال له: «لم لا يريد قريبك التعاون معنا؟ أسرع فقدم استقالته.؟»، ولأن المرحوم يعرفني جيداً وعلى الرغم من أنه لم يعلم شيئاً عن تفاصيل الموضوع قال له: «فاروق أعرفه جيداً ولا يمكن أن يفعل ما تتهمه به، لقد عين بمنصبه دون مشورتي ولم تكن له أي علاقة بي عندما كنت وزير إعلام ولم يستفد بشيء ولم أفده بشيء في أثناء ذلك، هناك سر ما وعليك أن تسأل عن حقيقة الأمر»، وأسرع ياسين فهتف لي مستفسراً وأعلمني بما أخبره به السيد الوزير، إذن، تلك كانت حقيقة ولا يسعني إلا أن أقول سامحه الله ورحمه. ثم هتفت للأستاذ الزميل محمد الخطيب وهنأته وأبديت استعدادي للتعاون معه من أجل مواصلة نجاح القناة الثانية فشكرني بدماثته المعروفة لكنه لم يلجأ إلي بعد ذلك ولم يطلب مني أي تفسير أو شرح أو تعاون.

وكما يحدث مع أي فنان عندما ينجز عمله الفني ويشعر بأنه قد أعطى كل ما في داخله من خلق وإبداع ويصل مرحلة الراحة النفسية الخالصة، الممزوجة بمشاعر الرضا والاكتفاء، وكما يحدث معي كمخرج عندما أنتهي من عملي الفني وأشعر بالرضا تجاهه، كذلك كانت حالي عندما تركت القناة الثانية وأنا مؤمن بأنني بذلت جهدي وأنجزت الكثير من المنجزات واستطعت

التقدم والتطوير في وقت حرج ما كان من المفروض فيه أن يضاف عبء جديد إلى عبء القناة الأولى، وكأنني ها هنا أحاول التراجع عن وجهة نظري الأولى المعارضة لإنشاء القناة الثانية ففي الحقيقة لو لم تنشأ آنذاك ربما ما أنشئت حتى اليوم، أنا من أنصار القرارات التي تتخذ نتيجة دراسات وبحوث بحيث يتاح لها أن تنفذ، لكن، وكما يبدو، فإن قراراً مجنوناً غير منطقي قد ينجح بالحظ ربما أو بالمصادفة، أو ربما بالمثابرة والتصميم على النجاح. لكن ها أنا أعود بعد أيام من كتابتي السطور السابقة لأعبر عن مدى أسفي بعد أن علمت أن القناة الثانية قد قلصت برامجها واختصرت إلى أربع ساعات يومياً منها ساعتان لرسائل المحافظات وساعتان لمواد مختلفة. تم ذلك، كما سمعت بعد صدور قرار جديد بإنشاء قناة تلفزيونية جديدة للدراما تحل محل القناة الثانية.. وأتساءل ونحن في أوائل العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين: ماذا يجري بالله عليكم؟؟؟

الهيئة العامة السورية للكتاب

« الفن إبداع »

من الجدير أن أذكر هنا أن انشغالي في إدارة القناة الثانية وفي إنتاج بعض البرامج فيها لم يمنعني من مواصلة نشاطي الإذاعي خلال السنوات الثلاث، فقد كتبت مسلسلاً بعنوان «محسوبكم أبو محمود» باللغة العامية لحساب جمعية تنظيم الأسرة السورية. وكتبت مسلسل «الحصان العربي» لحساب إذاعة قطر وكذلك مسلسل «المرأة العربية عبر العصور». وكتبت مسلسلاً بعنوان «العرب والبحر» لإذاعة ليبيا. وكتبت لإذاعة دمشق سباعية «شيء من ندم» وسباعية «شيء من ألم» وسباعية «شيء من أمل» مع استمراري في إخراج برنامج «شاعر وقضية» للأستاذ أحمد الجندي رحمه الله.

وأشير إلى دورات المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني والتي سأكتب عنها تفصيلاً فيما بعد والتي كانت مستمرة وكنت المشرف والمحاضر والمدرب في بعضها، والتي استمرت حتى زمن كتابتي هذه المذكرات.

وبلفتة نحو الصحافة، وبالذات مجلة الإذاعة والتلفزيون «هنا دمشق» أستعرض بعض الإنجازات الخاصة بي شخصياً ففي بدايات العام ١٩٨٥ كتب الأستاذ الصحافي حكم البابا عرضاً لأول كتاب لي: «الإذاعة والتمثيلية المسموعة». وفي عدد تموز العام نفسه نشر مقالي بعنوان «الإذاعة كوسيلة اتصال» قلت فيه: «إن الإذاعة من أجل المستمع فإذا فقدت مستمعها فقدت جدواها»، ودافعت في المقال عن اللغة العربية الفصحى وعن جدارتها بأن تكون صلة وصل بين الإذاعة ومستمعيها. كذلك تحدثت عن مبدأ «الغاية تبرر الواسطة» وأكدت رفضه في العمل الإذاعي حيث الإذاعة ذات أهداف محددة تقع مسؤولية تحقيقها على العاملين فيها.

ولابد من الإشارة إلى الحفل الكبير الذي أقامته وزارة الإعلام برعاية السيد رئيس الجمهورية في تموز /يوليو من عام ١٩٨٥ كرمت فيه الرواد الأوائل وذلك بمناسبة اليوبيل الفضي للتلفزيون العربي السوري ووزع السيد الوزير الأستاذ ياسين رجوح شهادات التقدير على عدد كبير من الإعلاميين والفنانين الأوائل كالدكتور صباح قباني والأساتذة دريد لحام ونهاد قلعي وسامي جانو وخلدون المالح ومروان شاهين وعادل خياطة وعبد الهادي البكار وآخرين وقد شملني التكريم.

وكذلك أشير إلى حفل نقابة الفنانين في المناسبة نفسها وتكريم عدد كبير من الفنانين أيضاً على شكل منح الفنانين الرواد الذين رحلوا، ومنح الأستاذ يحيى الشهابي، وكذلك منح الأستاذ خضر عمران، وثم منح قائمة كبيرة من الفنانين: الميدالية الذهبية للنقابة مع براءة التقدير لما قدموه من جهود وعطاء متميزين في مجالات مهنهم الفنية، وهنا أيضاً شملني التكريم.

في العام ١٩٨٨ بدأت بكتابة «تمثيلية الأسبوع» لإذاعة الرياض والتي امتدت كتابتي لها لسنوات، إلى جانب تقديمي برنامج «تنظيم الأسرة» في إذاعة دمشق.

وقد أوفدت في هذا العام إلى تونس لحضور اجتماعات لجنة برامج اتحاد الإذاعات العربية عن الإذاعة مع الزميل الأستاذ رياض نعسان آغا عن التلفزيون وذلك بعد تسلمي مديرية برامج الإذاعة وتسلمه مديرية برامج التلفزيون، وأقيمت ندوة بعنوان «دور الإذاعة والتلفزيون في تطوير الثقافة الوطنية».

وكنت بتاريخ ١٩٨٨/٦/٥ قد كلفت بمهام وظيفة مدير برامج الإذاعة بعد إعفاء الزميل عبد الكريم إسماعيل من منصبه، وكان ذلك بعد إعفائي من مديرية القناة الثانية بأربعة أشهر فقط وبشكل لم أكن أتوقعه ويجدر بي أن أذكر بعض تفاصيله.

مديرية البرنامج العام الإذاعي

مع تغيرات جديدة في الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون جاء الأستاذ عبد النبي حجازي مديراً عاماً للهيئة، وعاد الأستاذ زهير بريدي لمنصبه الأساسي كمدير للشؤون الإدارية والمالية، وبعد وفاة الأستاذ خضر عمران مدير الإذاعة السابق عين الأستاذ صفوان غانم مديراً للإذاعة، ولابد أن أعود مجدداً لأقول إن التغيير الدائم في المناصب الرئيسية من جهة وتعيين أناس بعيدين عن الإذاعة والتلفزيون وكثيراً ما يكونون بعيدينً عن الإعلام عامة من جهة أخرى: يؤدي إلى تدهور وتأخر، وإذا كنت أريد أن أكون متفائلاً أقول إنه يؤدي إلى جمود يستمر حتى يفتح الله على المسؤول الجديد ويبدأ بفهم المبادئ العامة للإذاعة والتلفزيون.

وإذا كان السيد المدير العام الجديد بعيداً عن الجو الذي وضع فيه فإن السيد مدير الإذاعة الجديد أتى من أجواء ليست بعيدةً عن الإذاعة والتلفزيون. جاء من وكالة سانا وهذا ما يجعله لدى المسؤولين صالحاً بامتياز لأنه خبير بالسياسة والأخبار والتعليقات السياسية أما بقية دروب الإذاعة فلا بأس من أن يكون جاهلاً فيها لأنها، بالنسبة للمسؤولين، ليست بأهمية المواصفات التي ذكرتها. المهم جاء السيد مدير الإذاعة يبحث عن شخص ذي باع بشؤون الإذاعة يأخذ بيده ويعبر معه الدرب المجهول كي يتعلم ويكتسب منه ما يحتاج إلى معلومات، ومن الطبيعي أن يبعد مدير البرامج مع ذهاب مدير الإذاعة السابق ويعاد الزميل عبد الكريم إسماعيل مذيعاً كما كان، وأن يختار السيد مدير الإذاعة الجديد شخصاً قديماً لديه الخبرة والمعرفة والذي هو أنا، كما نصحه بعض من حوله لأنه لا يعرفني ولا أعرفه، طلبني للقائه فذهبت إليه

دون أن أدري ما القصة ووجدته إنساناً لطيف المعشر مهذباً ويمكن التفاهم معه وبخاصة بعد أن كان صريحاً معي وتمنى أن أوافق على متابعة المشوار معه لنتعاون في أداء المهمة. وقبلت فوراً وصدر قرار تكليفي، وكعادتي، كنت متحمساً مقبلاً بنشاط وحيوية على العمل وقد ساعدني جداً التفاهم القائم مع السيد مدير الإذاعة في محاولات التحسين والتطوير. وكان موضوع «المتابعة» من المواضيع الرئيسية التي تقلقني في إذاعة وتلفزيون دمشق، فالعمل الإذاعي بكل فروعه يحتاج إلى متابعة مستمرة والمتابعة تقع على عاتق المسؤولين المباشرين، أي أن المتابعة في الإذاعة وفي التلفزيون تقع على عاتق مدير البرامج، الذي من المفروض أن يكون خبيراً برامجياً ومطلعاً على الصورة بكاملها، وقادراً على إدارة واستيعاب كل من يتبع إليه في كافة الدوائر والأقسام. حاولت أن أتابع الإنصات إلى إذاعة دمشق وكنت أتوجه إلى كل من سمعته ولم أكن راضياً عن أدائه وأنصحه بالأسلوب اللطيف الذي يمكن أن يتقبله، وكان كثيرون يشكرونني على متابعتي. وكنت أعلم أن التعرفة المالية تقف في طريق أي إنجاز جاد فعمدت إلى دراستها ونظمت دراسة جديدة لتعرفة مالية أفضل لكن الظروف لم تسمح لي بمتابعتها.

لقد حاولت خلال عملي مديراً للبرامج أن أدرس البرامج المختلفة وأحاول التوجيه في بعضها بقدر استطاعتي وبقدر السلطات الممنوحة لي والتي بدأت كبيرة واسعة ثم مالت نحو التضييق في تناسب طردي مع تقدم السيد مدير الإذاعة في إمساك الخيوط والهيمنة على الموقف والدخول في دقائق لم يكن يعرفها. ومن البرامج التي حاولت إلغاءها برنامج «حكم العدالة» الذي كان يكتبه الزميل الأستاذ المحامي هائل اليوسفي ويخرجه الزميل المخرج محمد عنقا. هذا البرنامج أطرحه في كافة المحاضرات الإعلامية التي ألقيها كمثال على صعوبة تحقيق المعادلة بين ما يريده المستمعون وما يجب أن تقدمه الإذاعة الرسمية ذات الإلتزام. برنامج «حكم العدالة» برنامج ذو شعبية كبيرة وامتد خلال سنوات طويلة بدأ بإخراجه الزميل المخرج فهمي البكار ثم تسلمه الزميل المخرج محمد عنقا وسار فيه

ولا يزال. هذا البرنامج فيه مطبات كثيرة وخطيرة لكن كل مسؤول يقف أمامه متهيباً لأنه ناجح جماهيرياً ولأنه أكثر البرامج الإذاعية سماعاً، لكن وعلى الرغم من نجاحه الجماهيري، هو يؤدي رسالة غالباً ما تكون سلبية، فهو يتحدث عن الجرائم وكيفية التخطيط للجريمة وكيفية ارتكابها وفي النهاية يعاقب المجرم. ويعتقد معد البرنامج أن عقاب المجرم في نهاية الثلاثين أو الخمس والأربعين دقيقة تغطي كل ما ذكر من التخطيط وارتكاب الجريمة متجاهلاً الحقيقة في تعلم الشبيبة والمراهقين أسلوب التخطيط والتنفيذ قبل أن يهابوا النتيجة الحتمية للمجرم ومن ثم محاولة الكثيرين منهم تطبيق ما تعلموه على الواقع، بحيث نكون قد ساهمنا في خلق مجرمين جدد.

ولا أنسى هنا ما جرى معي شخصياً حيث فوجئت منذ سنوات بابنتي الصغيرة تطرح علي سؤالاً هاماً: «بابا هل يجوز أن يحكم أحدهم بالسجن ويقضي خمس عشرة سنة مسجوناً ثم يتبين أنه بريء»، قلت لها: «قد يحدث ذلك ولكنه يبقى استثناء، ولكن لم تسألين هذا السؤال؟» قالت: «استمعت إلى برنامج «حكم العدالة» وفيه حكم إنسان بريء وسجن ثم تبين بعد خمس عشرة سنة أنه بريء» ووقفت حائراً أمامها. ماذا أقول؟ ولنفرض أن الحادثة تحدث، ويكون حدوثها استثناء، هل يجوز أن نمثلها ونقدمها في الإذاعة كي يسمعها الصغير والكبير؟، كنت دائماً ضد هذا البرنامج على الرغم من أن معده ومخرجه صديقان لي، لكن لا علاقة لصداقتهما بخطورة ما يقدمان. ولما أصبحت مديراً للبرامج قلت إن الفرصة مواتية الآن لتنفيذ ما كنت أطالب به: لقيت تمنعاً كبيراً بل واستغراباً: كيف أجرؤ على الحديث عن برنامج هو من أكثر برامج الإذاعة شعبية واستماعاً؟ يا جماعة المستمع تجذبه العلاقات الإنسانية وتسحره حوادث العنف والقتل وما إلى ذلك، لكن هذا لا يعني أن ننسى التزامنا تجاهه ونقدم له ما يريد دون الاهتمام بنتائج ما نقدمه، باختصار: كل ما استطعت أن أنفذه هو تقليص مدة البرنامج من خمس وأربعين دقيقة إلى ثلاثين دقيقة كتوطئة لإيقافه، لكن الذي حدث أنني توقفت أنا عن شغل منصب مدير البرامج وأعيد للبرنامج وقته السابق. تلك المعادلة

الصعبة في الإعلام بين تقديم ما يطالب به المتلقي والالتزام بما يجب أن نقدم، تلك المعادلة تحتاج إلى دراية وإلى تعامل خاص تسانده سلطة المسؤول المقتنع بما يفعل. وتحضرني هنا تجربة أخرى مشابهة إذ إنني لما شغلت منصب مدير القناة الثانية التلفزيونية وكنا نعاني من عدم وجود مواد في مرحلة صعبة مررنا بها صارت تأتينا أفلام عن المصارعة الحرة دون مقابل فصرنا نعرضها مرة في الأسبوع وكان لها جمهور كبير لكن وبعد احتجاجات من جمهور مثقف ومتفهم عدلنا عن عرضها، ربما خسرنا جمهورها لكننا لم نخسر التزامنا وتطبيق ما تعلمناه. نحن هنا لا نفكر في مجال الربح المادي والخسارة نحن هنا نؤدي رسالة ونحقق التزاماً.

بتكليف من السيد المدير العام مثلت وزارة الإعلام (الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون) وألقيت كلمة في حفل تأبين أمير البزق محمد عبد الكريم، إلى جانب كلمة ممثل وزارة الثقافة الفنان محمود جركس وكلمة ممثل نقابة الفنانين الفنان زياد معدني وكلمة أصدقاء الفقيد.

الهيئة العامة السورية للكتاب

مسابقة ودورة المذيعين والمذيعات

في أواخر عام ١٩٨٨ أقامت الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون مسابقة لانتقاء مذيعين ومذيعات هي الأولى من نوعها منذ سنوات خلت، وقد حددت مواد المسابقة على الشكل التالي: سؤال تحريري وعليه أربعون درجة، مقابلة شفهية وعليها ثلاثون درجة، اختبار صوت وصورة وعليه ثلاثون درجة. واشترط أن يكون المتسابقون من خريجي وخريجات الجامعة.

كلف السيد وزير الإعلام كلاً من السادة : المدير العام للهيئة عبد النبي حجازي، يحيى الشهابي، حسين بطيخة، توفيق حسن، عواطف الحفار بوضع أسئلة الامتحان التحريري. ووضعت اللجنة المكلفة موضوعين على المتسابق أن يكتب في أحدهما: الأول مقولة السيد الرئيس حافظ الأسد: «نريد الإعلام أداة تغيير وتطوير نحو الأفضل في كل مجالات الحياة»، والموضوع الثاني: إعلان السيد الرئيس مؤكداً أن تحقيق التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني شرط لا بد منه لتحرير الأرض العربية المحتلة واستعادة الحقوق المغتصبة.

تقدم للمسابقة ٢٤٩ مئتان وتسعة وأربعون متسابقاً ومتسابقة وشكلت لجان لأربع قاعات كانت إحداها برئاستي للإشراف على الامتحان التحريري، ثم شكلت لجنة اختبار الصوت والصورة من السادة: يحيى الشهابي، عواطف الحفار، توفيق حسن، رياض نعسان آغا، وفاروق حيدر. ولجنة المقابلة الشفهية من السادة: سليمان أبو دياب، سليم صبري، الدكتور زكي عروق، الدكتور سليم الملا للغة الإنكليزية، علي عبد الكريم، علاء الدين كوكش، الدكتور عبد النبي اصطيف، الدكتورة لبانة مشوح للغة الفرنسية.

وبعد الإعلان عن النتائج صدر قرار بتوقيع السيد المدير العام الأستاذ عبد النبي حجازي بإقامة دورة تدريبية (مذيع محرر) لمدة ثلاثة أشهر، وكلفت بالإشراف عليها على أن يعتمد التعيين النهائي للناجحين على نتيجة تلك الدورة ولا يعين كل من تقل مجموع علاماته عن ٦٠% وكان عدد المتدربين والمتدربات خمسة عشر متدرباً ومتدربة.

قمت بوضع برنامج مفصل للدورة عمدت أن يشتمل على كل المواضيع الثقافية والسياسية والفنية يحاضر فيها مختصون خلال الشهر الأول ثم خصص الشهر الثاني للموضوعات الإعلامية مع التركيز على الإذاعة والتلفزيون وخصص الشهر الثالث للتدريب العملي في الاستديوهات مع فرز المتدربين بحركة دورية على دوائر وأقسام الإذاعة والتلفزيون للاطلاع على سير العمل، وأرتأيت أن نوجه للسادة الذين اخترناهم محاضرين في الدورة رسالة ندعوهم فيها إلى ذلك. وجاء في الرسالة:

"انطلاقاً من الثقة العميقة بخبراتكم العلمية وانسجاماً مع خطة المديرية العامة لهيئة الإذاعة والتلفزيون في تهيئة العناصر الإعلامية على القيام بمهامها بأسلوب علمي ندعوكم لإلقاء محاضرة في..... يوم..... بتاريخ..... الساعة..... على منتسبي دورة المذيع المحرر التي تقيمها الهيئة اعتباراً من ١/ ١١/ ١٩٨٨ ولغاية ١٩٨٩/١/٣١ وذلك في مقر المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني الذي استضاف هذه الدورة الرائدة، علماً بأن في إسهامكم الإيجابي هذا، ما يؤدي إلى تحقيق الغاية المرجوة من إقامة الدورة، مع وافر الشكر والتقدير، وجاء الكتاب بتوقيع السيد المدير العام وتوقيعي مديراً للدورة.

اشترك في محاضرات الدورة عدد كبير من الأعلام والعلماء ويمكن إدراج بعض العناوين مع أسماء من يحضرني من السادة المحاضرين:

الإعلام: نظريات وتطبيق: أ. حسين العودات

التوجيه السياسي: د. تركي صقر

علم الاقتصاد: د. الياس نجمة

في الفكر السياسي: د. أحمد درغام

التواصل الإعلامي مع الجمهور: د. صفوح الأخرس

الكتابة الصوتية: أ. نجاة قصاب حسن

مبادئ في اللغة العربية: د. حسين بطيخة

مبادئ في الموسيقى: أ. صميم الشريف، د. سعد الله آغا القلعة

فن التجويد: د. مازن المبارك

الإعلام وعلم النفس: د. نزار عيون السود

فن الإلقاء: د. رضوان الداية

المدارس الأدبية: د. حسام الخطيب

تشكيل السلوك: د. فخر الدين القلا

الإعلام والتربية: د. صالحة سنقر

السينما: أ. صلاح دهني

خصائص الصوت والإحساس السمعي: أ. زهير خيمي

خصائص الصورة وأحساس الرؤية: د. سمير جبر

النقد: د. عبد النبي اصطيف

اقتصاد: د. مفيد عبد الكريم

اللغة الإنكليزية: د. سليم الملا

اللغة الفرنسية: د. لبانة مشوح

إلى جانب مساهمة غالبية الزملاء والزميلات في الإذاعة والتلفزيون ممن لديهم القدرة والإمكانات في إلقاء المحاضرات وإجراء التدريبات العملية لبناء المذيع - المحرر الناجح عن طريق تعليمه فن الإلقاء والقراءة والتحرير للبرامج ونشرات الأخبار وإجراء المقابلات وعقد الندوات وإقامة المناقشات وبث المناسبات الخارجية مباشرة على الهواء وما إلى ذلك.

أقيمت الدورة بنجاح وحسب البرنامج الموضوع لها، وبعد انتهائها طلبت من السيد المدير العام تمديد فترة التدريب كي لا نرمي بالمتدربين أمام المايكروفون والكاميرا قبل أن يكونوا جاهزين فيحترقوا ويفشلوا، واقتنع السيد المدير العام ووافق على تمديد فترة التدريب.

لابد لي أن أذكر هنا حادثة وقعت أثناء الدورة يصعب أن أنساها، ولأنني عاهدت نفسي أن أكتب كل ما أنكره عن مشواري مع المايكروفون خلال نصف قرن: كان من جملة السادة المحاضرين في الدورة أحد المسؤولين الذي جاء في موعده فاستقبلته الآنسة التي كلفت بأن تكون سكرتيرتي، لأنني أشغل منصب مدير برامج الإذاعة ولا يمكن أن أكون في مركز التدريب مع المتدربين طوال الوقت، فكانت الآنسة ليلى تستقبل الضيوف المحاضرين وتقدمهم للمتدربين، لكن السيد المسؤول سألها مباشرة وبعد نزوله من سيارته: أين مدير الدورة؟ فأجابت الآنسة ليلى: إنه في الإذاعة وأنا سكرتيرته، فأبدى استياء واضحاً لعدم وجودي كي أستقبله وألقى محاضرته وذهب مباشرة إلى السيد وزير الإعلام يحتج على الاستقبال الذي اقتصر على سكرتيرة فقط، دون مدير الدورة ودون المدير العام للهيئة أو أحد مدرائه. وغضب السيد الوزير فهتف للسيد مدير الإذاعة الأستاذ صفوان غانم وهو يزمجر وطلب الحديث معي. كانت غرفتي بجانب غرفة مدير الإذاعة وكان لدي كما أذكر بعض الزائرين فهتف لي الأستاذ صفوان وطلب مني الحضور إلى مكتبه، ولما قلت له لدي زوار وسآتي بعد أن يذهبوا، أصر على أن أحضر فوراً لأن الأمر هام، اعتذرت من الضيوف وذهبت إلى مكتب السيد مدير الإذاعة فانبرى يعلمني بهلع أن السيد الوزير يريد الحديث معي عبر الهاتف، فعجبت لهلعه وتبسمت وأخذت سماعة الهاتف. كان السيد الوزير ينتظرني.. قلت : ألو.. صرخ غاضباً: «أنت فاروق حيدر؟» فوجئت بأسلوبه ووجدت نفسي أقول: «أنا الأستاذ فاروق حيدر»، فازداد غضبه وأعاد السؤال: «أنت فاروق حيدر؟». تنازلت عن شيء من كبريائي وقلت له: «نعم أنا فاروق حيدر»، قال: «لك إنتو ما بتستحوا؟»، وعلا صوتي: «ماذا تقول؟ وماذا تعني؟ ولم هذا الصراخ؟» قال لي: «أنا الوزير»، قلت له: «أهلاً وسهلاً سيادة الوزير

أنا الأستاذ فاروق حيدر»، قال: «أنت قليل الأدب ووقح»، قلت: «لست أنت من يقرر هذا، الله ووالدي فقط يمكن أن يوجها لي كلمات من هذا النوع»، قال: «فعلاً أنت وقح.. أترك عملك واذهب إلى بيتك».. قلت له: «أنا أعمل بموجب مرسوم جمهوري وقعه السيد الرئيس ولن يخرجني من عملي إلا مرسوم آخر موقع منه، مع ذلك ، أنا ذاهب لكن ليس إلى بيتي بل إلى القصر الجمهوري لأعلم السيد الرئيس بقرارك» وصفقت سماعة الهاتف. جرى كل هذا وأنا كأنني في عالم آخر، كانت المفاجأة كبيرة، لم أدر ماذا جرى ولماذا كان السيد الوزير يتصرف هكذا معي، لكنني وجدت بجانبي الأستاذ صفوان وقد امتقع وجهه وقال لي: «كيف تخاطب الوزير بهذا الأسلوب؟» قلت له: «خاطبني بأسلوب جعلني مرغماً على أن أجيبه بهذا الأسلوب»، لوح برأسه وقال هامساً وكأنه يخشى أن يسمعه: «إنه يوجه كلاماً قاسياً ونسكت، تلك عادته»، قلت له: «أنت تسكت لأنك تخاف على كرسيك، أنا لم أسكت؟ تعلم أنني لست متعلقاً بالكرسي الذي أجلس عليه، أنا أصلاً فنان ولا أريد أن أتعرض لهكذا موقف في عملي الإداري، وأنا الأن ذاهب لجمع أغراضي والذهاب إلى القصر لأطلب لقاء السيد الرئيس». قال الأستاذ صفوان باهتمام شديد: «ماذا تقول؟» قلت : «السيد الوزير طلب مني أن أذهب إلى البيت ولا يحق له ذلك»، وتركت غرفة السيد مدير الإذاعة وعدت إلى غرفتي لأجمع أغراضي وأذهب. لم تمض دقيقتان أو ثلاث إلا ورن الهاتف في غرفتي وكان المتحدث السيد المدير العام الأستاذ عبد النبي حجازي، قال لي: أستاذ فاروق هل تتزل إلي لنشرب فنجان قهوة معاً؟ قلت له: «أنا آسف، إنني أجمع أغراضي وسأذهب لطلب مقابلة السيد الرئيس»، قال لي بهدوء: «أستاذ فاروق، انزل إلي» غرفته في الطابق الثاني وغرفتي في الطابق الثالث من بناء الهيئة، قلت له: «أنا آسف»، قاطعني وقال: «انزل إلي الآن أريد أن أتحدث معك»، وضعت سماعة الهاتف ونزلت إليه فاكتشفت أن السيد الوزير قد هتف له بعد حديثه الغاضب العاصف معي وبعد أن سمعني أهدد بالذهاب إلى القصر الجمهوري طلب منه تهدئتي ومنعي من الذهاب. ولا أريد أن أعيد حديث السيد المدير العام بل أقول إنني اقتنعت بكلامه وعدت إلى مكتبي.

وسارت الأمور وكأن شيئاً لم يكن على الرغم من أنني توقعت أن يعفيني من منصبي كمدير للبرامج وكمشرف على دورة التدريب، لكنه لم يفعل. وبعد أسبوع تقريباً على هذه الحادثة «الجلل» دعيت لاجتماع مدراء في مكتب السيد المدير العام برئاسة السيد الوزير فأبديت للسيد مدير الإذاعة اعتذاري عن الحضور خشية أن يحدث تصادم جديد مع السيد الوزير. لكن الأستاذ صفوان لم يوافقني واتصل بالسيد المدير العام الذي هتف لي وطلب مني الحضور فقلت: «أنا لا أريد إحراجك لأن السيد الوزير إذا وجه إلي أي كلمة فلن أسكت. لقد أهانني مرة عبر الهاتف ولن أسمح له أن يهينني ثانية». وقال الأستاذ حجازي بثقة: «لن يحدث ما تتوهمه، بالعكس، أنت تأتي وتحضر الاجتماع وسترى بنفسك»، فهمت أن موضوع ذاك الحوار الساخن قد طوي بالنسبة للسيد الوزير وحضرت الاجتماع، وأذكر تماماً أنه لما دخل السيد الوزير مكتب السيد المدير العام حيث الاجتماع ووقفنا احتراماً وترحيباً به تجول بعينيه بين المدراء حتى وصل إلي وقال لي مبتسماً: «مرحباً أستاذ فاروق»، ولمحت السيد المدير العام يبتسم لي ويغمز بعينه وكأنه يقول لي: «أرأيت؟»

أعود إلى دورة تدريب المذيعين المحررين الجدد فأقول إن الأمور كانت تسير بشكل جيد حتى جاءت المفاجأة التي لم أكن أتوقعها إذ أعلمني السيد المدير العام أن السيد الوزير أبدى رغبته بأن يبدأ ظهور الوجوه الجديدة على الشاشة وانطلاق الأصوات الجديدة عبر المذياع، فأبديت اعتراضي على ذلك محاولاً إقناعه بأن دفعهم هكذا قبل أن يتم تدريبهم سوف يحرقهم. لكنه أجابني بأن السيد الوزير يريد ذلك، قلت له: «ألا يمكنك كمدير عام أن تحاول إقناع السيد الوزير بخطورة هذه الخطوة؟» قال: «لا يمكنني»، قلت له: «ألا يمكنني أن أقابله وأحاول إقناعه؟» نظر إلي نظرة العالم للجاهل وقال: «يا أستاذ فاروق أنت تتكلم عن وزير، إذا أراد الوزير أمراً لا نستطيع مجادلته فيه»!! زادت ثورتي وارتفع ضغطي فقلت له: «إذن أنا أعتذر ولن أواصل مشواري مع المتدربين لأنني غير مؤمن بما سيجري»، السيد المدير العام لم يلق بالاً لما قلته. كان همه أن ينفذ رغبة السيد الوزير، وكان أن أعيدت نفس الأخطاء السابقة عندما كان يأتي

شخص ما ليصبح مذيعاً فيجري له اختبار مبدئي ثم يلقى في الاستديو وأمام الكاميرا كي يتعلم على حساب المستمع والمشاهد دون أن يكون هناك من يتابعه وينصحه ويوجه النقد إليه،وهذا ما حدث مع أبنائي وبناتي الذين واللواتي قامت بيني وبينهم علاقة وطيدة فيها أبوة وفيها صداقة وفيها تعليم بين معلم وتلميذ.

صدر قرار السيد المدير العام بالتحاق الآنسات والسادة المذكورة أسماؤهم فيما يلي بمديرية التلفزيون البرنامج العام كمذيع محرر: إيمان الرحبي، لمى الحوراني، هالة الجرف، هيام أبو سمرة، رندة مهتدي، أمل مكارم، حسين سلمان، وبالتحاق الآنسات والسادة المذكورة أسماؤهم فيما يلي بمديرية الإذاعة كمذيع- محرر: فاتن الحاج ياسين، فاتنة محمد، لينا الأسعد، سلوى الصاري، شادن حمدان، محمد علاء الدين، منقذ العلي، بسام رزق.

وتحضرني هنا حادثة أخرى لابد من ذكرها حيث كنت قدمت تقريراً مفصلاً عن دورة تدريب المذيع المحرر للسيد المدير العام الذي قال لي إنه ربما يقدم التقرير المذكور للسيد الوزير ويضع اسمه عليه فأجبته مباشرة: «المهم أن يصله التقرير ويقرأه علنا نفيد من إجراءات اقترحتها فيه، ولا يهم إن كان باسمي أو باسمك» لكنني بيني وبين نفسي أكبرت فيه تلك الصراحة واعتبرتها نوعاً من الرجولة والصدق في التعامل، إذ كان من الممكن أن يقدم التقرير باسمه دون أن يعلمني ودون أن أدري بذلك، لكنه فضل أن يأخذ إذني بشكل غير مباشر ويكون واضحاً معي.

بعد فترة وجيزة تأزمت العلاقة بيني وبين السيد مدير الإذاعة الذي بدأ يشعر بأنه قد ملك زمام الإذاعة ولا حاجة لتدخلي ونصحي فصار يتجاوزني ويصدر تعليماته دون إعلامي، فصرنا نختلف وأطلب منه إعفائي فيتراجع ويحاول تهدئة الأمور بطيبته المعهودة، فقد كان رجلاً طيباً على الرغم من اختلافي معه، وكان يذكر لي أنه لم يقصد تجاوزي، ثم صار يقول إنه هو المسؤول، ثم زادت الأمور تعقيداً حتى وصلت قصتنا إلى السيد وزير الإعلام الذي أبدى استياءه وهدد وتوعد فطلبت إعفائي من منصبي شارحاً للسيد الوزير

كيف أنه من الصعب الاستمرار على ذاك المنوال ونحن معاً ومن الطبيعي ألا يعفى السيد مدير الإذاعة فالحل في إعفائي، وهذا ما كان ببساطة وسهولة وبخاصة بعد أن عاد السيد زهير بريدي مديراً عاماً وساهم في تأجيج الموقف وصدر القرار بتوقيع السيد وزير الإعلام محمد سلمان بتاريخ ١٩٨٩/٥/٤.

قبل أن نتجاوز موضوع المذيعين المحررين الجدد أشير إلى أنني عندما ألتقي مع بعضهم مصادفة يسألونني عن رأيي فأجيبهم بصراحة، وكثيرون منهم كانوا يشكون من أن لا أحد يعتني بهم ولا أحد يتابع خطواتهم، كما كنت أفعل، ولا أحد يوجه إليهم أي نقد سواء أكان نقداً سلبياً أو إيجابياً، كانوا ضائعين.. وقد ضاع أغلبهم فعلاً إلا أولئك الذين اعتمدوا على أنفسهم وتعبوا وجهدوا كي يواصلوا الطريق الصحيح الذي كان لي شرف وضعهم في بدايته.

* * *

يبقى من حصاد عام ١٩٨٩ محاضرات في المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني ومحاضرات في المعهد العالي للفنون المسرحية - قسم النقد - الصف الثالث حول الإذاعة وما يتعلق بها. وأتفرغ مع بداية العام ١٩٩٠ لعملي الإذاعي الذي أرتاح له وأجد المتعة في الكتابة والإخراج والتمثيل، فأشعر بحلاوة الخلق والإبداع وبالبعد عن دهاليز العمل الإداري ومشاكله، ويهمني هنا أن أشير إلى نقطة هامة ألا وهي أن تسلم المنصب الإداري، مهما كان موقعه فترة من الفترات لا يعني أن يستنكف من يعفى منه ولا يعود لعمله الأصلي فالمعروف عندنا أن المنصب الإداري لا يدوم، لكن العمل الأساسي الذي يقوم به الفرد ويتقنه هو العمل الدائم قبل تسلمه المنصب الإداري وفي أثنائه وبعده، وهذا ما طبقته فقد كنت مواظباً على الإخراج الإذاعي ولم أتردد يوماً في العودة إليه بحماس بعد إعفائي من منصب إداري شغلته. كنت مدير البرامج ثم عدت أمارس الإخراج وأتبع دائرة التمثيليات التي يرأسها زميل رئيسه مدير البرامج، لكنني ما شعرت يوماً أن عودتي تمس كرامتي فما دمت مؤمناً بعملي وأقوم به بإخلاص وكفاءة فليس لأحد أن يتدخل. بل من خلال تجاربي، كان المسؤولون

يعاملونني باحترام لأنني عندما كنت في المنصب الإداري عاملتهم باحترام ولم أشعرهم أنني بت أعلى منهم مرتبة. تأتي هذه الكلمات بعد أن طرق ذاكرتي حادث لم أنسه، فعندما تسلمت مديرية البرامج في الإذاعة اكتشفت أن الزميل المذيع ميشيل قوشقجي رحمه الله لم يمارس عمله كمذيع ناجح وكفء بعد إعفائه من مديرية البرامج بل فضل الابتعاد والبقاء في بيته، ووجدت أن عدم كسب الإذاعة لصوته الرخيم وإلقائه الجيد يعد خسارة كبيرة، فاتصلت به هاتفياً وطلبت منه أن يعود ليسمعنا صوته ولنستفيد من خبرته وأكدت له صدق نواياي بالنسبة للموضوع لكنه لم يعد. وفوجئت أنه نقل إلى مؤسسة أخرى بناء على طلبه، فأسفت وأسف عارفوه. وكما افتقدت الزميل ميشيل كمذيع ناجح كذلك افتقدت الزميل منير الجبان كمحاور ناجح وكمقدم برامج بارع، حيث اكتشفت أنه مبتعد هو الآخر عن الإذاعة لسبب لا أدريه، فهتفت له ودعوته إلى العودة للمساهمة فعاد، ورحبت بعودته واستمر منذ ذاك الحين وحتى اليوم بين الإذاعة والتلفزيون وهو يؤكد على ما توسمت فيه من علائم إعلامي ناجح، وأرى أنني فعلت خيراً بدعوته حيث كسبته إذاعة وتلفزيون دمشق.

كنت مستمراً في إعداد وتقديم برنامج تنظيم الأسرة وهو بإشراف جمعية تنظيم الأسرة السورية ويتحدث عن كل ما له علاقة بتحسين مستوى الأسرة عن طريق تنظيم النسل والمباعدة بين الحمول، والمحافظة على صحة أفراد الأسرة والإرضاع الطبيعي وما إلى ذلك، كذلك استمريت بإخراج برنامج «مع الشعراء» الذي كان يكتبه الأستاذ أحمد الجندي رحمه الله، وأخرجت مسلسلاً يعنوان «من قصص الغابرين» كتبته السيدة هيام الشمعة، ومسلسلاً آخر اجتماعياً بعنوان «امرأة من هذا الزمان» كتبته السيدة رويدة الجراح، إلى جانب كتابتي «تمثيلية الأسبوع» لإذاعة الرياض. واشتركت بالتمثيل في البرنامج الدرامي «حب وعبقرية» الذي كان يكتبه الدكتور سامر جلعوط ويخرجه الزميل مروان عبد الحميد رحمهما الله.

وفي هذا العام ١٩٩٠ تسلم الأستاذ زهير بريدي منصب مدير المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني ولأنني لم أدخل مكتبه وأبارك له بالمنصب

الجديد وبسبب سوء التفاهم الذي كان بيننا جراء تصرفاته تجاهي وهو على كرسي المدير العام لهيئة الإذاعة والتلفزيون، أوقف تعاوني مع المركز وفضل أن يأتي بخبراء عرب وأجانب ويدفع لهم الأجر بالدولار مع تكاليف إقامتهم في فندق خمس نجوم وسيارة، على أن يستعين بي خاصة وأنه لا يوجد في الساحة السورية اختصاصي كمخرج إذاعي وكاتب ومذيع، وسيأتي هذا الموضوع في القسم الذي سأخصصه للمركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني.

وفي العام ١٩٩١ أخرجت مسلسل «امرأة وأربعة رجال» للزميل وديع اسمندر، ومسلسل «ولادة» للأستاذ أحمد يوسف داوود. إلى جانب البرامج التي ذكرتها سابقاً.

أجرى مندوب صحيفة الندوة السعودية الأستاذ تميم الحكيم لقاء معي حول الإذاعة والتلفزيون ومشكلة الإنتاج التلفزيوني في الوطن العربي.

وفي العام ١٩٩٢ أخرجت مسلسل «عودة المهاجر» للأستاذ الزميل علي كنعان إلى جانب البرنامج الأسبوعي «شخصيات روائية» الذي كتبته الزميلة نهلة السوسو.

وفي العام ١٩٩٣ بدأت إلى جانب أعمالي الإذاعية بالعمل في ميدان إخراج دوبلاج بعض الأعمال الأجنبية - الكارتون للصغار- وذلك لحساب استديو شمرا الذي كان صاحبه الزميل خلدون المالح فحققت ثلاثة أعمال: كريستوف كولومبوس، سنجوب، فيكي. وقد كنت متردداً في خوض مجال الدوبلاج لأول مرة في حياتي، لكنني في نفس الوقت أردت أن أجرب نوعاً جديداً من الإخراج الذي يعتمد على دراسة الصورة وإيجاد الصوت الملائم لها، ومتابعة حركة الفم لكل شخصية، ووجدت منذ تجربتي الأولى أن إخراج الدوبلاج يحتاج لحرفية المخرج الإذاعي في الدرجة الأولى لاعتماده على الصوت وملائمته الصورة والشخصية المفروضة، وبعد تحقيق تلك الأعمال الثلاثة واصلت العمل وحققت أعمالاً أخرى على الرغم من أنه عمل متعب ويحتاج لتركيز كبير وبخاصة في حركة الفم ومطابقة السمع على الرؤية.

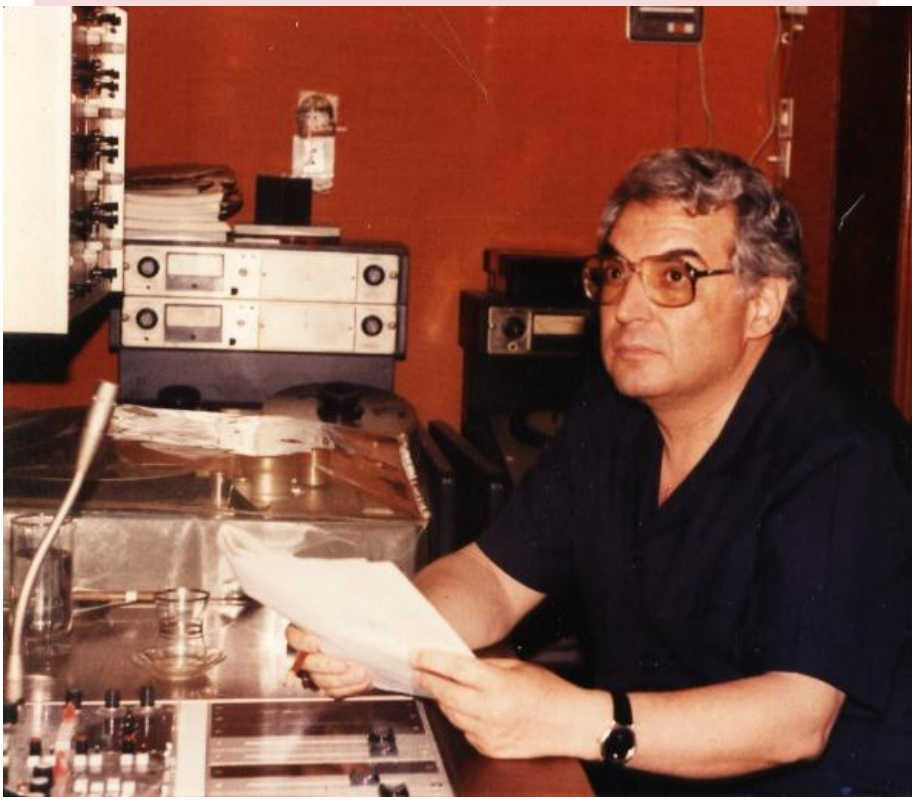

في استديو شمرا

الهيئة العامة السورية للكتاب

أما في الإذاعة فأضفت إلى ما ذكرت سابقاً إخراج برنامج «مسرحية الأسبوع» التي كان يكتبها الدكتور نديم معلا، ومسلسل «حكايات من العالم» للصغار كتبه الأستاذ مفيد خنسا.

كذلك ذهبت إلى تونس كعضو في لجنة تحكيم مهرجان برامج الأطفال الإذاعية الذي أقامه اتحاد الإذاعات العربية في تونس والتابع لجامعة الدول العربية. وكانت تلك زيارتي الثانية إلى تونس، ذلك البلد العربي الذي كنت بمقابلتي لبعض الإخوة التوانسة في هولندا، ومنهم الزميل فتحي المورة لي، كنت قد كونت فكرة عن مدى التقارب الموجود بين شعبينا، على الرغم من اختلاف لهجتينا العاميتين وبعدهما، فالشعب التونسي شعب لطيف ومضياف وتونس تتسم بجمال الطبيعة وبالاهتمام الكبير بالسياحة والسياح الأجانب، وقد لفت انتباهي الاعتماد الكامل على اللون الأبيض فقط في البناء وعلى اللون الأزرق في أبواب ونوافذ البناء. وأذكر أنني كنت العضو السوري في لجنة تحكيم مهرجان برامج الأطفال الإذاعية وكانت الزميلة هالة الأتاسي في لجنة تحكيم مهرجان برامج الأطفال التلفزيونية، ومما أسعدنا أن كلاً من البرنامج الإذاعي السوري والبرنامج التلفزيوني السوري نال الجائزة الذهبية الأولى فكان انتصاراً كبيراً أن نعود إلى دمشق بجائزتينا الكبيرتين.

وفي هذا العام أيضاً كنت عضو لجنة اختبار الفنانين الدراميين في نقابة الفنانين بدمشق. ويمكن قول الكثير عن تلك اللجنة حيث يشترك فيها بعض أعضاء مجلس إدارة النقابة مع بعض المختصين أمثالي عن كل من الإذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما. وكنا أحياناً نختلف حول تقويم أحد المتقدمين كما حدث في تقويم إحدى المتقدمات لاختبار مخرج إذاعي وفي مجال الإذاعة تكون الكلمة الفصل لي، إذ لكل مختص مجاله، فقررت رسوبها وتبين أن أحد أعضاء مجلس الإدارة مصر على نجاحها وحاول معي بشتى الطرق فلم أقبل لأنها فعلاً لا تستحق النجاح، ولأنها مثلت أمام اللجنة بشيء من اللامبالاة وكأنها واثقة من نجاحها مما أغاظني. المهم لم تنجح في تلك اللجنة لكنها نجحت في اللجنة التي تلتها والتي لم أكن عضواً فيها!!!، كذلك أذكر أن الزميلة الفنانة ثراء دبسي تقدمت لاختبار مخرج إذاعي وهي ممثلة ممتازة فوافقت على نجاحها، لكنني أخبرتها أن عليها ألا تترك التمثيل لأنها كممثلة ممتازة أفضل بكثير من أن تكون مخرجة

مبتدئة وقد لا تصبح ممتازة. كذلك حدث مع زميلة فنانة أخرى هي نسيمة ضاهر لكن هذه خريجة معهد التمثيل ومن حقها أن تطمح لتصبح مخرجة إلى جانب كونها ممثلة. وطرحت من جديد فكرة قبول أو رفض أولئك الذين مارسوا الفن إلى جانب أعمالهم الأساسية وأصبحوا في عمر متقدم. ومنذ أن كان نقيب الفنانين الأستاذ صباح فخري تبنى مجلس الإدارة مبدأ ألا يسمح لهم بالانخراط في النقابة لأن ما سيدفعونه من اشتراكات لا يغطي ما سوف يتقاضونه من مرتب تقاعدي ومن مصاريف المعالجة خاصة وأنهم قريبون من سن التقاعد، بينما كنت أنا أحبذ قبولهم ما داموا قد شاركوا في أعمال فنية وبخاصة أولئك الذين في المحافظات البعيدة حيث كانوا يغطون النقص الموجود في كل مناسبة، ثم أصبح الأمر تابعاً لمدى صلاحية كل منهم وضرورة اجتيازه الاختبار العملي والشفهي للعضوية .

وفي هذا العام وفي يوم عيد ميلادي الرابع والخمسين ١٩٩٣/٤/١٦ قضى الزميل مروان عبد الحميد إثر حادث أليم، حيث ضربته سيارة طائشة ليلاً وهو يسير على الرصيف وفرّت دون معرفة الفاعل، وقد توقف سائق تكسي ابن حلال وحمله في سيارته وأخذه إلى مستشفى دار الشفاء القريب من مكان وقوع الحادث، لكنهم رفضوا قبوله لأنهم لا يستقبلون حالات الإسعاف، فاضطر إلى أخذه إلى مستشفى المجتهد حيث وصل وقد فارق الحياة. ذهلت للنبأ فهو كان شديد الحرص أثناء سيره في الشارع وكان يردد خشيته من أن يأتي سائق أرعن ويقضي عليه، وهذا ما حصل، ثم حدثني أخوه الأستاذ محمد شاهين أنه كان دوماً يردد بعدم إيمانه دخول مشفى حكومي مهما حصل له لكنه انتهى إلى مستشفى حكومي، رحمه الله كان رجلاً طيباً صادقاً وقد أمضينا معاً سنوات في مشوارنا الإذاعي، وكان إذاعياً ناجحاً مثقفاً، وفي الرابع والعشرين من أيار / مايو في العام نفسه أقامت نقابة الفنانين حفل تأبين له ألقيت فيه كلمة أصدقاء الفقيد فانفعلت وأشرفت على البكاء.

في العام ١٩٩٤ وفي ٢٦/أيار مايو أقامت نقابة الفنانين حفلاً بمناسبة عيد الفنانين الأول تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية وبحضور ممثله السيد سليمان قداح وقد تم تكريم سبعة وثلاثين فناناً كنت واحداً منهم وحصلت على درع النقابة مع براءة تقدير ومبلغ عشرة آلاف ليرة سورية.

عيد الفنانين
عيد الفنانين الأول ١٩٩٤

وقد واصلت هذا العام عضويتي في لجنة اختبار الفنانين وكانت مؤلفة من الفنانين الزملاء: محمد شاهين عن السينما، فردوس أتاسي عن التلفزيون، حسن عويتي عن المسرح، طلعت مغربي وحسني أبو جيب عن المهن الأخرى في التلفزيون، وفاروق حيدر عن الإذاعة مع زهير رمضان وحسن دكاك من مجلس إدارة النقابة.

في هذا العام أخرجت أربع تمثيليات قصيرة مع برنامج قصير بعنوان «حواديت» للأطفال قدمه الأستاذ دريد لحام وذلك لصالح اليونيسيف في عمان الاردن. كذلك أخرجت مسلسلاً رمضانياً بعنوان «رسالة الغفران للمعري» كتبه الزميل مروان ناصح، ولهذا المسلسل قصة طريفة لا زلت أذكرها، إذ من المعروف أن رسالة الغفران عمل أدبي اعتمد فيه المعري على خياله بمعنى أنه عمل غير واقعي لذا وجدت أن أستعمل موسيقى الغيتار كلحن لشارة المسلسل آخذاً بعين الاعتبار أن الغيتار، الآلة الموسيقية الحديثة، لا تتناسب وجو ما كتبه المعري بحيث أكون واصلت لعبة الأدب اللامعقول الذي بدأه المعري محترماً بذلك فهم المستمع ومحاولاً رفع مستواه، لكنني فوجئت يوماً بلقاء السيد المدير العام الأستاذ عبد النبي حجازي، وكان لا يزال مديراً عاماً لسنوات، على غير العادة، لقيته في المصعد فضحك بسخرية وقال لي: «اتستعمل الغيتار لعمل كتبه المعري؟» وفوجئت بما يقول لكنني نظرت إليه دون أن أجيب وعندما وصل المصعد إلى طابقه الثالث توقف ليخرج السيد المدير العام فقلت له: «سلاماً»، وانتهت القصة عند هذا الحد، لكنها أخذت أبعادها لدي. لا شك أن أحد أولاد الحلال الجهلة هرع إلى المدير العام ليسخر من مخرج كبير وقديم يقع في خطأ شنيع فيستعمل الغيتار في غير موضعه.

ويحمل السيد المدير العام القصة كما هي ليواجهني بها ساخراً، ولو تريث إذن لسأل نفسه: «هل يمكن لذلك المخرج الكبير والقديم والمثقف والأكاديمي الوحيد بين مخرجي الإذاعة، هل يمكن له أن يخطئ ذاك

الخطأ؟ لابد وأنه يقصد شيئاً، ومع الأسف: المنقول إليه جاهل أيضاً في أمور الإخراج، في الحقيقة كنت في كامل الرضا عن رد فعلي الهادئ والمعبر وتمنيت من قلبي أن تكون الرسالة قد وصلت واضحة.

وبوصولي إلى العام ١٩٩٥ تم تكريمي من قبل الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون إلى جانب بعض الزملاء الآخرين وبحضور السيد وزير الإعلام آنذاك الأستاذ محمد سلمان والمدير العام الأستاذ عبد النبي حجازي ومدير الإذاعة الأستاذ صفوان غانم ومدير التلفزيون الأستاذ عبد السلام حجاب.

وقدمت لي «شهادة تقدير بمناسبة العيد الفضي للحركة التصحيحية التي قادها السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية تكريماً للفنان السيد فاروق حيدر لمساهمته الكريمة في أعياد سورية واحتفالاتها، دمشق ١٩٩٥/١١/١٦ وزير الإعلام د. محمد سلمان».

الهيئة العامة السورية للكتاب

العيد الذهبي
للحركة التصحيحية بقيادة الرئيس
حافظ الأسد
سورية

وتابعت أعمالي في الدوبلاج لدى شركة شمرا، كما تابعت إخراج برنامج «شخصيات روائية» الأسبوعي الذي تكتبه الزميلة نهلة السوسو في إذاعة دمشق، وكذلك تابعت كتابة تمثيلية الأسبوع لإذاعة الرياض.

وعلى المستوى الصحفي كتبت مقالة بعنوان «بين المذياع والتلفاز» نشرتها مجلة العربي الكويتية تحت باب «منتدى العربي» تساءلت فيها عما إذا كان هناك حرب معلنة بين الإذاعة والتلفزيون أم اتفاقية تبادل مصالح ثم توصلت إلى أن كلاً منهما وسيلة اتصال جماهيرية لا غنى عنها.

كذلك جاءت مذيعة من «صوت العرب» المصرية وأجرت لقاء معي لبرنامجها «سواح» الذي سيذاع في رمضان.

وفي العام ١٩٩٦ واصلت إخراج دوبلاج بعض الأعمال الكرتونية وكتبت مسلسلاً عن الطيور بعنوان: «الأجنحة الطليقة» وأخرجته لإذاعة دمشق، وأجرت معي الزميلة سلوى الصاري، وهي من تلميذاتي اللواتي اجتزن دورة المذيعين لعام ١٩٨٩، أجرت مقابلة لبرنامجها الأسبوعي: «الوجه الآخر»، كما اشتركت في التمثيل ببرامج درامية مختلفة.

وفي العام ١٩٩٧ كتبت وأخرجت لإذاعة دمشق مسلسل «غداً يزهر الياسمين» من ثلاثين حلقة مدة الحلقة خمس عشرة دقيقة وهو اجتماعي يدعو إلى التفاؤل، كذلك كتبت وأخرجت برنامج «المرأة العربية في رحاب الإسلام» لرمضان.

وأجرت معي مندوبة إذاعة صوت العرب المصرية، وقد نسيت اسمها، أجرت لقاء تحدثنا فيه عن الإذاعة ومسيرتي فيها.

كما اشتركت في إبداء رأيي حول الدراما الإذاعية في مقال نشرته صحيفة تشرين في ١٩٩٧/٤/٥ وأنجزته الصحافية ندى أسعد، إلى جانب آراء: الأستاذ سعد لبيب من إذاعة القاهرة، والزميل نزار شرابي رحمه الله والزميل عبد الكريم إسماعيل، والزميل مازن لطفي. وقد تحدث الأستاذ سعد لبيب عن الدراما الإذاعية وإثارتها لخيال المستمع، وأشرت أنا إلى خصوصية

اشتراك المستمع في تكوين صورة الحدث حسب ما يلهمه به الكاتب والمخرج والممثلون، وتحدث الزميل نزار شرابي عن ضآلة أجور الدراما الإذاعية ومدى انعكاس ذلك على الأعمال الدرامية، وذكر الزميل عبد الكريم إسماعيل شيئاً عن موضوع لغة الحوار الإذاعي، وتحدث الزميل مازن لطفي عن مهمة المخرج الإذاعي.

وفي هذا العام أيضاً كنت عضواً في لجنة اختبار الفنانين في نقابة الفنانين، وأذكر من أعضاء اللجنة: أيمن زيدان، يوسف حنا، فاهي ديمرجيان، ريمون بطرس، وكان نقيب الفنانين آنذاك الأستاذ أسعد فضة.

وفي العام ١٩٩٨ كتبت وأخرجت لإذاعة دمشق مسلسل «شروق» من ثلاثين حلقة مدة الحلقة خمس عشرة دقيقة موضوعه اجتماعي. وإلى جانب المحطات الاعتيادية من إخراج وتمثيل في بعض البرامج والمسلسلات خضت هذا العام تجربة جديدة حيث أسند إلي دور الجد في تمثيلية تلفزيونية سباعية الحلقات من تأليف الكاتب الحلبي نهاد سيريس وإخراج الفنان محمد الشيخ نجيب واسمها: «قضية تمام» وجدير بالذكر أن هذه هي المرة الثانية في حياتي أمثل فيها أمام الكاميرا والغريب أن نفس الانطباع الذي كونته منذ سنوات، عدت وكونته في هذا العمل وملخصه أن التمثيل في التلفزيون لا يتلاءم وشخصيتي وطبيعتي، وفي الحقيقة رفضت الاشتراك في هذا العمل في البداية لكنني قبلت بعد إلحاح الزميلة ثراء دبسي التي كانت تمثل أمامي دور الجدة والعمل مكرس للصغار، لكن وبعد انتهائنا من العمل قررت ألا أعود لمثلها، تماماً كما سبق وقررت ذلك في أول عمل تلفزيوني لي عام ١٩٧٦ وكان من تأليفي وإخراج الزميل فردوس أتاسي.

واستمريت هذا العام بإخراج الدوبلاج لحساب شركة تنوير لصاحبتها الآنسة منى سمعان.

واستضافتني الزميلة المذيعة نهلة السوسو في برنامجها «نهر وروافد» لمدة ساعة من الزمن عبر إذاعة دمشق.

وفي العام ١٩٩٩ كان نشاطي الإذاعي كبيراً حيث كتبت وأخرجت ثلاثة مسلسلات أولها: «وماء البحر نملؤه سفينا» وهو يتحدث عن البحر والعرب ويؤكد أن العرب لم يكونوا رجال صحراء فقط بل كان البحر يشكل صورة واضحة من صور حياتهم التجارية بدءاً من الخليج العربي، والعسكرية بدءاً من البحر الأبيض المتوسط والأسطول العربي الذي بناه الخليفة الأموي معاوية ومن خلفه.

وثاني المسلسلات كان استعراضاً لأعمال الكاتب الراحل سعد الله ونوس بعنوان «كتب سعد الله ونوس» حيث أعددت مسرحياته إعداداً إذاعياً لمدة ساعة لكل منها وهي: ميدوزا تحدق في الحياة، مغامرة رأس المملوك جابر، مأساة بائع الدبس الفقير، الفيل يا ملك الزمان، الملك هو الملك، رحلة حنظلة من الغفلة إلى اليقظة، عندما يلعب الرجال، ملحمة اسراب، سهرة مع أبي خليل القباني، المقهى الزجاجي، جثة على الرصيف، لعبة الدبابيس، وبقيت المسرحيتان الأخيرتان اللتان كتبهما سعد الله ونوس في أيامه الأخيرة وكانتا جريئتين، وعلى الرغم من أنني أعددتهما بشكل يمكن أن يكون مقبولا في الإذاعة بالاستغناء عن الكثير من الأحداث، إلا أن الرقابة لم توافق عليهما. على كل حال كنت سعيداً بأن أضفت لأرشيف إذاعة دمشق أعمال ونوس التي ترجمت إلى عدة لغات. خاصة وأنني كنت ولا أزال أنادي بضرورة أرشفة الأعلام وأعمالهم مع المناسبات المختلفة من وطنية واجتماعية، إذ أن من المؤسف أن لا يكون في أرشيف الإذاعة أو التلفزيون، إلا تمثيلية أو اثنتان عن الشهداء مثلاً تعادان في كل سنة بمناسبة يوم الشهيد، مع أن الانتاج الدرامي مستمر لكن لا يفكر المسؤولون بالمناسبات إلا عندما تفاجئهم فيضطرون لإخراج القديم وبثه، ثم ينسون المناسبة التي مرت ولا يذكرونها في السنة القادمة إلا قبل موعدها بأيام.

أما ثالث أعمالي الدرامية لهذا العام فكان برنامج «مجالس ومواقف» الذي يستعرض في كل حلقة قصة من قصص التراث.

ومن النشاطات الأخرى اشتراكي في ندوة أجرتها الزميلة نهلة السوسو بمشاركة الزميل الأستاذ فايز قنديل وكان الحديث حول الدراما الإذاعية ومدى تقدمها وذلك ضمن النشاطات البرامجية التي أقيمت بمناسبة تجديد البيعة للسيد الرئيس حافظ الأسد.

كذلك اشتركت في ندوة برنامج «كاتب وموقف» الشهير والذي يقدمه الزميل الأستاذ عبد الرحمن الحلبي بنجاح عبر سنوات طويلة حيث يسجل في المركز الثقافي العربي بأبي رمانة ثم يتم مونتاجه وإذاعته عبر أثير إذاعة دمشق. كان الموضوع «الأداء الإذاعي المسموع والمرئي» واشترك في الندوة الأستاذ يحيى الشهابي والأستاذ ياسر المالح: وقد تحدث الأستاذ الشهابي عن النواحي السلبية في عملية الإلقاء الإذاعي كالرقابة، وضعف الأداء، والهرب من الأخطاء النحوية واللغوية عن طريق تسكين أواخر الكلمات، والخطأ في مخارج الحروف عند النطق عندما يقال «سُمِّ» بدل «ثمّ»، ثم سريان العامية بين ضيوف الإذاعة فنجد محامياً أو طبيباً يتحدث بالعامية الثقيلة ويقول مثلاً «شلونك» بدل أن يقول «كيف حالك» أما الأستاذ ياسر المالح فتحدث عن تجربته عندما عمل مذيعاً في الخمسينات حيث كان الأستاذ الشهابي والإذاعي المتمرس الأستاذ عصام حماد، واشترط للأداء: وضوح الصوت وسلامة النبرة، والتلوين والتقطيع، وطالب بلغة مفهومة في الإذاعة هي العربية الميسرة وبخاصة من ضيوف البرامج إذ لا يشترط أن يتحدثوا باللغة الفصحى وإنما لغة عربية ميسرة ساكنة أواخر الكلمات. وتحدثت عن كلمة «كيف» التي هي معيار النجاح في فن الإلقاء الذي هو علم أيضاً، حيث اختيار الكلمة وتحديد الموضوع والصدق في طرحه إلى جانب الموضوعية هي عوامل النجاح، وتطرق المنتدون إلى مدى أهمية ثقافة رجل الإعلام، الإذاعي والتلفزيوني، وانعكاس ذلك على عمله. ولم أنس أن أشير، كما أفعل دوماً، إلى أهمية المتابعة من قبل المسؤولين فالمتابعة إلى جانب اهتمامها بالمتلقي وما يصله تهتم بالمذيع ويمكن أن تصنع منه مذيعاً ناجحاً بالملاحظات البناءة التي توجهها. وانتهت الندوة في الحديث عن أهمية التنسيق في بث البرامج والاختلاف في متطلبات كل فترة من فترات اليوم فما يذاع صباحاً قد لا يصلح للإذاعة ليلاً وهكذا.

ندوة كاتب وموقف

ماذا قالت عن فن الأداء الاذاعي ؟!

المشتركون السادة:

يحيى الشهابي، عبد الرحمن الحلبي، فاروق حيدر، ياسر المالح.

الهيئة العامة السورية للكتاب

يبقى أن أشير إلى التغييرات الإدارية التي حدثت حيث تسلم الأستاذ عادل اليازجي منصب المدير العام للهيئة بدل الأستاذ عبد النبي حجازي، وتسلم الأستاذ أحمد عجاج مديرية الإذاعة بعد ذهاب الأستاذ علي عبد الكريم إلى منصب آخر في وكالة سانا للأنباء خارج الإذاعة والتلفزيون. ومن الطبيعي أن يتبع التغيير الإداري تغيير في كل شيء وأن نبدأ موالاً جديداً لا ندري إلى أين يوصلنا لكنني كنت متفائلاً بتعيين الزميل عادل اليازجي لأنه ابن الهيئة منذ سنوات ومنذ بداية عمله حيث بدأ مساعداً فنياً في استوديوهات الإذاعة ثم حصل على الشهادة الجامعية، وتنقل بين مذيع ورئيس دائرة البرامج الثقافية في التلفزيون حتى وصل منصب المدير العام. وهذا يعني أنه مطلع على كل شيء في الهيئة ويفهم كل مشاكلها وزواريبها، لذا يمكنه ببساطة أن يبدأ العمل مباشرة حاذفاً فترة التعرف على كل شيء وعلى كل الكوادر تلك الفترة التي يحتاجها من يأتي من خارج الهيئة. وأول ما فعله هو تمديده لكل العاملين الذين وصلت سنهم القانونية مرحلة الإحالة إلى المعاش، مدد لهم عاماً اعترافاً منه بمدى أهميتهم وأهمية معرفتهم وتجربتهم وكنت واحداً منهم. كان ذلك بعكس ما جرى ممن خلفه في المنصب، وهو ما سآتي عليه عندما أتحدث عن العام الذي سيلي، لكن وعلى الرغم من ذلك لم ينجز الأستاذ عادل ما كان يتوقع منه أن ينجزه وقد يكون ذلك لسبب من الأسباب، قد يعود ذلك إليه شخصياً وقد يعود إلى من هم أعلى منه عندما يعرقلون خطواته.

أما مدير الإذاعة الأستاذ أحمد عجاج فقد جاء من الصحافة كغالبية المدراء في الهيئة وهذا يؤمن اهتمامه بالأخبار والتعليقات السياسية أولاً. وبعد ذلك يأتي الاهتمام بالبرامج وبالكوادر العاملة التي تنتج البرامج. ومما أذكره عن الأستاذ عجاج رحمه الله أنني دخلت مكتبه يوماً للقائه من أجل أمر يخصّ عملي لا أذكره، فلم ألق منه الاستقبال اللائق لأنه لا يعرف شيئاً عني ولما لمحت له بأن الناس مختلفون بإمكاناتهم وشهاداتهم وخبراتهم، أفهمني بكلمات غير مباشرة أنني مخرج كباقي مخرجي الإذاعة مما أغضبني، لأنني لم أعتد هذا الأسلوب من أي مسؤول، ليس من باب الاعتداد بنفسي لكن من باب

الحقيقة التي تقول إنني المخرج الأكاديمي الوحيد في إذاعة دمشق ومن أقدمهم بحيث أستحق بعض الاحترام، هذا إذا تجاوزنا الثقافة والمعرفة والخبرة وأموراً أخرى. المهم أبديت له وجهة نظري في أنّه من الطبيعي لأي مسؤول غريب يتسلم مسؤولية عمل ما أن يطلب قوائم بأسماء العاملين معه، وربما يطلب أضابيرهم ليطلع على وضع كل منهم لا أن يفتح أذناً واحدة لأولئك الذين يجيدون مخاطبة المسؤولين.

في بداية العام ٢٠٠٠ كلفت بإلقاء محاضرات في دورة تأهيل وإعداد الصحافيين طالبي الانتساب إلى اتحاد الصحافيين، وقد أقام الدورة اتحاد الصحافيين في قاعة المحاضرات بصحيفة الثورة، وكان عدد الحضور سبعة وثمانين منتسباً ومنتسبة وكانت محاضراتي الأربع عن: وسائل الاتصال، الإذاعة كوسيلة اتصال، البرنامج الإذاعي، فن الدراما، واشتركت بإجراء الامتحان ونجح الجميع وقبلوا كمنتسبين لاتحاد الصحافيين.

وضمن إنتاجي الإذاعي كتبت وأخرجت لإذاعة دمشق مسلسل «أعز مكان في الدنى»، وهو يتحدث عن الحصان العربي الذي قال فيه الشاعر «أعز مكان في الدنى سرج سابح». وكذلك مسلسل «هلا سألت الخيل» وهو عن عنترة بن شداد العبسي، حيث أقمت محكمة عصرية حاكمت أباه شداد الذي كان يتردد في الاعتراف بأبوته كي ينقذه من العبودية التي عاشها في قبيلة عبس، وعمه مالك أبا عبلة الذي رفض تزويجه ابنته وكذلك فعل ابناه. والعنوان مأخوذ من بيت الشعر الذي أطلقه عنترة:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالـــك إن كنت جاهلة بما لم تعلمـــي

وكان كل من المسلسلين مؤلفاً من ثلاثين حلقة ومدة الحلقة خمس عشرة دقيقة.

وفي آب/أغسطس من هذا العام ٢٠٠٠ صدر قرار السيد وزير الإعلام عدنان عمران بتعيين المهندس معن حيدر ابن عمي مديراً للتلفزيون وكان يشغل منصب مدير التشغيل الهندسي للتلفزيون. وقد كان وجوده مديراً

للتلفزيون السبب المباشر في تمديد خدمتي للسنة الثانية بعد الستين بعد أن رفض التمديد كل من مدير الإذاعة الأستاذ أحمد عجاج والمدير العام الجديد الدكتور فايز الصايغ في حين وافقا على التمديد لكثيرين. والغريب في موقف السيد مدير الإذاعة أنه بات يعلم ماضي الإذاعي ومدى أهمية وجودي في الإذاعة فكيف يمكن تفسير ذلك؟

وفي هذا العام أيضاً اشتركت في لجنة امتحانات نقابة الفنانين للمتمرنين ولمضيفي صفة فنية. وكذلك واصلت إخراجي برنامج «شخصيات روائية» الذي تكتبه الزميلة نهلة السوسو، وأجريت لقاءً في برنامج «رمضانيات» الذي قدمه الزميل المذيع خالد الطالب.

وفي دراسة موسعة أجراها الزميل الفنان أحمد السيد لمجلة «فنون» بعنوان: الدراما الإذاعية هل تملك إمكانية الاستمرار في عصر الصورة؟» كنت أول من قابله وأجبت على أربعة أسئلة:

١- متى نشأت الدراما الإذاعية في سورية وماذا تحمل ذاكرتك من البدايات؟

٢- هل أنت راض عن واقع الدراما الإذاعية ولماذا؟

٣- ما هي مقترحاتك التي تعتقد بأنها تساعد على تطوير الدراما الإذاعية؟

٤- ما هي المشاكل التي تعترض مسيرة تطور الدراما الإذاعية؟

وقد أجبت على الأسئلة الأربعة باختصار فتحدثت عن تأثير المسرح في نشوء الدراما الإذاعية، حيث ساهم المسرحيون في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات في تقديم الحواريات، ثم التمثيليات على الهواء مباشرة ثم تطورت الدراما الإذاعية التي كان من روادها الأساتذة حكمت محسن وتيسير السعدي وممتاز الركابي ونجاح السمان وعبد الهادي الدركزلي، وأنور البابا وفهد كعيكاتي وعبد السلام أبو الشامات، ثم بدأ التخصص في إذاعة دمشق مع العام ١٩٦٠ حيث أصبح هناك مخرجون وممثلون إذاعيون. وحول الرضى عن

واقع الدراما الإذاعية أعلنت عن عدم رضاي لأن لدي طموحات مشروعة، وعلى المسؤولين أن يقتنعوا بأهمية الدراما الإذاعية ويقدموا لها كل الإمكانيات. وعن مقترحاتي التي تساعد على تطوير الدراما الإذاعية ذكرت ضرورة إجراء عملية توصيف، أي تحديد مهام كل من يعمل في حقل الدراما الإذاعية من قارئ النص إلى المخرج إلى مساعد المخرج إلى المساعد الفني وقسم الهندسة إلى الطباعة إلى المكتبة. وتطرقت إلى مشكلة التعرفة المالية التي لا تجلب الكتاب الكبار بالإضافة إلى أسلوب التعامل معهم. ثم أكدت على أهمية أن يكون المسؤولون عن الدراما الإذاعية من الدراميين وليس من الإداريين الذين لا علاقة لهم بالدراما ولا يعرفون ما هي، وهذه النقطة بالذات تؤرقني دائماً حيث يختارون رئيس دائرة التمثيليات من الأشخاص الذين لا علاقة لهم بالموضوع. وإنما يبحثون عن منصب ما له غرفة خاصة وطاولة وكرسي وأبهة. وأشرت إلى ضرورة خضوع المخرجين لدورات تأهيل وتدريب على أن يكونوا ذا مستوى علمي وثقافي. وعن المشاكل التي تعترض مسيرة تطور الدراما الإذاعية يمكن عدّ كل السلبيات التي أشرت إليها مشاكل، لكن أهم المشاكل هو عدم الاهتمام الكافي بالدراما الإذاعية وعدم تبصر مدى أهميتها والدور الذي يمكن أن تقوم به في دنيا الإعلام بعامة والإذاعة بخاصة.

وقد وجهت الأسئلة نفسها إلى الزميل المخرج مصطفى فهمي البكار والزميلة المخرجة ثراء دبسي والزميل المخرج عدنان دياب والفنان محمود جركس والزميلة المذيعة نهلة السوسو ثم أجاب أخيراً على جميع المشتركين السيد مدير الإذاعة أحمد عجاج فدافع عن الزملاء المساعدين الفنيين الذين جعلتهم الإدارة مخرجين، وهم برأيه، خضعوا لدورات تدريبية محلية. والمشكلة في هذه النقطة بالذات - مع احترامي للزملاء المساعدين الفنيين الذين أصبحوا بجرّة قلم مخرجين - المشكلة أن المسؤولين الذين تحمسوا لهذه الفكرة وطبقوها دون الاهتمام بآراء المختصين، هم إداريون لم يفكروا في الناحية الفنية والمستوى البرامجي بقدر ما فكروا بحل مشكلة ما، وهي الحاجة إلى مخرجين، لأن المخرجين الموجودين أشرفوا على الإحالة إلى المعاش.

المشكلة أن أولئك المسؤولين لا يستطيعون التفريق بين الإخراج الحقيقي العلمي المبني على أسس وقواعد، وبين التنفيذ الذي يعني وضع فواصل موسيقية وترك الممثلين يمثلون على هواهم، ما داموا لا يستطيعون الهيمنة على الوضع وإخضاعهم لأسلوب واحد في التمثيل ضمن العمل الدرامي الواحد، لذا فيمكن أن نصفق للإداري صاحب الفكرة الأولى حول تحويل المساعدين الفنيين إلى مخرجين ويمكن في الوقت نفسه أن نذرف الدموع على تدني مستوى الإخراج. أخيراً وللإنصاف يمكن أن أقول إن بعض أولئك المخرجين الجدد قد اجتهدوا واكتسبوا من القدامى فأفلحوا، لكن الآخرين لم ولن يصلوا إلى مرتبة المخرج.

مع بداية عام ٢٠٠١ عين الزميل الدكتور حيدر اليازجي مدير العلاقات العامة في الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، مديراً للمركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني خلفاً للسيد زهير بريدي. فعدتُ إلى ممارسة دوري في المركز مشرفاً على الدورات الإذاعية ومحاضراً ومدرباً. وقد شاركت في دورتي: «إعداد وكتابة النص الدرامي في الإذاعة» و«فن الإلقاء للمذيعين ومقدمي البرامج في الإذاعة». وسأتحدث بتفصيل أكثر في الجزء الخاص بالمركز والذي سيأتي لاحقاً.

وفي شباط / فبراير من هذا العام صدر قرار تمديد خدمتي للسنة الثالثة بعد الستين.

وقد أعددت وأخرجت جزءاً جديداً من برنامج «مجالس ومواقف» الذي يتحدث عن قصص من التراث وذلك لإذاعته في رمضان، وأخرجت مسلسلاً بعنوان «رسالة الأيام» كتبه الكاتب نادر حكمت عقاد، وموضوعه اجتماعي.

كما اشتركت في مجلة التلفزيون التي يعدها الزميل محمد منصور وذلك في صفحة مساحة حرة وبعنوان: «سلاماً يا إذاعة» حيث تحدثت عن أهمية الإذاعة وضرورة الاهتمام بها ومساواتها بالتلفزيون.

وتابعت اشتراكي في المسلسل السنوي الرمضاني الذي يكتبه الزميل المخرج محمد عنقا وكان هذا العام بعنوان: «ثمرات اليقين»، وفي المسلسل السنوي الرمضاني الذي كتبه الزميل المذيع خالد جيرودية وأخرجه محمد عنقا، اشتركت كذلك في البرامج الدائمة: «شخصيات روائية» للزميلة المذيعة نهلة السوسو إخراجاً وتمثيلاً، و«ظواهر مدهشة» للدكتور الكاتب طالب عمران وإخراج مازن لطفي تمثيلاً، و«حكاية من رواية» للكاتب عبد الإله الرحيل والمخرج مصطفى فهمي البكار، تمثيلاً، و«ليالي وأحداث» للزميل الكاتب حسين راجي والزميل المخرج مصطفى فهمي البكار. كما اشتركت تمثيلاً في برنامج «أصداء قلب» من كتابة عبد الغني حمزة وإخراج مازن لطفي لحساب إذاعة النور اللبنانية، واشتركت تمثيلاً أيضاً في مسلسل «حكايات العشاق» كتبه وأخرجه الزميل خالد شعبو لحساب إذاعة قطر.

وفي عام ٢٠٠٢ انطلقت إذاعة صوت الشباب وانضمّت إلى أختيها: البرنامج العام وصوت الشعب لتصبح إذاعة دمشق ثلاث إذاعات منفصلة، إلى جانب الإذاعات الأجنبية". والسؤال: هل تؤدي كل إذاعة من الإذاعات الثلاث الدور المرسوم لها؟ وجوابي: تفتقد الإذاعات الثلاث التنسيق بينها والتركيز على نوعية مستمعي كل منها، فلا يجوز أن يذيع البرنامج العام مسلسلاً تمثيلياً، وأحياناً مسلسلين، باللغة العامية بينما يذيع صوت الشعب مسلسله باللغة الفصحى والمفروض أن يكون العكس. كذلك لا يجوز أن تعتمد إذاعة صوت الشباب اللغة العامية بدل الفصحى، فما الغاية من مخاطبة الشباب بالعامية إلا أن يكون السبب ضعف المذيعين والمقدمين في استخدام اللغة العربية الفصحى؟ وهل يجوز لإذاعة عريقة اشتهرت منذ تأسيسها وطوال سنوات بعنايتها باللغة العربية وبفصاحة مذيعيها ومقدمي برامجها، هل يجوز لإذاعة عريقة كإذاعة دمشق أن تتراجع وتتخلى عن أهم صفاتها التي تفوقت فيها على كل إذاعات الوطن العربي؟

أنشئت إذاعة صوت الشباب في عهد الدكتور فايز الصايغ المدير العام والأستاذ أحمد عجاج مدير الإذاعة وعينت المذيعة فيوليت بشور مديرة لها.

اشتركت في هذا العام بدورتين في المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني: «دورة إخراج الدراما الإذاعية»، ودورة «إعداد وإخراج برامج المنوعات الإذاعية».

كتبت وأخرجت مسلسلاً اجتماعياً بعنوان «خلف الغيوم» من ثلاثين حلقة مدة الحلقة خمس عشرة دقيقة.

وأخرجت مسلسل «عباد الرحمن» كتبه الزميل الأستاذ عبد الرحمن الحلبي، كما أخرجت مسلسل «أبو تمام» كتبه الكاتب محمد جمعة أبو النجوم. وقد امتاز مسلسل «عباد الرحمن» بالحديث عن المستشرقين ودورهم في تشويه التاريخ العربي والتراث عن طريق مناقشة كتاب الفتوحات الإسلامية الكبرى للجنرال البريطاني غلوب الذي عاش ردحاً من الزمن في الأردن إلى جانب حوار مع المستشرق وكشف قراءته المغرضة للأحداث قالباً حقيقتها لتتفق مع الهدف الذي أراده، ثم تصحيح المغالطات عن طريق تفسير الأحداث التي تناولها المسلسل.

ولابد من ذكر حدث هام وهو الدور الكبير الذي كان للإذاعة والتلفزيون في تغطية زيارة البابا إلى سورية. وقد تمت التغطية بإشراف السيد وزير الإعلام الأستاذ عدنان عمران والسيد المدير العام لهيئة الإذاعة والتلفزيون الدكتور رياض عصمت والسيد مدير التلفزيون المهندس معن حيدر والسيد مدير الإذاعة الأستاذ نايف حمود.

وأذكر أن قراراً بتمديد خدمتي للسنة الرابعة والأخيرة بعد الستين قد صدر، ومعنى هذا أنني سأحال إلى التقاعد في العام القادم لكن ذلك لن يؤثر على مسيرتي الإذاعية لأن عطاء الإنسان لا ينضب ولن يتوقف عند وصوله إلى سن التقاعد، ما دام عطائي إبداعياً فسيدوم بإذن الله حتى يحين الأجل المحتوم.

على الرغم من أن كل سنوات مسيرتي مع المايكروفون اتسمت بالعطاء فإن نسبة ذلك العطاء تراوحت بين العادي والحسن والجيد، ويمكن القول إن عام ٢٠٠٣ يمكن عدّه من سنوات العطاء الجيد والحمد لله، فقد حدثت فيه أحداث إيجابية كثيرة سوف أستعرضها للذكرى محاولاً عرضها بحسب تاريخ وقوعها بداية من أول هذا العام.

أقيم في بداية العام حفل تكريمي للمهندس معن حيدر مدير التلفزيون، وهو ابن عمي، وذلك بمناسبة تقليده الوسام الذي قدمته دولة الفاتيكان عربون شكر للجهود التي بذلها أثناء زيارة نيافة البابا لسورية، وقد أقيم حفل التكريم في كنيسة يبرود ثم اتبع الحفل بغداء في فندق السفير بمعلولا وحضره لفيف كبير من رجال الإعلام والفن.

تم لقائي على الهواء في برنامج «صباح الخير يا وطني» في التلفزيون السوري وهو من إعداد الأستاذ خليل العبد الله وإخراج الزميل المخرج فواز كيلارجي وأجرت اللقاء الزميلة المذيعة دعد ديوب، وكان اللقاء عن «الإخراج الإذاعي» لكنه كان لقاء مبتوراً قصيراً لو علمت أنه سيكون على ذاك الشكل لاعتذرت ورفضته لكنني فوجئت ووضعت تحت الأمر الواقع، والاعتذار كان لأن المواد كثيرة ولم يستطيعوا ضبطها.

الهيئة العامة السورية للكتاب

دورة المذيعين والمذيعات الثانية

كان السيد وزير الإعلام الاستاذ عدنان عمران في عام ٢٠٠٣ متحمساً لتدريب مذيعين جدد، وقد شاركه حماسه المدير العام الزميل الدكتور رياض عصمت، فشكلت لجنة لقبول مذيعين جدد تألفت من: المدير العام الدكتور رياض عصمت رئيساً، الأستاذ فؤاد بلاط، مديرالإذاعة الأستاذ نايف حمود، السادة: وجيه السراج، مهران يوسف، فاروق حيدر، محمود الجمعات، فريال أحمد، ومدير برامج الإذاعة الأستاذ مخلص الورار: أعضاء، وقد اجتمعت اللجنة واختبرت متقدمين ومتقدمات واختارت عدداً منهم ومنهن، وأسند إلي المدير العام مديرية الدورة والاشراف عليها حيث وضعت برنامجاً يدوم شهراً من الزمن وتم الاتفاق مع المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني لإجراء الدورة في بنائه مع تقديمه الخدمات اللازمة وقد أجريت الدورة بنجاح وعند انتهاء الشهر الأول ارتأيت تمديدها شهراً ثانياً، ووافق المدير العام فاستمرينا بالتدريب في المركز شهراً آخر، ثم وبعد شهرين انتقل التدريب إلى استديوهات الإذاعة، كان عدد المشتركين في الدورة اثنين وثلاثين متدرباً ومتدربة أربعة عشر منهم كانوا يعملون في الهيئة سابقاً أعمالاً مختلفة وثمانية عشر من خارج الهيئة سمعوا أو قيل لهم أو هم أقرباء لعاملين في الهيئة وذلك لعدم الاعلان عن مسابقة رسمية. وكان عدد المتدربين ثلاثة عشر متدرباً والباقي متدربات. اشتمل الشهر الأول من الدورة على العناوين التالية:

الإذاعة كوسيلة اتصال: مدير الإذاعة الزميل الأستاذ نايف حمود.

المذيع في بنيان الإذاعة: مدير الدورة فاروق حيدر.

الإعلام نظريات وتطبيق: الأستاذ حسين العودات.

التواصل الإعلامي مع الجمهور: الدكتور صفوح الأخرس.

مبادئ في الموسيقى: الأستاذ صميم الشريف.

وكالات الأنباء: الأستاذ غازي الديب.

مبادئ في اللغة العربية: الأستاذ عبد العظيم جمعة.

تاريخ الفنون التشكيلية: الدكتور حيدر اليازجي.

أسس الدراما: الدكتور رياض عصمت (المدير العام).

المنظمات الدولية: الدكتور جورج جبور.

علم اللسانيات وفن الإلقاء: الدكتور رضوان قضماني.

الصوت وعملية التنفس: الأستاذ الروسي فيودور.

فن التجويد: الأستاذ عدنان شيخو.

الملكية الأدبية وحقوق المؤلف: الأستاذ ربيع خشانة.

خصائص الصوت والإحساس السمعي: المهندس أسامة الشيخ.

وذلك إلى جانب المحاضرات الخاصة بالإذاعة: تطوير البرنامج الإذاعي، التنسيق الإذاعي، الدراما الإذاعية، برنامج المنوعات، برنامج المسابقات، برنامج الأطفال، المقابلة، الندوة، المناقشة، الريبورتاج، البرنامج الخاص، وتضمن البرنامج قراءة حرة يومية للتدريب العملي على الإلقاء واشترك في تغطية هذه المواد الزملاء: فريال أحمد، محمود الجمعات، مخلص الورار، طالب يعقوب، وفاروق حيدر (مدير الدورة). وقد استضافت الدورة أسماء مشهورة كالفنانة السيدة منى واصف والفنانة السيدة جيانا عيد والمذيع الأستاذ توفيق الحلاق. وبعد انتهاء الشهر الأول طلب من المتدربين والمتدربات ملء استبيان فيه أسئلة خاصة بالدورة دون ذكر الاسم وكان هناك إجماع على أهمية الدورة واستفادتهم منها، ثم وفي الشهر الثاني كان الجانب العملي هو الأساس، وبعد ذلك في الشهر الثالث، وزع المتدربون والمتدربات

على دوائر الإذاعة كلها وتنقلوا بينها حسب جدول خاصّ، وبعد ذلك بدؤوا أعمالهم مذيعين محررين.

سلمناهم بداية الطريق وكان عليهم الولوج فيه، سيكون مدى تقدمهم بحسب اجتهادهم وطموحهم. وقد برزت من المجموعة أسماء أفخر بها فأصبحوا وأصبحن مذيعين ومذيعات ناجحين وناجحات ولإعطاء الجميع حقهم أورد فيما يلي أسماءهم:

سامر رضوان، علا عباس، قصي حمود، مادلين زين، رفاه الخطيب، هدى وانلي، رهام الزين، أحمد عاكف، عبد المؤمن حسن، رولا ابراهيم، عمار نجيب، ايمان تحقاخة، سلام اسحق، أنس شويكي، ليندا الوكاع، منى درياباتي، محمد السعيد، رزان تقي الدين، محمد ذو الغنى، كمال خلف، داليا محمد، زويا بوستان، سوسن رجب، أمجد طعمة، الكميت ابراهيم، عبير زيتون، دينا وقاف، ختام سليم، وفاء قسوم، هاني الملاذي، مجد حيدر، مي الحلوة.

ومما يجدر ذكره أن أغلبهم يحملون الشهادة الثانوية فقط وبعضهم يتابع دراسته الجامعية. وقد تمت التصفية ونجاح من ذكرت أعلاه حسب ترتيب درجة النجاح باشتراك كل أعضاء اللجنة، ولجنة الاختبار، وذلك بأن يضع كل عضو من اللجنة الدرجة التي يجد أن المختبر يستحقها، ثم تجمع درجات الأعضاء التسعة وتقسم على تسعة فيكون الرقم الحاصل هو الدرجة التي استحقها المختبر. الفكرة ذكية ومعقولة وقد وضعها السيد المدير العام الدكتور رياض عصمت، لكن غير المعقول عندما يجد أحد الأعضاء أن مختبراً لا يستحق النجاح يمتنع عن وضع درجة له بدل أن يضع درجة الصفر، أو درجة متدنية، وتكون النتيجة أن تقسيم مجموع العلامات يتم على ثمانية لا على تسعة، فيكون تقدير العضو للمختبر وعدم اقتناعه به كمذيع وكأنه لم يكن. مع ذلك فإن العملية كانت ناجحة بحيث برز كثيرون وكثيرات من الناجحين والناجحات كما سبق وذكرت.

حفل توزيع شهادات المذيعين والمذيعات في إذاعة دمشق بحضور الدكتور رياض عصمت المدير العام للهيئة والأستاذ نايف حمود مدير الإذاعة. ويبدو في الصورة الزميلة فريال أحمد والزميل مروان قنوع.

من ناحية أخرى شكل السيد وزير الإعلام الأستاذ عدنان عمران لجنة لفرز مذيعين ومذيعات من الإذاعة إلى التلفزيون ولتحديد مستويات الأداء لدى مذيعي ومذيعات التلفزيون وكانت هذه اللجنة برئاسته وعضوية السيد مدير التلفزيون المهندس معن حيدر والسيد مدير الإذاعة الأستاذ نايف حمود والسيد معاون وزير الإعلام الأستاذ طالب قاضي أمين، والفنان الأستاذ علاء الدين كوكش وفاروق حيدر. وكأغلب أعمال اللجان لم نواصل العمل الموكل إلينا ولم نصل إلى حل، وبشكل عام فإن موضوع مذيعي ومذيعات التلفزيون يخضع لعوامل عديدة ومعقدة أهمها تدخل المسؤولين ومساندتهم لمن لا يستحقون المساندة فتكون النتيجة تلك التي نحن فيها: مذيعون فاشلون يفرضون أنفسهم على المتلقي المسكين، لكن المتلقي بعد ذاك الانفتاح الذي حدث والغزو الفضائي الذي لا حدود له، لم يعد مسكيناً يفرض عليه ما يريده الآخرون لأن خياراته باتت كثيرة، وهكذا تدور الدوائر وتقع المصيبة على رؤوس صانعيها، المذيع الفاشل يسبب فشلاً مباشراً للشاشة التي يظهر عليها، وفشل الشاشة يصرف المتلقين عنها، فمن الخاسر؟

الهيئة العامة السورية للكتاب

برامج المنوعات في الإذاعة والتلفزيون

في هذا العام ٢٠٠٣ صدر كتابي الثاني «برامج المنوعات في الإذاعة والتلفزيون» عن المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني التابع لجامعة الدول العربية، وهو يتحدث عن برامج المنوعات وأهميتها في الإذاعة والتلفزيون ويعالج تفصيلاً أنواعها وكيفية إعدادها وتقديمها وإخراجها. وكما كان الحال عند صدور كتابي الأول الخاص بالدراما المسموعة، أجدني هنا في غاية السعادة مع الفخر والاعتزاز لأن كتابيّ هذين يدعمان الدور البناء الذي أقوم به عبر المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني والذي سيأتي الحديث عنه مفصلاً تحت عنوان خاص به.

وأشير هنا باختصار إلى دورة «إعداد وكتابة النص الدرامي في الإذاعة» التي أقيمت في شهر نيسان / ابريل من هذا العام، وإلى دورة «إعداد وإخراج برامج الأطفال» التي أقيمت في شهر كانون الأول / ديسمبر من نفس العام.

وأذكر الحفل الذي أقيم في ذكرى إنشاء التلفزيون العربي السوري في ٢٦ تموز/يوليو ١٩٦٠ حيث كرم بعض العاملين في الهيئة وكنت بينهم.

ويبقى من أحداث هذا العام الزاخر الحدث الذي أسفت له حيث انتهى تكليف الزميل الدكتور رياض عصمت بالمديرية العامة لهيئة الإذاعة والتلفزيون وأعيد إلى عمله الأساسي معاوناً لوزير الثقافة، ويمكنني القول بتجرد إنه كان من المدراء العاملين الذين تركوا بصمة على الرغم من أن مدة عملهم لم تزد عن عام واحد.

ونتيجة للحدث الذي أسفت له أتى الحدث الذي أسعدني وهو تكليف ابن عمي وأخي الأصغر المهندس معن حيدر بالمديرية العامة للهيئة العامة للإذاعة

والتلفزيون، ولا أخفي هنا أن مشاعري توزعت بين حبي لمعن وبين خوفي عليه فأنا من الذين لا يؤمنون بالارتفاع السريع في السلم الوظيفي، ربما لأنني من جيل القدماء الأصلاء الذين يؤمنون أن للعمل قوانينه وللوظيفة شروطها، ودعوت الله جلت قدرته أن يوفق معن، ابن عمي وأخي، وأن يسدد خطاه.

وفي تحقيق أجرته صحيفة البعث بعنوان: «هل انتهى عصر الإذاعة» أجرت الصحافية أمينة عباس حديثاً بعنوان: «عصر الإذاعة مستمر» وسألتني عن إمكانية انتهاء عصر الإذاعة، فأجبت إن ذلك مستحيل. وتحدثت عن علاقة الإذاعة بالتلفزيون وكيف أن ظهور التلفزيون عامل إيجابي أوجد تنافساً مع الإذاعة وساعد في تطويرها، وأكدت أن الإذاعة هي أم التلفزيون. وكمثال على أهمية الإذاعة أشرت إلى انتشار الإذاعات الخاصة إذ أن أصحابها يعدونها مشاريع تجارية غايتها الربح، ولولا أهمية الإذاعة لما دخلوا ذاك الميدان. وذكرت شيئاً عن ضرورة إجراء مسابقات لانتقاء كوادر قادرة وتدريبها، وعن ضرورة الاحتكاك والتعاون مع الإذاعات الأخرى من عربية وأجنبية، وختمت حديثي بلفت النظر إلى ضرورة اهتمام المسؤولين بالإذاعة كاهتمامهم بالتلفزيون وليس أقل، فالصورة مهمة لكن الكلمة تبقى أس الإعلام وعنوانه. وكان الحديث الثاني في التحقيق للزميل نذير عقيل وعنوانه: «نسف الأسلوب الممل» تحدث فيه عن أهمية الإذاعة، وعن ضرورة تطوير برامجها، وعدم نسيان النجوم الذين أفرزتهم الإذاعة منذ تأسيسها، وأشار إلى ضرورة التنسيق في البرامج. ثم كان الحديث الثالث للزميل المذيع محمود الجمعات وكان آنئذ يشغل منصب مدير الإذاعة وكان عنوانه: «إذاعتنا تحاول التخلص من جلبابها القديم» وأنا لم أوافق على هذا العنوان فالتخلص من الجلباب القديم هو تخلص من كل نجاحات وامتيازات الإذاعة السورية خلال مشوارها. لا بأس من إلباسها جلباباً جديداً دون التخلص من جلبابها القديم. وربما هذا ما كان يقصده الزميل محمود. ثم كان الحديث الرابع مع الزميل المذيع توفيق أحمد معاون السيد المدير العام بعنوان: «مطلوب منها أن تعي متطلبات المتلقي» مؤكداً على ضرورة تطورها وملاءمتها لإيقاع هذا الزمان. ثم كان الحديث الخامس مع الزميلة المذيعة «فيوليت بشور» مديرة إذاعة صوت الشعب بعنوان: «ما زالت تلعب دورها»

مؤكدة أن هذا العصر هو عصر الجمال والسرعة معاً لذا على البرامج أن تقدم بطريقة معقولة وسريعة. وكان الحديث السادس والأخير للفنان توفيق العشا بعنوان: «هي المدرسة الأولى للفنان» تحدث عن أهمية الإذاعة بالنسبة للفنان لأنها مدرسته الأولى وأكد أن الإذاعة لا يمكن أن تموت.

وبمناسبة وفاة الأستاذ يحيى الشهابي نشرت صحيفة تشرين في ٢٠٠٣/٨/١١ شهادات في الأمير الراحل بدأتها بشهادتي التي قلت فيها: «رحم الله أستاذنا الأمير يحيى الشهابي، فهو لم يكن أميراً بالنسب فحسب، بل كان أمير المايكروفون بلا منازع» وذكرت كيف أن صوته هو الذي جعلني أعشق الإذاعة وأنضم إليها في وقت كان هو مديرها فعرفته إنساناً طيباً وإعلامياً أستاذاً. ثم جاءت شهادة الدكتور صباح قباني الذي قال: «كان أميراً في مناقبه وفي تعامله مع الآخرين»، وذكر أنه كان الصوت الأول الذي انطلق عام ١٩٤١ بعبارة «هنا دمشق»، ثم جاءت شهادة الأستاذ عبد الرحمن الحلبي حيث تحدث عن قراءته الشعر. وعشقنا لسماعه صغاراً وكباراً، ثم جاءت شهادة الفنان رفيق سبيعي فذكر أن المرحوم كان من مؤسسي الإذاعة السورية وكان إدارياً ناجحاً. ثم جاءت شهادة الفنانة ثراء دبسي فقالت انه كان أميراً في إنسانيته وكان كبيراً في كل شيء.

في العام ٢٠٠٤ أشرفت وحاضرت ودربت الزملاء العرب والسوريين في دورة «كتابة الدراما الإذاعية» ضمن دورات المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني وسأتحدث تفصيلاً عن هذه الدورة في الجزء المخصص للتدريب من هذه المذكرات والتي تأتي لاحقاً.

أما المذيعون الجدد فقد فرزوا إلى الدوائر المختلفة وبدؤوا العمل فعلياً، وكنت اشترطت أن تجري متابعتهم في بداياتهم وأسندت إلي هذه المهمة على الرغم من أن المفروض أن يكون مدير البرامج هو المسؤول عن ذلك أولاً وأخيراً، لكن للأسف كان بعيداً عن كل العملية منذ بدايتها. وأعتقد أن السبب يعود لأمرين أولهما أنه غير مهيأ لأن يكون مذيعاً لذا فمن الصعب أن ينخرط في مهمة مثل هذه المهمة وثانيهما أن علاقته لم تكن جيدة مع السيد مدير الإذاعة أو السيد المدير العام لا أدري بالضبط، المهم أن هذه الثغرات في العمل الإداري تؤدي إلى فشل يصيب كل المناحي ويصب في النهاية على

رأس المتلقي المسكين. أذكر أنني نفيت تلك الصفة عن المتلقي وقلت السبب، إذن فالفشل يقع على رأس أصحابه الفاشلين.

قمت بإخراج مسلسل درامي بعنوان "أمير من الأندلس" كتبه الأستاذان منيف حسون وعبد القادر الحصني وقد نال العمل الجائزة الفضية في مهرجان القاهرة للإذاعة والتلفزيون، وما يلفت النظر أن مؤلفي العمل ومخرجه لم يعلما بالجائزة التي نالها العمل بشكل رسمي ولم توجه لهم أي كلمة شكر من الادارة، ولولا أنني علمت بطريق المصادفة لكان الموضوع ضمن السرية التامة، لماذا؟ «مهرجان القاهرة للإذاعة والتلفزيون"» عنوان كبير لقضية خاسرة اكتشفتها عندما اختارتني الإذاعة مشكورة بعد سنوات من التجاهل، ليس بطلب من ابن عمي السيد المدير العام، بل تزلفاً له، وسأتحدث تفصيلاً عن هذا الموضوع عندما أصل إليه ويأتي دوره في الحديث.

ألفت وأخرجت مسلسلاً درامياً بعنوان «الوردة الجورية» من ثلاثين حلقة مدة الحلقة خمس عشرة دقيقة، وهو موضوع اجتماعي يتحدث عن زميلتين في المدرسة الإعدادية والثانوية. تفتقد أولاهما أباها الذي مات وتفتقد ثانيتهما أمها التي ماتت، وتتفقان على سبك خطة توقعان فيها بالأم والأب فيتحابان ويتزوجان وتعيش الفتاتان في بيت واحد في كنف أب وأم وعندما تكبران تبدأ مشاكل الغيرة بين من يأتيها عريس قبل الأخرى ومن يفضل الأب ومن تفضل الأم، ثم تستعيدان صداقتهما القديمة وتعودان أختين محبتين.

واستضافني الزميل المخرج نذير عقيل في برنامجه الإذاعي "سهرة الأحد" لمدة ستين دقيقة تحدثنا عن مسيرتي الحياتية والإذاعية.

ثم قمت بالتعليق على فيلمين سينمائيين بناء على طلب الزميل المخرج السينمائي وديع يوسف أحدهما عن «إيبلا» كتبه الأستاذ علي القيم، وثانيهما عن «مهرجان المحبة» وهما من إنتاج المؤسسة العامة للسينما.

كما قمت بإلقاء محاضرتين في دورة تأهيل وتدريب الشبيبة للعمل الإعلامي المرئي والمسموع، فتحدثت عن الإذاعة والتلفزيون، وأجريت تدريبات مع الشبيبيين على التقديم والإعداد والمقابلة والندوة والمناقشة. وهذه الدورة أقامها «اتحاد شبيبة الثورة».

ومما يجدر ذكره أنني عدت لتقديم برنامج «تمثيلية لم تتم» تأليفاً وإخراجاً وتقديماً، بعد انقطاع طويل توقف البرنامج خلاله ثم أعيد، بإعداد الزميل سعيد العبد الله وإخراج الزميلة نسيمة الضاهر، ثم توقف إلى أن استعدته، وهو أسبوعي بمدة ثلاثين دقيقة للحلقة الواحدة، ويعتمد على طرح تمثيلية نتوقف فيها في مكان معين يكون غالباً في ذروة الحبكة الدرامية ونطلب من المستمعين أن يرسلوا لنا النهاية التي يتوقعونها مكتوبة بأسلوب حواري، وفي الأسبوع التالي أستعرض ما وردني من مساهمات المستمعين، وأذيع النهاية التي كنت وضعتها متمماً التمثيلية. والغاية من هذا البرنامج تشجيع وتدريب مستمعي الدراما الإذاعية على محاولة الكتابة في هذا الميدان.

وأجرى برنامج «صباح الخير» التلفزيوني لقاءً معي حول القصاص الشعبي حكمت محسن.

كذلك تسلمت إخراج برنامج «آفاق مسرحية» الأسبوعي، الذي يكتبه الصحافي الفنان لؤي عيادة، وبتحدث في كل حلقة مدتها ثلاثون دقيقة عن مسرحية من المسرحيات العربية والعالمية.

في مقابلة أجراها التلفزيون السوري معي بمناسبة العيد الثامن والخمسين للإذاعة في شباط / فبراير ٢٠٠٥ أبديت أسفي لأن الإذاعة تأتي بالنسبة لكل المسؤولين في الدرجة الثانية بعد التلفزيون، على الرغم من أن أهميتها ونجاحها يؤثر إيجاباً وبشكل مباشر على التلفزيون. فميزانية الإذاعة دائماً أقل مما يجب، وتذهب غالبية الميزانية للتلفزيون وهذا يؤدي إلى تراجع الإذاعة وانكماش المهتمين عنها مجذوبين بميزانية التلفزيون وباهتمام المسؤولين بالتلفزيون. وقد يكون هذا السبب المادي العامل الأساسي في تراجع الإذاعة حتى في ميدان اللغة العربية محط شهرتها منذ تأسيسها. على الرغم من معرفتنا بأهمية الصورة في زماننا هذا وبدورها الإعلامي الكبير إلا أن ذلك لا يبرر إهمال الإذاعة، ومع الأسف انتقلت العدوى من المسؤولين إلى المشهورين من كتاب وفنانين وصحافيين حيث باتوا عندما يتحدثون عن الفن والإعلام عامة يتناسون الدور الذي يمكن للإذاعة أن تقوم به ويقصرون حديثهم على التلفزيون، وربما توسعوا في الحديث فوصلوا إلى المسرح وإلى السينما، لكنهم أبداً لا يصلون إلى الإذاعة، الإذاعة مظلومة والإذاعيون مظلومون فهل من منقذ؟

وزارة الإعلام

الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون

في الجمهورية العربية السورية

العيد الثامن والخمسون

لتأسيس إذاعة دمشق

١٩٤٧ - ٢٠٠٥

في نشاطي الخاص بالمركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني أنجزت دورة «فن الإخراج الإذاعي» التي استمرت عشرة أيام وحضرها زملاء عرب وسوريون.

سجلت للتلفزيون السوري تعليقاً على برنامج سياحي عن «إيبلا» كتبه الزميل الأستاذ عماد نداف وأخرجه الزميل عبد القادر قطيط.

وأشرفت على دورة تدريب مذيعين ومذيعات أقامتها مؤسسة "هناء العافية" التي يديرها الفنان فراس فائق مغيزيل ودامت عشرة أيام تناولت فيها الشروط البدنية والنفسية للمذيع، الاستيعاب وفهم الكلمة، اللغة العربية وأهميتها، السلوك والأخلاق، التقطيع وقراءات حرة للتدريب.

الهيئة العامة السورية للكتاب

إذاعتا مسقط وصلالة

أشرفت في شهري نيسان وأيار٢٠٠٥ على دورة تدريبية لمخرجي الإذاعة بسلطنة عمان، حيث استضافتني إذاعة عمان بفرعيها: إذاعة مسقط وإذاعة صلالة. وبعد دورة إذاعة مسقط التي دامت أسبوعاً توجهت إلى محافظة ظفار في أقصى الجنوب الغربي لسلطنة عمان المحاذية لجمهورية اليمن، حيث مدينة صلالة، وأشرفت على دورة تدريبية لمخرجي إذاعة صلالة مشابهة لدورة إذاعة مسقط، وتعد «صلالة» العاصمة الثانية لسلطنة عمان.

وأحمل عن إقامتي في سلطنة عمان ذكريات طيبة حيث وجدت الشعب العماني شعباً طيباً مضيافاً، وكان الزملاء في إذاعتي عمان سعداء بوجودي بينهم، وآمل أنهم استفادوا. وما لفت انتباهي استغناء الإذاعة والتلفزيون العماني عن العمالة العربية والأجنبية والاكتفاء بالمواطنين العمانيين، وذلك بعكس بقية دول الخليج العربي، وما كانت استضافتي لإقامة تلك الدورة إلا الدليل على أنهم لا يريدون عمالة وافدة ويكتفون باستضافة خبير لإقامة دورة تدريبية، إلى جانب أولئك العمانيين الذين يفدون لحضور دورات المركز العربي للتدريب في دمشق.

وقد ودعت بمثل ما استقبلت به من حفاوة وتكريم، ووجه إلي السيد نائب رئيس مكتب الإعلام علي بن سعيد اليافعي كتاب شكر «على الجهود التي بذلتها خلال فترة التدريب» مع إهدائي قرصاً مدمجاً عن آلات الموسيقى التقليدية العمانية وعن أنماط من الموسيقى التقليدية العمانية.

وكنت قد كتبت تقريراً قبل مغادرتي ذكرت فيه بعض الملاحظات وضمنته بعض المقترحات.

بسم الله الرحمن الرحيم

سلطنة عمان
وزارة الإعلام

مذكرة
MEMORANDUM
مكتب الرئيس

الرقم : .....

التاريخ : ٥ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ الموافق : ١١/٠٥/٢٠٠٥م

إلى : الأستاذ الدكتور / محمد فاروق حيدر المحترم

نشكركم على الجهود التي بذلتموها خلال فترة التدريب بيننا في صلاله على امل اللقاء .

ويسرني أن أهدى إليك بالطي كُتَيب + C . D عن آلات الموسيقى التقليدية العمانية ونسخة من شريط كاسيت يحوى أنماط من الموسيقى التقليدية العمانية للذكرى .

مع تحيـات ،،

علي بن سعيد اليافعي
نائب رئيس مكتب الإعلام
بمحافظة ظفار

مهرجان الإذاعة والتلفزيون في القاهرة

في حزيران / يونيو من هذا العام ٢٠٠٥ رشحتني الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون السوري لحضور مهرجان الإذاعة والتلفزيون الحادي عشر بالقاهرة، وحدد اشتراكي في لجنة تحكيم المسلسل التاريخي الإذاعي. ولأن سورية تشترك سنوياً في ذاك المهرجان فهذا يعني أن عشرة مهرجانات أرسل إليها ممثلون للهيئة سوريون ولم يحسب حسابي وكذلك لم يرسل أي عمل من أعمالي للاشتراك في المسابقة، ولما جاء ترشيحي هذا العام لم أفاجأ لأنه كان نوعاً من أنواع التزلف للسيد المدير العام المهندس معن حيدر الذي هو ابن عمي.

وصلت القاهرة في الحادي والعشرين من شهر حزيران / يونيو ٢٠٠٥ ووجدت من يستقبلني في المطار ويصطحبني إلى «فندق ماريوت» في المعادي الذي يطلّ على النيل وكان العمل في مدينة الانتاج قرب الأهرامات البعيدة نصف ساعة بالسيارة من الفندق الموجود في وسط القاهرة تقريباً. وكان بقية المشتركين أو أغلبهم قد نزلوا في فندق قريب من مدينة الإنتاج لكنني كنت راضياً بأن يكون فندقي في المدينة كي لا أضطر كلما أردت النزول إلى القاهرة أن أستأجر سيارة ذهاباً وإياباً. في الثاني والعشرين من حزيران بدأت عملية الاستماع والتحكيم في مدينة الإنتاج الضخمة وكنت قد عينت في لجنة تحكيم المسلسل التاريخي الإذاعي مع الزملاء المصريين الأستاذ المخرج الإذاعي عادل جلال رئيس اللجنة والأستاذ الممثل والمخرج المسرحي أحمد عبد الحليم والأستاذ المخرج الإذاعي إسلام فارس والأستاذ الإعلامي شريف خاطر والأستاذ الإعلامي إبراهيم مصباح والأستاذ الإعلامي عدلي نور والسيدة الدكتورة زبيدة عطا الأستاذة في الجامعة والأستاذ الدكتور حسن عماد المدرس

في الجامعة، والزميل التونسي الصحافي الأستاذ عبد الرزاق حمامي . أول ما استرعى انتباهي قائمة أسماء أعضاء اللجنة الموجودة على باب القاعة الخاصة بنا: ٩ أعضاء من مصر وبعدها عضو تونسي وبعدها عضو سوري، فكرت مباشرة: لو كان المهرجان في دمشق لوضعنا أسماء الضيوف قبل أسماء أهل الدار، ثم فكرت: تسعة مصريين مقابل اثنين غير مصريين، كيف سيكون التحكيم؟ وهل سيترك المصريون إنتاجهم ليثنوا على إنتاج غير مصري؟ ويقدمون له الجوائز؟، في أول لقاء لنا وبعد ترحيبهم بي وبالأخ التونسي حدثتهم عن شكوكي وأبديت ارتيابي، ومع دهشتهم لصراحتي أكدوا لي أن شكوكي في غير محلها وسأرى ذلك بنفسي. وكنت سعيداً بداخلي أن حذرتهم قبل أن نبدأ. كانوا طيبين وهم من الطاقم القديم في الإذاعة وأغلبهم جاؤوا دمشق وإذاعة دمشق أيام الوحدة بين سورية ومصر. وقد مرت أيام الاستماع والتحكيم بالكثير من الألفة والمحبة. لكن المفاجأة لم تكن من الأخوة المصريين زملائي في التحكيم، المفاجأة كانت من زملائي السوريين في إذاعة دمشق الذين أرسلوا مسلسلاً المفروض أن يكون حديثاً وأنتج في نفس السنة، كما تقول شروط المهرجان وإذ به قد أنتج منذ سنوات طوال اشترك فيه زملاء غادرونا منذ سنوات طوال. إن زملائي في دمشق أرسلوه على أنه جديد الإنتاج وفيه صوتا المرحومين نزار شرابي ويوسف حنا اللذين ماتا منذ سنوات. وقد علق أحد الزملاء المصريين وأعتقد أنه الأستاذ إسلام فارس فقال: هذا الصوت أعرفه إنه للفنان الذي جاء مصر أيام الانفصال هارباً من دمشق وسألني عن اسمه فقلت له: نزار شرابي لكنني لم أجرؤ على القول إنه مات منذ سنوات. وضعت في موقف لن أنساه طوال حياتي: إما أن أنفجر من الغيظ وأعلن أمام اللجنة أن إذاعة دمشق قد غشت المهرجان وأرسلت مسلسلاً قديماً اعتقد المخبولون الذين اختاروه أنه عمل ضخم وسيحصل على الجائزة، وإما أن أسكت إنقاذاً لماء وجهي كمندوب عن إذاعة دمشق وإنقاذاً لماء وجه إذاعة دمشق وبالتالي سورية، وسكت.. سكت وأنا لا أطيق نفسي.. وسكت أيضاً عندما اختاروه ليأخذ الجائزة البرونزية.. سامحهم الله أولئك الذين يغشون حتى أنفسهم، سامحهم الله، بل، لا سامحهم الله

على كل لحظة من لحظات غيظي وانزعاجي، على كل لحظة من اللحظات التي اضطررت فيها لأن أسكت على الخطأ ولأن أخرس عن قول الحقيقة، لا سامحهم الله. كان موقفاً صعباً للغاية ولا أدري ما الذي دفع لإرسال ذاك المسلسل وكأن إذاعة دمشق عاجزة عن إنتاج غيره.

بإجماع الآراء حجبت الجائزة الذهبية وحصل العمل التونسي على الجائزة الفضية والعمل السوري على الجائزة البرونزية، وكانت النتيجة البرهان الذي افتخر فيه زملائي المصريون إذ لم يحصل أي عمل مصري على جائزة وقال لي رئيس اللجنة الأخ عادل: أرأيت أستاذ فاروق؟ هل وجدتنا منحازين لعمل مصري؟ قلت له: أنا سعيد لهذا وسأتحدث عنه في دمشق لأنكم متهمون بالانحياز لأعمالكم، وأنا لا أجد الأمر غريباً لكن الغريب أن تكون اللجنة مؤلفة من تسعة مصريين واثنين من العرب. وأجاب رئيس اللجنة: وعلى الرغم من ذلك لم ينجح العمل المصري لأنه فاشل ولا يستحق النجاح.

وقد أقيم حفل الختام وتوزيع الجوائز وعدنا إلى دمشق في الثامن من تموز/يوليو ٢٠٠٥ وكان في الوفد السوري من الذين اشتركوا في التحكيم الزملاء: المخرج الإذاعي مظهر الحكيم، المذيع مخلص الورار، المخرج التلفزيوني خلدون المالح، الفنان فراس إبراهيم، الفنانة واحة الراهب، المخرجة التلفزيونية هند ميداني، وبشكل عام لم أكن راضياً عن مجريات الأحداث في المهرجان وقد وجدته مجرد تظاهرة إعلامية توزع فيها جوائز شرطها الأول أن ترضي الجميع، جميع الدول وشركات الإنتاج المشتركة، ومن المصادفات الجميلة أن التقيت في إحدى السهرات مع الأستاذ حسن أبو العلا مستشار السيد وزير الإعلام المصري وعندما سألني عن المهرجان ورأيي فيه ذكرت له وبالتفصيل كل الأمور التي لم تعجبني فقال لي: ربما في المرة القادمة يكون الوضع أفضل فأجبته: أنا آسف لن يكون هناك مرة قادمة بالنسبة لي.

وفعلاً لم يكن هناك مرة قادمة بالنسبة لي فكما تجاهلوني في المهرجانات العشر السابقة استمر تجاهلي في المهرجانات اللاحقة واستمر عدم إرسال أي إنتاج لي وسيستمر في القادمة ما دمت لا أطرح نفسي والحمد لله.

لجنة تحكيم المسلسل التاريخي للدراما الإذاعية
في مهرجان الإذاعة والتلفزيون الحادي عشر بالقاهرة

من اليمين الأساتذة:
أحمد عبد الحليم، فاروق حيدر، عبد الرازق حمامي، عادل جلال،
إسلام فارس، شريف خاطر، إبراهيم مصباح، عدلي نور،
الدكتورة زبيدة عطا، الدكتور حسن عماد.

ويبقى من عام ٢٠٠٥ أن أعرج على حدث هام حيث منحت بمناسبة عيد الإذاعة الثامن والخمسين شهادة تقدير لما قدمته من جهد وعطاء متميز، وكانت بتوقيع السيد المدير العام المهندس معن حيدر والسيد مدير الإذاعة الأستاذ محمود الجمعات.

على الرغم من أنني حاولت الابتعاد في هذه المذكرات عن حياتي الشخصية بقدر الإمكان مفسحاً المجال أمام حياتي المهنية ومشواري مع المايكروفون، على الرغم من ذلك لا بد من أن أذكر هنا أن بداية عام ٢٠٠٦ كانت في الديار المقدسة حيث قصدتها مع السيدة زوجتي، ويمكن القول إن اختياري لذكرها هنا جاء لأقول إنه كان من الممكن أن أذهب أكثر من مرة لقضاء فريضة الحج عن طريق الإذاعة أو عن طريق نقابة الفنانين لأن المؤسستين ترسلان عدداً من منسوبيها كل عام: الإذاعة لنقل وقائع الحج ونقابة الفنانين كنوع من التكريم لأعضائها الذين يريدون قضاء الفريضة، لكن ولأني لا أعرض نفسي ولا أتكلم عن نفسي ولا أحاول التزلف ووضع الوساطات، أبقى بعيداً، أو مبعداً، لا فرق ففي مشواري الطويل في الإذاعة وفي النقابة ولوكان الأمر بالدور مثلاً لجاء دوري قطعاً، لكن، ما دمت ساكتاً وبعيداً فلا أحد يفكر بشيء اسمه عدالة، والغريب أن الإذاعة والنقابة يذكرونني عندما يحتاجون إلي في تدريب أو تحكيم أو ما شابه، وحتى لا أبتعد عن الحقيقة لا بد وأن أذكر أن نقابة الفنانين نقدتني مبلغ خمسين ألف ليرة سورية باسم إعانة الحج تقدم لكل عضو في النقابة يذهب لقضاء فريضة الحج، بالإضافة إلى أنها كانت تكرمت علي واختارتني في بعثتها لمهرجان لايبزغ للسينما عام ١٩٨٣ وكانت تلك المرة الأولى والأخيرة.. ماذا أطلب أكثر من ذلك؟

المهم أنني في بداية هذا العام حققت حلمي بزيارة الديار المقدسة واتباع مناسك الحج والصلاة في الحرم الشريف أمام الكعبة في مكة وفي مسجد رسول الله ص في المدينة المنورة، وفي مقام قبر الرسول الكريم وبجانبه قبر رفيقه أبي بكر الصديق وبجانبه قبر العادل عمر بن الخطاب.

وبعد عودتي من الحج مباشرة أشرفت وحاضرت ودربت في دورة: «كتابة النص الدرامي في الإذاعة» وذلك في المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني، والتي استمرت عشرة أيام أتحدث عنها بالتفصيل عند حديثي عن المركز تحت عنوان خاص به.

وعدت بعد انقطاع إلى اجتماعات جمعية تنظيم الأسرة السورية بدعوة من الأستاذ الصحافي قاسم ياغي رئيس لجنة الإعلام في الجمعية فحضرت اجتماع اللجنة الأول وفوجئت، بعد السنوات التي انقطعت فيها عن الجمعية، أن الأوضاع لا زالت تراوح في مكانها وأن الأستاذ الياغي المتحمس للعمل بعد تسلمه رئاسة اللجنة الإعلامية لأول مرة لن يستطيع شيئاً لعدم وجود مخصصات كافية. ويبدو أنه مكتوب علينا أن نبقى نراوح في المكان، والبقاء في المكان تأخر، ما دام الآخرون يتقدمون. والغريب أن الوجوه المدعية والشخصيات التي تجيد الكلام والتنظير بدل العمل نفسها لا زالت موجودة في الجمعية والغريب أن تلك الوجوه والشخصيات هي التي تتكلم وهي التي تخطط وهي التي تدلي بآرائها وهي التي تداوم على التواجد الدائم في الجمعية وبالتالي هي التي تستفيد من رحلات ومؤتمرات واجتماعات وما إلى هنالك. الأستاذ قاسم ياغي رحب بوجودي في اللجنة خبيراً فشكرته وقلت له ما معناه إن وجوده على رئاسة اللجنة يمكن أن يحقق بعض النتائج لكن الموضوع أكبر من هذا، ففي كل سنة وفي أول اجتماع للجنة الإعلام نتحدث عن المنشورات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية والمسلسلات ونتوسع في أحلامنا ونسجلها كمخطط لذاك العام لكنها تبقى على الورق. قلت له أيضاً: أنا أعمل في حقل تنظيم الأسرة منذ سنوات طويلة وأضمن كل عمل إذاعي أكتبه دعوات لتنظيم الأسرة - ولا يجوز أن نذكر تعبير تحديد النسل - ودعوات للحمول المتباعدة ودعوات لعدم الزواج المبكر ودعوات للتغذية من حليب الأم ودعوات ودعوات آتي بها بشكل غير مباشر عن طريق الحوار بين الشخصيات، فأنا بذلك أحقق ما تعجز لجان الجمعية عن تحقيقه لكنني أتساءل: ماذا أفدت من كل ذلك على المستوى الشخصي؟ طبعاً غير الفائدة الكبرى في دعواتي الخاصة بالمصلحة العامة؟ لا شيء.. لا كلمة شكر.. لا دعوة

لحضور مؤتمر من مؤتمرات تنظيم الأسرة العالمية التي يحضرها من الفرع السوري أعضاء كل عام، والجميع يعرف أنني أتقن اللغة الانكليزية وشيئاً من الألمانية، فما الفائدة من كل ما يجري؟ أنا انقطعت منذ سنوات وجئت هذا العام تقديراً لدعوتك يا أستاذ قاسم ياغي لكنني، وبكل أسف، سأنقطع من جديد، أنا أقوم بواجبي تجاه مبادئ الجمعية التي أؤمن بها وهذا يكفيني، وأضفت في داخلي كلمات أخرى: فلتهنأ يا سيدي بهذه الوجوه التي لا تمل ولا تكل ولا تخجل من أنها لا تعطي بقدر ما تأخذ.

وجدير بالذكر أن سنوات ماضيات مرت كنت أقدم باسم الجمعية برنامجاً أسبوعياً في إذاعة دمشق بدأ بلقاءات مع مختصين، وانتهى بتمثيليات قصيرة حول أهداف الجمعية، لكن الأمور تغيرت نتيجة هبوب رياح حاقدة عاصفة، كالعادة، فتركت الجمل بما حمل.

وفي هذا العام أيضاً صدر قرار مجلس إدارة نقابة الفنانين باستحقاقي الراتب التقاعدي للنقابة بعد بلوغي الستين، وهذا الانجاز إلى جانب إنجاز التأمين الصحي من ميزات مرسوم الفنانين الذي سبق وتحدثت عنه.

وفي هذا العام أيضاً عاشت الإذاعة أيام استنفار واستعداد دائم منذ أن اندلع القتال في جنوب لبنان في الثاني عشر من تموز/يوليو وتصدى حزب الله للعدوان الاسرائيلي واستطاع الصمود والتغلب على إسرائيل خلال أربعة وثلاثين يوماً في حرب مستمرة، مما أدى إلى هجرة الكثير من الأخوة اللبنانيين وإقامتهم بيننا، واهتمام الإذاعة بإجراء مقابلات معهم حيث يصفون الأوضاع في الجنوب اللبناني المناضل. وفي هذه المناسبات لا يكون للمخرجين دور كبير كدور المذيعين مثلاً، لكن متابعتنا لتلك الأيام الخالدة جعلتنا نشعر بفخر افتقدناه سنوات طويلة.

وقمت بتدريب مذيعين في مؤ سسة سيريا نيوز للأنباء حيث كانت تنوي تلوين أخبارها على موقعها الالكتروني بالصوت والصورة واستطعت خلال عشرة أيام أن أبصرهم وأمسكهم طرف الخيط كي يتابعوا السير ويجتهدوا ليحققوا وجودهم كمذيعين. لكنني علمت بعد ذلك أن المشروع كله توقف.

كذلك سجلت تعليقاً وتقديماً لبرنامج رمضاني تلفزيوني كتبه الزميل الأستاذ عماد نداف لتلفزيون دمشق.

في العام ٢٠٠٧ تغير السيد وزير الإعلام فجاء الدكتور محسن بلال بعد السادة وزراء الإعلام السابقين عدنان عمران وأحمد الحسن ومهدي دخل الله .. ومن الطبيعي أن يتبع ذلك تغييرات تطال أول ما تطال مدراء المؤسسات الإعلامية وفي مقدمتها الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون لأنها المؤسسة الأكثر حساسية وأهمية فالصورة التلفزيونية هي مرأى المسؤولين ومحط آمالهم. المهم: تغير السيد المدير العام المهندس معن حيدر ولعدم وجود شخصية جاهزة لتسلم المنصب جيء بالمدير السابق الدكتور فايز الصايغ كي يعيد الاعتبار للذين كانوا عاهدوه على الولاء. لا حول ولا قوة إلا بالله.. صدقوني أقف أحياناً في موقف كهذا الذي أنا فيه الآن محاولاً محاسبة نفسي والتراجع عما ذكرت، مدعياً أو متوهماً، أنني أبالغ في توضيح الصورة، لكن ومع الأسف، ذاك ما يجري تماماً، مسيرة نصف قرن من الزمن علمتني الكثير بعد أن شاهدت الكثير وعاصرت الكثير، لكن، والحق يقال، فوجئت كمراقب بعيد عن الصورة لكنه مهتم بها لأنها تلخص خمسين عاماً من حياته، أقول: فوجئت بعودة الدكتور فايز الصايغ مديراً عاماً وتساءلت: لم تمّ الاستغناء عنه إذا كانت صفحته بيضاء ونجاحه مؤكداً؟ وإذا لم تكن الحال كذلك: كيف يعيدونه إلى منصب «فشل» في إدارته؟ وبين قوسين، أحب أن أؤكد هنا أنني لست مع فلان ولست ضد فلان، فأنا أراقب ولا علاقة لي، لا من بعيد ولا من قريب، بالمدير العام، اللهم إلا عندما يريد أحدهم أن يفيد من خبرتي فيبادئني بالاتصال، وهذا الأمر يسري أيضاً على ابن عمي المهندس معن حيث لم يكن بيننا أي اتصال أو علاقة في العمل.

وما دمت قد غصت في حديث المديرين العامين أتابع فأقول: ودون أن أستطيع تحديد التاريخ، إن الأستاذ الصايغ لم تطل إقامته كمدير عام وجاء بعده زميل مهذب طيب كان يعمل في مديرية أخبار الإذاعة وأصبح مديراً للأخبار ثم رقي فتسلم منصب المدير العام وهو الأستاذ ماجد حليمة، الذي رحب به كل

العاملين في الهيئة لأنه من الهيئة ويفهم زواريبها ويستطيع التحكم بإدارتها ما دام يعرف الكوادر ومواصفات كل من أفرادها، تماماً كما سبق ورحبوا بكل زميل تسلم الإدارة العامة وهو ابن الهيئة لأن في تسلمه توفيراً للوقت الذي يحتاجه القادم من خارج الهيئة كي يستوعب كل ما حوله، ولكن وللأسف، لم تطل مدة بقاء الأستاذ حليمة كما حدث مع غيره والفرق الوحيد والمهم بينه وبين غيره أن غيره، كالمهندس معن، عاد إلى بيته ينتظر رحمة ربه والمسؤولين كي يجدوا منصباً جديداً له وهو ما يزال في بداية الطريق، أما الأستاذ حليمة فيبدو أن رحمة ربه والمسؤولين قد شملته فنقل مديراً عاماً لمؤسسة الإعلان وجيء بصحافي لم أسمع عنه إلا الثناء وهو الأستاذ عبد الفتاح عوض فتسلم منصب المدير العام.. ولم يكد يحس بشعور الدفء وأنه في بيته حتى جيء بمدير عام جديد بدلاً عنه هو الدكتور ممتاز الشيخ، الذي قيل لي إنه صحافي وطيب ودمث الأخلاق .. وأرجو ألا أذكر بعد صفحات من هذه المذكرات أنه قد استبدل هو الآخر، لأن للثبات أهمية قصوى في المناصب الإدارية وتعدد الأشخاص للمنصب الواحد قد يكون عاملاً رئيسياً وهاماً من عوامل التخلف والجمود والتغيير المستمر بكل محاذيره.

وبعد الحديث عن منصب المدير العام يأتي الحديث عن مناصب المديرين فكرسي مدير الإذاعة لم يعتد على جالس واحد فترة طويلة، فبعد الزميل المذيع نايف حمود جاء الزميل المذيع محمود الجمعات ثم جاء بعده الزميل مدير الأخبار نبيل شنار. وتداول منصب مدير البرامج بالتتالي: الزميل مخلص الورار ثم الأستاذ حسام يونس ثم الزميلة المذيعة فريال أحمد.أما مديرة برامج إذاعة صوت الشعب فهي الزميلة المذيعة فيوليت بشور. وأما مدير إذاعة صوت الشباب فهو الزميل المذيع موسى عبد النور الذي جاء بعد إقالة الزميلة المذيعة طالبتي المجيدة شادن حمدان.

أعود إلى العام ٢٠٠٧ وحصادي الإذاعي فيه فأذكر أنني استبدلت ببرنامج: «تمثيلية لم تتم» برنامج «من الحياة» وذلك بناء على اتصال هاتفي أجراه معي الزميل المذيع جمال الجيش بعد تعيينه رئيساً لدائرة تمثيليات الإذاعة،

وأبدى رغبة لجنة البرامج في تغيير برنامج «تمثيلية لم تتم» - إذا وافقت - على أن تترك لي نصف الساعة الأسبوعية لأختار لها البرنامج الذي أريد.كان دمثاً لطيفاً، فأبديت استعدادي للتغيير وجئت ببرنامج «من الحياة» الذي يحتوي في كل حلقة على تمثيلية من حياتنا، أتبعها بتعليق بسيط مني عن النقطة التي أردت إبرازها والرسالة التي أوجهها للمستمع عن طريق تلك التمثيلية، ولا يزال البرنامج مستمراً حتى ساعة كتابتي هذه الصفحة من مذكراتي الإذاعية.

وبمناسبة الذكرى الستين لتأسيس الإذاعة السورية أجرت إذاعة صوت الشعب لقاء معي على الهواء عبر الهاتف ضمن البرنامج الشهير: «البث المباشر»" الذي يخرجه الزميل المخرج محمد عنقا وأجرى اللقاء الزميل المذيع وليد خربوطلي. كذلك وفي إذاعة صوت الشعب تم لقاء في الاستديو لبرنامج «لقاء على الهواء» للمناسبة نفسها ولمدة ساعة كاملة وأجرى اللقاء الزميل المذيع وطالبي النجيب عبد المؤمن الحسن وإخراج الزميل فراس عباس.

كذلك وللمناسبة نفسها أجرى البرنامج العام لإذاعة دمشق لقاء معي عبر الهاتف وعلى الهواء مباشرة وكان في الاستديو الزميلان المذيع مخلص الورار الذي حاورني والمخرج نذير عقيل.

وفي هذا العام أيضاً وفي برنامج «جسر المحبة» جرى نقاش على الهواء مباشرة ومن خلال الهاتف حول الدراما العربية باشتراك إذاعة دمشق وإذاعة أم درمان في بث مشترك، وكان البرنامج من إعداد وتقديم الزميل محمد حسن قبلان. وقد أثرت في هذا النقاش ضرورة الاتجاه نحو الإنتاج الدرامي العربي المشترك واختيار الموضوعات التي تهم المستمع العربي في الأقطار العربية كافة، وذلك كمقدمة لإنشاء الفضائية العربية المشتركة وكان من المشتركين في البرنامج أيضاً الزميل المخرج التلفزيوني فردوس أتاسي.

أما في المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني فقد حاضرت ضمن دورة «إعداد وإخراج برامج الطفل في الإذاعة»، وكذلك سلمت مخطوطي الثالث للكتاب القادم بعنوان: «المذيع» الذي سيقوم المركز بطباعته على حسابه.

بقي في جعبة عام ٢٠٠٧ ذاك المقال الذي نشرته صحيفة الثورة في عددها بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٢٠ وكتبه الزميل الفنان جهاد عبدو قال فيه:

«من بين الحلقات التمثيلية التي قمنا بتسجيلها للإذاعة مؤخراً، واحدة في غاية الأهمية، وهي تطرح موضوعاً إنسانياً حساساً للغاية، قلما تجرأ أحد ليتكلم عنه جهاراً لما فيه من إرباك له من جهة، وللمعنيين به من جهة أخرى، ألا وهو: «دار المسنين» فقد كتب الأستاذ فاروق حيدر مشكوراً تمثيلية في غاية الشفافية، تتحدث عن رجل مسن متقدم في العمر، آثر أن يقطن في دار للمسنين بعد رحيل زوجته كي لا يبقى وحيداً، بل ينعم برفقة من هم في جيله من كبار العمر والقدر، ويضع نفسه تحت رعاية طبية دائمة وإشراف ذوي الخبرة بمتطلبات من هم في أعمار آبائنا، وأجدادنا المبجلين» وتابع جهاد فأشار إلى موقف الأولاد والأقارب الذين شنوا حملة كبيرة خوفاً من المجتمع، لكن الأب يدافع ويقول إنه غير مضطر لتحمل مزاج أولاده أو زوجات أولاده الذين يكنون له الحب لكن بطريقتهم وأسلوبهم.

وما حدث أن طالعتنا صحيفة تشرين في اليوم الثاني وفيها يشن الصحافي عمار طالب أبو عابد حملة على ما جاء في مقال جهاد متحدثاً عن الشرقيين والعاطفة والبعد عن المادية وعن التفريط بالكبار الأجلاء. وخيل لي أنه لم يفهم شيئاً من مقالة جهاد. لم أتحمس لإجابته ولا للاتصال به كي أفهمه ماذا قصدت بتمثيليتي وماذا قصد جهاد في مقالته. كذلك ذكر لي جهاد أنه لن يجيبه لأنه لا يحب تلك المجادلات التي لا طائل منها. المهم أن عامر لم يفهم المقالة جيداً وكما يقول المثل الشعبي: «خطف الكباية من رأس الماعون».. ومنذ ذاك اليوم لم أصادف عامر الشاب المهذب المثقف كي أعرج على ذاك الحديث وأفهمه ما فاته أن يفهمه.

« دمشق ٢٠٠٨ عاصمة الثقافة العربية »

العنوان الكبير لعام ٢٠٠٨ هو: «دمشق ٢٠٠٨ عاصمة الثقافة العربية» والاحتفالية كانت واسعة ومبرمجة ومنظمة حيث قامت الأمانة العامة لاحتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٨ بجهود كبيرة شملت نشاطات مختلفة منها: «نادي الذاكرة» الذي كان مشهداً ثقافياً دمشقياً يقام شهرياً في مقهى الروضة. وفي التاسع من شهر حزيران / يونيو كان دوري في الحديث عن «تاريخ الإذاعة السورية» فبدأت منذ العام ١٩٦٠ تاريخ التحاقي بالإذاعة وحتى اليوم مقدماً بعض الصور التي وردت إلى ذاكرتي مع بعض الأسماء التي حضرتني. وكانت الأمانة العامة لاحتفالية دمشق قد دعتني عن طريق اتصال هاتفي أجرته السيدة الدكتورة حنان قصاب حسن الأمين العام للاحتفالية وكنت شاكراً ومقدراً لطفها واهتمامها. ومما ذكرته في لقائي مع الجمهور أهمية تلك الفترة لإذاعة دمشق حيث كان لحادثين هامين التأثير المباشر على تطوير إذاعة دمشق، وكان أول الحدثين قيام الوحدة بين سورية ومصر وبالتالي عدّ إذاعة دمشق إذاعة الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة وإذاعة القاهرة إذاعة الإقليم الجنوبي من الجمهورية العربية، وتم التلاقي بين الإذاعتين الكبيرتين وتبادلتا الخبرات والعاملين والدورات التدريبية. أما الحدث الثاني فكان إنشاء التلفزيون العربي الذي أصبح عنصراً منافساً للإذاعة وتحدياً قائماً جعل الإذاعة أمام مسؤولية المنافسة والحفاظ على المهمة المنوطة بها دون أن تسمح للتلفزيون

أن يسحب البساط من تحت قدميها. وأذكر هنا الكلمات التي قدمت بها في الكتاب الخاص بنشاطات شهر حزيران تحت عنوان: فكر ومعرفة، نادي الذاكرة، تاريخ الإذاعة السورية: «في هذا الشهر تستضيف الأمانة العامة للاحتفالية المذيع السوري القدير الدكتور فاروق حيدر الذي سيتكلم عن ذكرياته في الإذاعة السورية منذ تأسيسها وحتى اليوم.ولد الدكتور فاروق حيدر عام ١٩٣٩ وبدأت علاقته بالإذاعة منذ عام ١٩٦٠، درس الحقوق في دمشق ثم انتقل إلى هولندا حيث حصل منها على شهادة الدكتوراه في القانون الدولي، وتنقل بين عدد من الإذاعات الدولية والعربية كإذاعة القاهرة وإذاعة هولندا، شغل عدة مناصب في الإذاعة السورية، فكان مدير الإذاعات الأجنبية ثم مدير القناة الثانية التلفزيونية وكذلك مدير برامج الإذاعة، إضافة إلى ذلك ألف عدة كتب في فن التقديم الإذاعي منها: كتاب «التمثيلية الإذاعية» وكتاب «كيف نبني مذيعاً جيداً»، إضافة إلى عمله محاضراً دائماً في مركز التدريب الإذاعي والتلفزيوني بدمشق التابع لاتحاد إذاعات الدول العربية».

وقد نشرت صحيفة تشرين خبراً عن الحدث وكذلك نشرت صحيفة الثورة مقالة للصحافي عمار نعمة الذي تابع المحاضرة وذكر بعض فقراتها.

كذلك أجرت السيدة Brook Jones بروك جونز رئيسة تحرير مجلة «what's on» الانكليزية الصادرة في دمشق، مقابلة معي احتلت صفحتين كاملتين من المجلة، تحدثت فيها عن مشواري مع المايكروفون مع بعض اللمحات الشخصية جواباً على أسئلتها ، وذلك في عدد آب/ أغسطس من العام ٢٠٠٨.

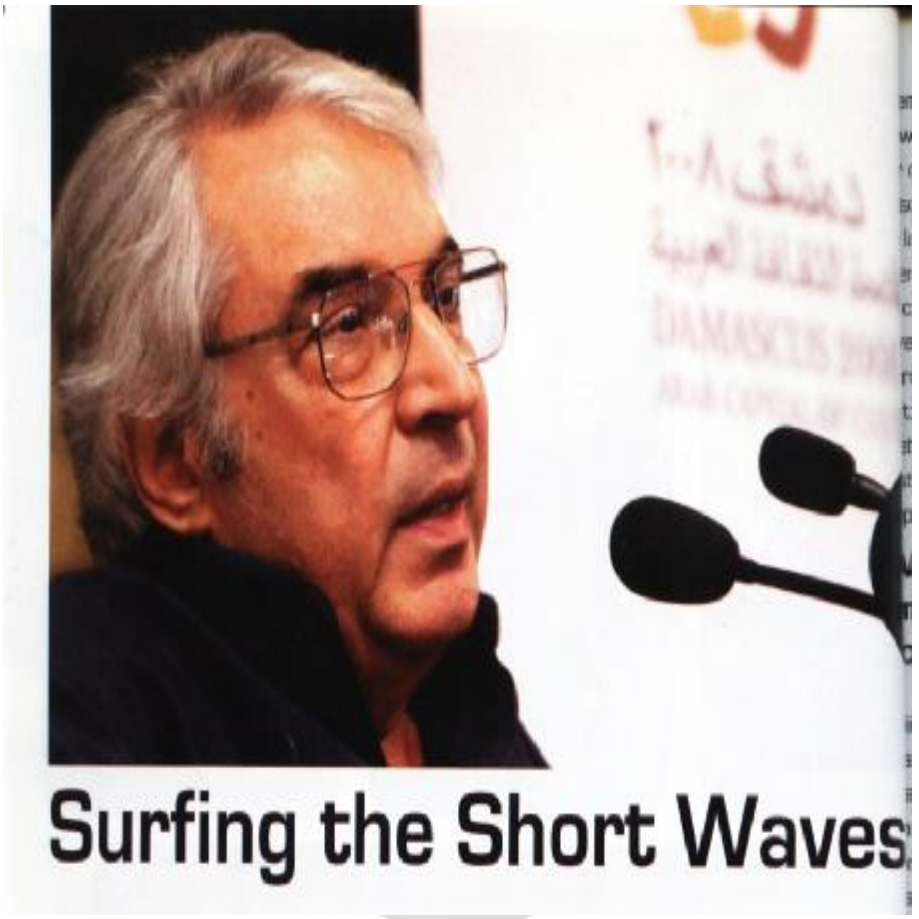

المذيع:

في هذا العام ٢٠٠٨ الحافل بالأحداث صدر كتابي الثالث بعنوان: «المذيع» عن المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني وهو يعطي النصائح والتعليمات لمن يريد أن يصبح مذيعاً، بعد التأكد طبعاً من وجود الموهبة لديه.

تمثيليات إذاعية:

كذلك صدر كتابي الرابع بعنوان: «تمثيليات إذاعية» احتوى مختارات من التمثيليات الإذاعية التي سبق وكتبتها وأخرجتها في إذاعة دمشق وهي تفيد الزملاء المشتركين في الدورات الخاصة بالكتابة الدرامية ويمكن أن يستعينوا بها عند التدريب على الإخراج الدرامي الإذاعي.

وأخيراً آتي إلى العام الذي أكتب فيه هذه المذكرات ٢٠٠٩ ولا أجد جديداً أذكره إلا ما يلي:

مواصلتي في كتابة وإخراج وتقديم البرنامج الأسبوعي «من الحياة» الدرامي الإذاعي، مدته ثلاثون دقيقة.

وفي المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني أقيم حفل جرى فيه تسليم واستلام بين مدير المركز الدكتور حيدر اليازجي الذي انتهت مهمته والمدير الجديد الأستاذ طالب قاضي أمين الذي كان يشغل منصب معاون وزير الإعلام، ولا يسعني إلا أن أسجل احترامي وتقديري للدكتور حيدر اليازجي الإنسان الذي أدار شؤون المركز بمهارة وآمل أن يكون الأستاذ طالب قاضي أمين الذي لا أعرفه عن قرب خير خلف لخير سلف.

وفي بداية العام أشرفت وحاضرت ودربت في دورة «فن الدراما الإذاعية» ومدتها عشرة أيام وسأتحدث عنها تفصيلاً عند حديثي عن مركز التدريب.

كذلك اتصل بي هاتفياً الزميل الأستاذ مروان ناصح الذي أسند إليه منصب مدير قناة الدراما التي لا زالت في مرحلتها التجريبية، وطلب مني المساهمة في تدريب طاقم جديد من المذيعين والمذيعات، فرحبت بالفكرة ووضعت العناوين الرئيسية للدورة مع التقديرات الخاصة بالنفقات المالية والتفاصيل الأخرى. وتوكلنا على الله بانتظار شارة البدء ثم جاءت الشارة وبدأت مع ثمان من الشابات وشاب واحد، كلهم طلاب جامعيون أو خريجون حديثون وتمكنت خلال أسبوعين، مدة الدورة، أن أعطيهم طرف الخيط وأسلمهم المفتاح وأترك الباقي عليهم. وقد انضم إلي في التدريب الزميل الأستاذ ميسر سهيل.

ومن الأحداث الهامة التي لا بد من ذكرها تلك المفاجأة في قرار من السيد المدير العام لهيئة الإذاعة والتلفزيون، وقيل من السيد وزير الإعلام، بوقف تعامل الهيئة مع متقاعديها، الذي ألغي بسببه برنامجي «من الحياة»

وأعيد إلي مسلسل «مقامات الحريري» بعد أن كان أدرج في دورة رمضان القادم. وقد عجبت لهذا جداً وقلت: من الممكن أن أقبل على مضض توقف تعاوني كمخرج متقاعد بحيث لا أخرج البرامج والتمثيليات، لكن أن ترفض الهيئة نصوصاً كتبتها كإنتاج فكري فذاك لا علاقة له بالقرار الأعمى آنف الذكر. ومع الأسف ينفذ موظفو الإذاعة من المدير وإلى الأسفل حرفياً ما يطلب منهم، بل ويفسرون أحياناً القرار تفسيراً خاطئاً ومبالغاً فيه خوفاً من إغضاب من هم أعلى منهم حتى ولو كان الظلم والإجحاف قد لحق بالكثيرين. لقد تجاهل صاحب القرار نوعية البرامج ومدى أهمية تطورها وتقدمها وذاك لا يتم إلا عن طريق أصحاب الخبرة والتجربة - المتقاعدين -، وفوق هذا فسر القرار تفسيراً غير منطقي ولا معقول. وكنت بانتظار أن يتفهم أحد المسؤولين خطورة الموقف ويتراجع عن تطبيق ما هو بعيد عن العدالة بعد أن أثيرت ضجة صحفية حول الموضوع، كان أهمها المقالة التي كتبها الزميل الأستاذ مروان ناصح في صحيفة تشرين بتاريخ ٢٠٠٩/٧/٥ ومما جاء فيها: «ومن البديهيات التي لا يجرؤ أحد على المغالطة فيها أن الإبداع لا يعرف مفهوم «التقاعد» فضلاً عما لحظته بعض القوانين من خصوصيات مادية ومعنوية للأعمال الفكرية والإبداعية. وها هو أحد الرجال المحترمين في تاريخ الإذاعة والتلفزيون، مخرجاً إذاعياً مثقفاً، وكاتب دراما إذاعية من الطراز الأول، ومديراً لإدارات برامجية عدة، ومؤلف كتب مرجعية نادرة في فنون المهنة، ها هو الإذاعي الكبير فاروق حيدر، يدهشني بقوله: لا أعترض على إعفائي من مهمة الإخراج الإذاعي، فهي المهنة التي دخلت السلك الوظيفي باسمها، وقضيت عمري تحت ظلالها، وخرجت منها إلى التقاعد» مع أن لهذه المهنة جانبها الإبداعي الملحوظ!! لكنني أعجب منهم كيف ردوا إلي مسلسلاً إذاعياً كانوا قد أجازوه لينتج ويذاع في شهر رمضان، معتذرين لكوني «متقاعد» ولا يحق لي أن أبيع الهيئة نتاجي الفكري لهذا السبب». ويضيف الأستاذ الكاتب: هذا نمط مخيف من التفكير وآلية مؤسفة في التفسير.

العين الثالثة

مروان ناصح

لا لوم على العازف ..!!

في التيبت (على كتف الصين) لاتزال تعيش قبيلة بدائية، لوحظ أنّ لها عادات غريبة و«طريفة» في حل مشكلات حياتها .. ومن تلك العادات أنهم ينظّمون امتحاناً دورياً لكبار السن الذين خرجوا من لعبة الإنتاج الاقتصادي، ودخلوا في لعبة الاستهلاك و «التقاعد» وأصبحوا عالةً على القبيلة.. أمّا الامتحان القاسي الغريب فيكون بإصعاد الواحد من كبار السن هؤلاء إلى أعلى شجرة ضخمة.. ثم يتحلق حول الشجرة مجموعة من الشباب الأشدّاء.. ويبدؤون بهزها هزاً عنيفاً لمدة معلومة.. وما على الرجل العجوز الممتحن إلا أن يتمسك بأغصان الشجرة خلال هذا الزلزال البشري العجيب.. فإذا خانته قواه وسقط ميتاً لامحالة قبل المدة المحددة للامتحان فقد انتهى أجله، فيقومون بدفنه في احتفالية بروتوكولية لائقة بختام لعبة «واضحة» اسمها «الحياة».. أمّا إذا نجح بأعجوبة، في التشبث بالشجرة، فقد أثبت أنه من عشاق الحياة الصادقين وهو -لهذا- جدير بالتقدير والاحترام، و (الإنفاق عليه) بسخاء بقية عمره «الجميل».!!

ومن باب الطرافة والتسلية، رحت أعيد حكاية هذا الامتحان الغريب «المضحك»، مرات عدة في السنة وعلى مسامع الكثيرين، ممن يمرّون بي من زملاء المهنة في الإذاعة والتلفزيون، الذين خرجوا إلى «التقاعد»، وقررت الإدارة الاستغناء عن خدماتهم التي أصبحوا يقومون بها على سبيل التكليف الإجرائي، وحسب حاجة الطرفين. وللحقيقة، فإنّ من واجب الإدارات أن تتشدد في تطبيق القوانين، ومنها قانون «التقاعد» وإلا لما كان هناك معنى للتشريع أصلاً في هذه القضية، غير أن للمسألة وجهاً آخر ملتبساً، رفضت بعض مفاصل الإدارة الاعتراف بوجوده، وتجنبت النظر إليه، وأصرّت على التطبيق الحرفي لمصطلح «متقاعد»، مع أنّ بين هؤلاء «المتقاعدين» مبدعين مشهوداً لهم بالتميّز في كتابة الدراما الإذاعية والتلفزيونية، وفي إعداد البرامج الثقافية والفنية، ومن البدهيات التي لايجرؤ أحد على المغالطة فيها أنّ الابداع لايعرف مفهوم «التقاعد» فضلاً عما لحظته بعض القوانين من «خصوصيات» مادية ومعنوية للأعمال الفكرية والإبداعية. وها هو أحد الرجال المحترمين في تاريخ الإذاعة والتلفزيون، مخرجاً إذاعياً مثقفاً، وكاتب دراما إذاعية من الطراز الأول، ومديراً لإدارات برامجية عدة، ومدرباً تخرجت على يديه أجيال من مذيعي «المايكروفون» والشاشة الصغيرة، ومؤلف كتب مرجعية نادرة في فنون المهنة.. هاهو الإذاعي الكبير فاروق حيدر، يدهشني بقوله:

- لاأعترض على إعفائي من مهمة الإخراج الإذاعي.. فهي المهنة التي دخلت السلك الوظيفي باسمها، وقضيت عمري تحت ظلالها، وخرجت منها إلى «التقاعد».. مع أنّ لهذه المهنة جانبها الإبداعي الملحوظ!! لكنني أعجب منهم كيف ردوا إليّ مسلسلاً إذاعياً كانوا قد أجازوه لينتج ويذاع في شهر رمضان، معتذرين بأنني «متقاعد» ولايحق لي أن أبيع الهيئة انتاجي الفكري لهذا السبب!!

- هذا نمط مخيف من التفكير!! و«آلية» مؤسفة في التفسير!! ولكنني ياصديقي، لا أجد على شفتي تعليقاً أجمل مما قاله الكاتب الانكليزي أوسكار وايلد، عندما عاب الناس على أحد عازفي البيانو أنه لم يحسن العزف: لاتلوموا هذا العازف... إنه يبذل أقصى مايستطيع..!!

كذلك تحدث الصحافي الأستاذ محمد منصور حول الموضوع نفسه على صفحات الانترنت.

ونشرت صحيفة الوطن مقالاً عن الموضوع نفسه بعد أن أجرى الصحافي الأستاذ محمد أمين لقاء مطولاً معي وتوج المقال بعنوان: «يشعر بالألم والإحباط بعد نصف قرن مع المايكروفون، فاروق حيدر لـــ «الوطن»: كيف تمنعون المبدع من التعامل مع الإذاعة والتلفزيون؟، وقد تحدثت في اللقاء عن الاستثناء الذي صدر مع صدور القرار للزميل الفنان رفيق السبيعي وشجبت هذا الأسلوب في الاستثناء على الرغم من احترامي وحبي للزميل رفيق.

الهيئة العامة السورية للكتاب

يشعر بالألم والإحباط بعد نصف قرن مع المايكرفون

فاروق حيدر لـ«الوطن»: كيف تمنعون المبدع من التعامل مع الإذاعة والتلفزيون

| محمد أمين

فاروق حيدر

لا يخفي المخرج والكاتب الإذاعي العتيق والمخضرم فاروق حيدر ألمه من جراء القرار الذي أصدره وزير الإعلام في الشهر الفائت وأنهى بموجبه تشغيل المتقاعدين الذين استمروا في العمل بعد بلوغهم السن القانوني وحيدر منهم، وخاصة أنه قضى عمره كله في مبنى الأمويين الذي يعتبره بيتاً له، ويرى حيدر أن القرار يحمل الكثير من الإجحاف ولا ينتبه إلى مدى جودة الإنتاج البرامجي في الإذاعة والتلفزيون وهو الشيء المهم ويضيف: كان يجب ألا يأتي هذا القرار لأسباب مادية بحتة لأن الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون ليست شركة تسعى وراء الربح والكسب المادي بل هي مؤسسة لديها التزامات اتجاه البلد وقضاياه الوطنية والقومية وبالتالي فإن القول إن المتقاعدين يأخذون جزءاً من الميزانية هو غير مقبول وخاصة أن عددهم قليل ولا يتقاضون تلك المبالغ الكبيرة.

وقد دخل فاروق حيدر الإذاعة السورية مخرجاً ومذيعاً في عام ١٩٦٠ بعد أن درس في القاهرة، وفي عام ١٩٦٥ غادر إلى هولندا لإتمام دراسته وعمل لمدة عشر سنوات في إذاعة هولندا العالمية مخرجاً ومذيعاً ومترجماً وعاد إلى بيته الأول (إذاعة دمشق) عام ١٩٧٥ وبقي فيها حتى صدر القرار في الشهر الفائت لذلك يشعر حيدر بالإحباط الشديد كما قال في حوار مع «الوطن» لأن إدارة الهيئة (تكيل بمكيالين، فالقرار الذي صدر لم يشمل الجميع بل تم استثناء أحد الأسماء وهو صديقي وفنان كبير، ورغم ذلك لا أقبل أن يستثنى وخاصة أنني أقدم منه في إذاعة دمشق في التقديم والإخراج وأعتقد أنه لا يوجد من هو أقدر مني في الإذاعة وأشعر بالأسف لأنني أتحدث عن نفسي بهذه الطريقة، ولكن عندما يصاب المرء بالإحباط فعليه أن يجهر بالحقيقة). وطوال هذه المسيرة المثمرة تسلّم حيدر بعض المهام الإدارية في الهيئة فهو الذي أسس القناة الثانية في التلفزيون واستلم إدارة الإذاعات الأجنبية وأشرف على الكثير من الدورات الخاصة بالمذيعين سواء في الإذاعة والتلفزيون السوري أم في المركز العربي للتدريب

أعادوا لي مسلسلاً إذاعياً وأوقفوا برنامجي اليتيم

■■■

مادام القرار قد صدر فلماذا الاستثناء؟

أمام الكفاءات الشابة ولكن لحيدر رأياً آخر فهو يرثي حال هذه الكفاءات لأنهم «مساكين لم يتح لهم الذهاب إلى الخارج للانخراط في دورات تأهيلية مهمة ولم يتلقوا العلم والتدريب الكافي ومسألة الإخراج ليست سهلة كما يظن البعض فهو ثقافة واطلاع واسع» ويرى حيدر أن بعض المديرين في مفاصل الإذاعة والتلفزيون لا علاقة لهم بالموضوع الذي يشرفون عليه ويقول: هل تعلم أن هناك مراقبين للنصوص

ويبدو أن المسؤولين قد بدؤوا بالتراجع عن تنفيذ القرار تنفيذاً غير عملي، فاستعادوا المسلسل الذي كنت كتبته لرمضان لكنهم كلفوا مخرجا زميلا لم يتقاعد بعد بإخراجه، أي سمحوا بالنتاج الفكري وبالتمثيل وبقي أن يعودوا عن القرار نهائياً إذ لا أجد له مسوغاً عندما تعمد الإدارة إلى ضبط الأمور وتوزيع العمل بالتساوي بين المتقاعدين ودون المبالغة التي أدت إلى إصدار القرار كما فهمت فيما بعد، حيث كان أحد الزملاء المخرجين المتقاعدين يخرج أربعة برامج أسبوعياً وزميل آخر يخرج برنامجاً يومياً، ولا بد هنا من التعريج من جديد إلى موضوع تربية الكوادر حيث لا أحد يهتم بهذا الموضوع.

ومع بداية العام الدراسي دعيت لتدريس مادة الدراما الإذاعية في المعهد العالي للفنون المسرحية لطلاب السنتين الثالثة والرابعة وذلك من قبل المخرج المسرحي الدكتور عجاج سليم عميد المعهد والأستاذ مانويل جيجي رئيس قسم التمثيل، وقد قبلت الدعوة متوكلا على الله.

وخاتمة حديثي عن المايكروفون، رفيق دربي، وكل ما يتبعه: تحية لكل الزملاء والإذاعيين والتلفزيونيين وإكباراً لكل ما يفعلون وكل ما ينجزون وتمنيات من القلب أن تكون إنجازاتهم هامة وكبيرة، أهم وأكبر من إنجازاتنا، نحن الجيل الذي سبق، وبخاصة لأن الإمكانيات قد تقدمت والمساهمات قد اتسعت والعالم يسير باطراد نحو الأمام ونحن معه إن شاء الله.

الهيئة العامة السورية للكتاب

« المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني »

عندما دعاني الزميل الأستاذ خضر الشعار مع زميلي المخرج الإذاعي مروان عبد الحميد لزيارة مباني مشروع المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني قبل مرحلة الإكساء وذلك للإفادة من خبرتنا وملاحظاتنا كنت متحمساً جداً للمشروع، لكنني في داخلي كنت أشعر وكأن الأمر لا يستحق حماسي، إذ خشيت أن يؤول أمره إلى ما آلت إليه المشاريع العربية المشتركة من فشل، على الرغم من أن الفكرة والغاية يمكن أن تكون حلم كل إعلامي عربي. ومع ذلك تمنيت للأستاذ خضر كل التوفيق بعد أن تأثرت بحماسه وزاد أملي أن يحقق المشروع غايته. كنت عندها قد أبديت ملاحظة أن الاستديوهات الإذاعية صغيرة للغاية وعلى الرغم من أنها بنيت على أساس أن كلاً منها استديو للمذيع لكن عند التدريب يفترض أن يحضر أكثر من مذيع وأن يتناوبوا على الإذاعة فأين سيجلسون؟ ولم يعد باليد حيلة فبقيت الأمور على ما هي عليه. وكنت من الذين عانوا من هذه المشكلة إذ إن عدد أفراد أي دورة لا يمكن استيعابهم في الاستديو الصغير. ومن الأحاديث الجانبية التي أكدت عليها تلك الحقيقة التي لمستها بنفسي في أثناء وجودي في الخارج، حيث صارحني يوماً صديق مهندس أجنبي أن المهندسين الذين يأتون ديارنا كخبراء ليسوا كلهم خبراء بل ترسل أحياناً الشركة الأجنبية المتعاقدة مع مؤسسة وطنية لتزويدها بخبراء العاملين الفاشلين لديها ما دامت الدولة المتعاقدة من الدول المتخلفة، برأيهم، فنتخذ من المهندس الفاشل الذي أتانا مهندساً خبيراً ونكون معه في غاية الكرم ونمنحه الأجر والإقامة الفاخرة بالإضافة إلى المعاملة الطيبة. ذكرت هذه القصة للأستاذ خضر الذي عمل كأول مدير لذاك الصرح العربي وعقبت عليها

قائلاً: آمل ألا تعتمدوا على الخبراء الأجانب فقط وتنسوا أن بين ظهرانيكم خبراء عرباً وسوريين يمكن أن يكونوا أفضل بكثير من أي أجنبي. فأجابني أن عدد الخبراء الإعلاميين الأكاديميين برامجياً وهندسياً قليل في الوطن العربي، قلت: لكنهم موجودون. ضحك وقال: وتعتبر واحداً منهم.. قلت له: ولم لا؟ أنا لا أريد الحديث عن نفسي لكنني أؤكد لك أن ما اكتسبته من علم ومعرفة خلال عشر سنوات في الخارج يزيد على علم ومعرفة الكثيرين الذين يمكن أن تستضيفهم من الخبراء الأجانب.

بصورة عامة كان المشروع يسحرني، وأتصور كيف يمكن أن يجتمع زملاء إعلاميون من أقطار عربية مختلفة فيعيشوا معاً أياماً في المحاضرات وفي التدريب وفي الاستراحة وفي الرحلات الاستطلاعية والسياحية وحتى في الإقامة، حيث يخلف ذاك الاحتكاك تعاوناً عربياُ وثيقاً وصداقات عربية متبادلة، إنه حلم. بقيت أهجس بنتائجه إلى أن تحقق. وقبل أن أبدأ تفصيلاً بالحديث عن دوري الذي أفخر به مع هذا الصرح أردد هنا ما كنت أقوله في كل دورة من الدورات التدريبية التي كنت مسؤولاً عنها: إن المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني بدمشق يحقق ما عجزت الجامعة العربية كمؤسسة إقليمية تمثل كل الدول العربية عن تحقيقه. إنه يحقق وحدة عربية حلمنا بها منذ وعينا، يحققها واقعاً وليس تنظيراً وأمنيات ، وهو بهذا ذو شأن كبير آمل أن يستمر وأن تبقى الدول العربية مصرة على بقائه عن طريق دفع حصصها للإنفاق عليه. وجميل أن أذكر هنا أن المركز نحا نحواً هاماً لم يكن مخططاً له لدى إنشائه حيث أصبح يغطي جزءاً كبيراً من نفقاته عن طريق استثمار جزء من بنائه بتأجيره لشركة أجنبية، ومن ثم تأجير البناء الذي كان مهيئاً كنزل للمشتركين في دورات المركز. وأخيراً تأجير الاستديو الكبير التلفزيوني للتلفزيون العربي السوري، كل هذا جعل المهتمين ببقاء هذا المركز يشعرون بشيء من الأمان فإذا ما قصرت دولة عربية أو دول عربية عن دفع حصتها فلن يسبب ذلك توقفاً.

توالى على المركز منذ تأسيسه وحتى اليوم من المدراء الأستاذ خضر الشعار وكان مديراً عاماً للهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون قبل توليه العمل

مديراً مؤسساً للمركز، ثم عندما قضى فترته جاء الأستاذ فؤاد بلاط وكان مديراً عاماً للهيئة أيضاً، ثم تبعه الأستاذ زهير بريدي وكذلك كان مديراً عاماً للهيئة قبل مجيئه، ثم تبعه الدكتور حيدر اليازجي وكان مدير العلاقات العامة في هيئة الإذاعة والتلفزيون، ثم أخيراً الأستاذ طالب قاضي أمين وكان معاوناً للسيد وزير الإعلام. وينتخب مدير المركز في مجلس اتحاد إذاعات الدول العربية لمدة أربع سنوات يمكن تجديدها ويختار غالباً من بلد المقر الذي هو في دمشق. أما المنصبان اللذان يليان مدير المركز فهما منصبا مدير التدريب البرامجي ومدير التدريب الهندسي ويعدان موظفين دائمين في المركز وتابعين لاتحاد إذاعات الدول العربية في تونس، ومعلوم أن الاتحاد يتبع لجامعة الدول العربية في القاهرة. وقد تتابع على منصب مدير التدريب البرامجي الأساتذة: سامي جانو المذيع والإعلامي السوري المعروف ثم محمد الخطيب الإعلامي السوري أيضاً ثم رياض رعد المخرج التلفزيوني السوري والإعلامي المعروف. أما مدير التدريب الهندسي فقد كان المهندس الأستاذ أسامة الشيخ طوال سنوات انتهت بوفاته منذ فترة قصيرة رحمه الله. ويبقى موظفو المركز وعلى رأسهم الشاب النشيط الأستاذ علي الشعار المسؤول عن العلاقات العامة منذ تأسيس المركز مع كادر إداري محدود على رأسهم الأخ الأستاذ محمد زهير موزة ولا أنسى المدير المالي الأخ الأستاذ أحمد جاويش.

ومعلوم أن المركز يختص بإقامة دورات تدريبية برامجية وهندسية للعاملين في إذاعات وتلفزيونات الدول العربية، ضمن شروط يحددها المركز بالنسبة لمشتركي كل دورة من دوراته كعدد سنوات الخبرة مثلاً، والعمل الحالي وهكذا. ويقوم على التدريب أساتذة مختصون، أجانب وعرب وسوريون، وتحدد لكل دورة مدة زمنية معينة. وبشكل عام يشترط المركز ألا يشترك من كل إذاعة أو تلفزيون عربي وطني أكثر من مشتركين اثنين يعملان في اختصاص الدورة نفسه التي سيحضرانها، وتبقى مشكلة يعاني منها المركز منذ تأسيسه ولا يجد لها حلاً ألا وهي وجود مستويات مختلفة في كل دورة من الدورات، وهذه المشكلة عانيت منها أنا بالذات إذ كنت لا أستطيع تحديد المستوى الذي علي أن أسير به

في الدورة، فقد يكون فيها مبتدئون وقد يكون معهم مختصون درسوا في الخارج، لذا كنت أحاول دوماً اتباع المستوى الوسيط مع شرح أكثر عندما أشعر أن بعض المشتركين لا يستطيعون المتابعة. وفي نهاية كل دورة يوزع المركز استبياناً خاصاً بالمتدربين عليهم أن يجيبوا على أسئلته دون ذكر أسمائهم كي يكونوا صادقين صريحين لا يخشون المواجهة وقول ما يريدون قوله. وقد كتب على الاستبيان في مقدمته: "المقصود من الاستبيان قياس مدى استفادتك من هذه الدورة ومدى نجاح المركز في إعدادها وإتمامها" وكتب أيضاً: "هذه البيانات شخصية ستكون سرية للغاية لذا نرجو عدم كتابة اسمك على الاستمارة". وتبدأ الاستمارة بأسئلة خاصة بالمتدرب وعن عمله وعمره ومستواه التعليمي وسنوات خبرته والدورات السابقة التي حضرها، ثم تأتي الأسئلة الخاصة بالدورة طالبةً رأي المتدرب وملاحظاته ومدى استيعابه لموضوعاتها ثم سؤال عن الموضوعات التي أثارت اهتمامه والموضوعات التي يقترح إضافتها للدورة مستقبلاً، ثم سؤال عن المحاضرين والمدربين ومن أثار اهتمامه منهم ثم أخيراً السؤال التقليدي: هل لديك أي مقترحات أخرى؟ ويقفل الاستبيان بجملة: «نشكرك على تعاونك مع إدارة المركز». وهذه الاستبيانات تجري دراستها والاهتمام بما جاء فيها ويقوم مجلس اتحاد الإذاعات العربية بتحديد دورات كل عام مسبقاً وتسميتها وتعيين الوقت المناسب لها. وسوف نلحظ أن هناك عناوين معينة تتكرر وذلك لأن الطلب عليها يكون من قبل الإذاعات المختلفة أو لأنها تحقق نجاحاً، مثل موضوع الدراما الإذاعية: كتابة وإخراجاً الذي يحتل الصدارة من بين بقية العناوين، ويتبعه موضوع برامج المنوعات ثم موضوع المذيع وكيفية بنائه، إلى جانب موضوعات أخرى برامجية، هذا عدا الموضوعات الهندسية الكثيرة.

وسأحاول استعراض الدورات البرامجية التي كان لي دور فيها مع ما يحضرني من معلومات عن كل منها. بدأت الدورات في المركز عام ١٩٨٣ وكانت أولاها: «دورة إخراج الدراما في الإذاعة» وامتدت من ٩/٢٦ وحتى ١٩٨٣/١٠/١٦ وقد خصص الأسبوع الأول منها للثقافة العامة والإعلامية بمعونة بعض السادة المحاضرين. ثم بدأنا العمل في ميدان إخراج الدراما

الإذاعية حيث استعرضنا نظرياً الإخراج الإذاعي بشكل عام ومواصفات المخرج الإذاعي، واقتربنا من التمثيلية الإذاعية فعرفناها وتحدثنا عن نصها. ثم جاء دور الإخراج حيث التدريب العملي الذي اشترك فيه المتدربون منفذين بعض النصوص لتمثيليات إذاعية جاهزة مستعينين بممثلين وممثلات محترفين ومحترفات. وقد اشترك في هذه الدورة الزملاء المتدربون: منصور حسن الطياش من إذاعة الرياض، فيصل عبد الخالق منشي من إذاعة جدة بالسعودية، عبد العزيز فهد المذن وجهاد عبد الرزاق العطار من إذاعة الكويت، عبد الرحمن شاهر من إذاعة اليمن، مظهر الحكيم ومحمود الأغواني من إذاعة دمشق.

مع الزميلين المتدربين:

مظهر الحكيم من إذاعة دمشق وعبد الرحمن شاهر من إذاعة صنعاء.

وفي عام ١٩٨٤ أقيمت عدة دورات برامجية إلى جانب الدورات الهندسية وكانت الدورات البرامجية التي اشتركت في الإشراف عليها وحاضرت ودربت فيها «دورة إخراج برامج المنوعات في الإذاعة» من ٣/٣ وحتى ١٩٨٤/٤/٢ لمدة شهر كامل حاضر فيها ضمن العناوين العامة: الدكتور صفوح الأخرس متحدثاً عن مفهوم الرأي العام وطبيعته ووظائفه وقياسه ووسائل قياسه، الدكتور محمود السيد متحدثاً عن الاتصال اللغوي وسيكولوجيته، الدكتور فخر الدين القلا متحدثاً عن التربية والإعلام، الدكتور غزوان زركلي متحدثاً عن الموسيقى والإعلام، المهندس موفق الرباط متحدثاً عن التقنيات الهندسية، الأستاذ حسن قطريب متحدثاً عن مسائل لغوية، الأستاذ غازي الخالدي متحدثاً عن الفن والإنسان والتطبيق في الإذاعة، الدكتور محمد المحمد متحدثاً عن مسائل في علم النفس، الأستاذ علي عقلة عرسان متحدثاً عن المسرح، الأستاذ صلاح دهني متحدثاً عن السينما، ثم بعد ذلك أتى دور الإذاعة وبرامج المنوعات فيها وأتى معها دور الإذاعيين السادة: يحيى الشهابي، خضر الشعار، منير الجبان، تحسين رهونجي، وكان لي شرف المحاضرة في العناوين التالية: البرنامج الإذاعي، الإخراج والمخرج، الدراما، المؤثرات الصوتية، الكلمة الإذاعية، برنامج المنوعات وأشكاله: المقابلة الإذاعية، المناقشة، الندوة، البرنامج الجماهيري، البرامج الفكاهية، البرنامج الخاص، المجلة الإذاعية، برنامج الأطفال، برنامج المسابقات، وفي ختام الدورة وفي أسبوعها الأخير قمت بالإشراف على التدريبات العملية.

كان عدد المشتركين المتدربين ثمانية هم: عبد الرحمن واصل الأحمدي من إذاعة الرياض بالسعودية، محمد طاهر زاكر من إذاعة جدة بالسعودية، عبد الرحمن محمد عبسي من إذاعة صنعاء ومحمد حسن كحلاني من إذاعة عدن باليمن، ومن سورية: رفيق سبيعي، ومحمد عنقا، ومازن لطفي، وزياد مولوي رحمه الله.

مع الزملاء المتدربين

زياد مولوي ومحمد عنقا ومازن لطفي من إذاعة دمشق.

أقيمت في هذا العام كذلك «دورة المذيعين ومقدمي البرامج في الإذاعة» من ٩/١٠ ولغاية ١٩٨٤/١٠/٢٤ وقد حضرها تسعة مشتركين متدربين: صالح عبد الرحمن إبراهيم السويدان من إذاعة الرياض بالسعودية، جاسم محمد عبد الرحمن دشتي وأحمد عيسى أحمد اليعقوب من إذاعة الكويت، وسوسن بخاري وميساء يونس ومزنة شيش وقصي عيادة وجمال الشيخ بكري ووليد خربوطلي من إذاعتي دمشق وصوت الشعب السورية. وككل الدورات بدأت بالمعلومات والثقافة العامة ثم بالعلوم الإعلامية ثم بالإذاعة وبعدها دور المذيع ومقدم البرامج وشروطه والتدريبات الخاصة به، وقد لون هذه الدورة المحاضرون السادة: د.محمود السيد وسيكولوجية الاتصال اللغوي، الأستاذ نجاة قصاب حسن والكتابة الصوتية، الدكتور محمد المحمد والوسط النفسي للمذيع، الدكتور صفوح الأخرس والمذيع والرأي

العام، الأستاذ حسين العودات والتدفق الإعلامي بين الدول العربية والدولية، الدكتور فخر الدين القلا والتربية والاتصال، الأستاذ ياسين الشكر والتوثيق والأرشفة، الأستاذ حسين نجار والثقافة الفنية لمقدم البرامج، ثم أتت الدروس الإعلامية والإذاعية، ودور المذيع في محاضرات الأساتذة وتدريباتهم: يحيى الشهابي،وسامي جانو،وخضر الشعار، ويكون لي شرف فتح الباب الرئيسي للدورة وبدء التدريبات الخاصة ببناء المذيع ومقدم البرامج.

وأقيمت أيضاً «دورة تنسيق البرامج في الإذاعة» لمدة ثلاثة أسابيع تم فيها البحث والتدريب على وضع الخريطة البرامجية الفصلية أي التي تشمل دورة إذاعية تمتد عادة مدة ثلاثة أشهر وذلك بعد البحث والتدريب على وضع الخريطة البرامجية اليومية ومن ثم الأسبوعية.

دورة المخرجين الإذاعيين في المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني عام ١٩٨٨

الإذاعة والتمثيلية المسموعة:

صدر كتابي الأول عام ١٩٨٤: «الإذاعة والتمثيلية المسموعة» عن اتحاد إذاعات الدول العربية في تونس، وكتب تقديمه الأستاذ عبد الله شقرون الأمين العام للاتحاد فقال مما قال: «هذا السفر الذي تقترحه الأمانة العامة للاتحاد على ذوي الاختصاص والاهتمام بالإذاعة الصوتية عموماً والتمثيلية الإذاعية خصوصاً كتبه الأستاذ فاروق حيدر، وهو من خيرة مخرجي الدراما ومن الكفاءات المزاولة لهذا العمل في الإذاعة السورية الشقيقة، وقد بذل فيه جهداً موفقاً واستمد كثيراً من الآراء التي اشتملت عليها المواد المتعلقة بالتمثيلية من تجاربه وحنكته ونشاطه في الاستديو، وأمام أجهزة التخريج الصوتي والأداء الفني، ومعدات التسجيل والمونتاج، فضلاً عن تسييره للممثلين والممثلات وتدريبهم، إن ممارسته لهذه العمليات بذوق وكفاءة ولعدة سنوات كانت من دون شك نبراساً مضيئاً في هذا الصدد».

أما المقدمة التي قدمت بها الكتاب فقد قلت فيها: «من خلال تجربتي الإذاعية خلال سنوات، شعرت بحاجة المكتبة الإذاعية إلى كتاب مبسط يستطيع أن يقدم المعلومات العامة عن الإذاعة، وأن يرسم الخطوط الرئيسية للعمل الدرامي لأولئك الكثيرين المهتمين بالكتابة الإذاعية بعامة وبكتابة التمثيلية الإذاعية بشكل خاص، فالكتابة للإذاعة على قدر ما هي ممتعة تحتاج إلى خبرة ودراية كي تؤدي مهمتها كاملة، وكلي أمل أن يكون في هذا الكتاب العون لكل قاريء في إعطائه معلومات عامة عن الإذاعة، وفي الأخذ بيده، إن كانت لديه الموهبة والرغبة اللازمتين، لخوض تجربة كتابة التمثيلية الإذاعية ولإخراجها..»

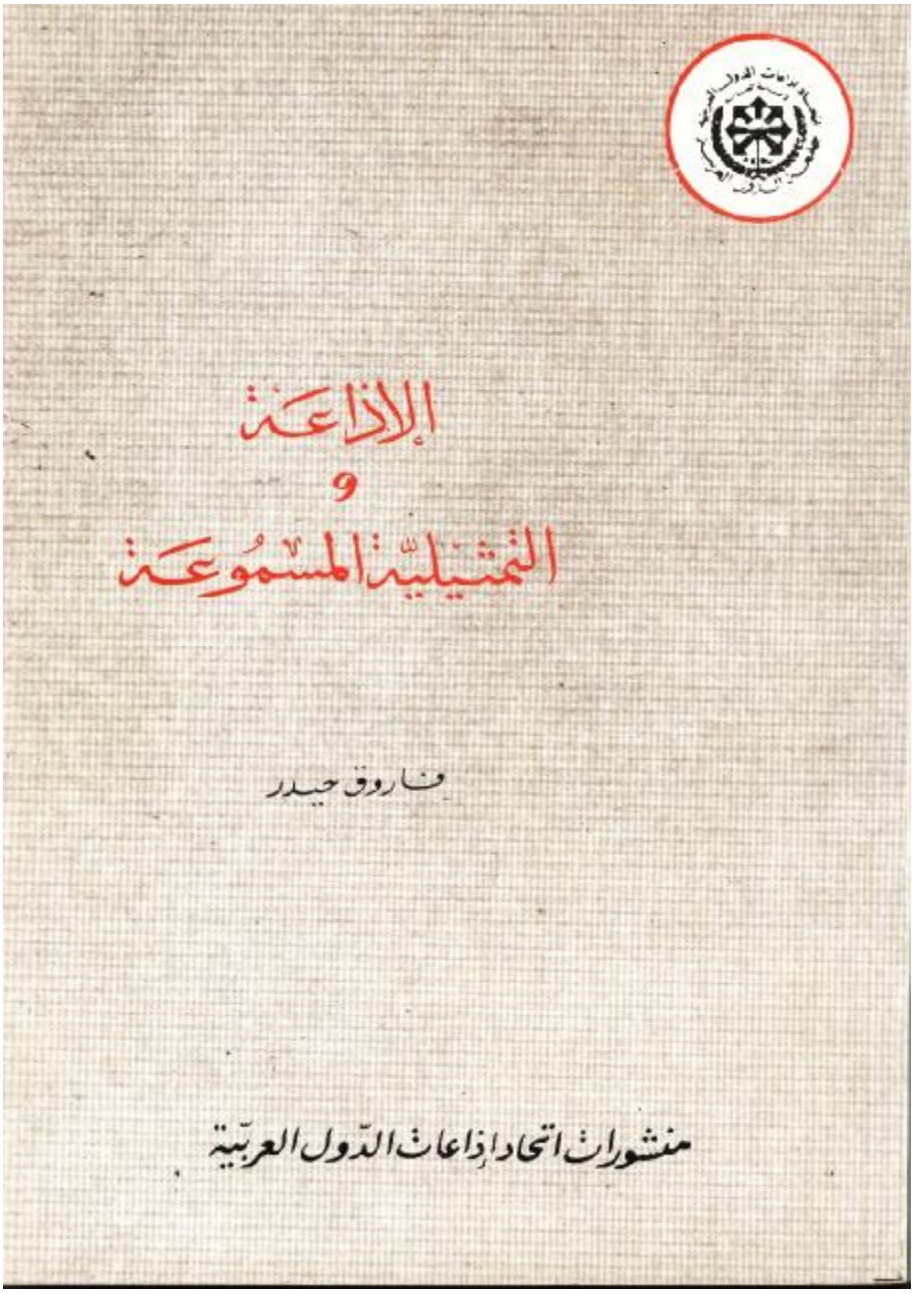
الإذاعة
و
التمثيلية المسموعة
فاروق حيدر
منشورات اتحاد إذاعات الدول العربية

وفي عام ١٩٨٥ أقيمت «دورة إخراج التمثيلية الإذاعية» من ٩/٧ إلى ١٩٨٥/٩/٢٧ وقد تميزت هذه الدورة بارتفاع مستواها حيث إن غالبية المتدربين قضوا سنوات عديدة في حقل الإخراج الإذاعي بعامة وإخراج الدراما بخاصة. وعلى الرغم من نجاح الدورة فإن قصر المدة المخصصة لدورة كهذه تحتاج إلى تطبيق عملي في الإخراج جعلني ألجأ إلى تكليف كل متدربين معاً في إخراج تمثيلية إذاعية، وهذا لا يعطي النتيجة المطلوبة من التدريب إذ لكل مخرج إمكاناته ومفاهيمه وأسلوبه في الإخراج. وقد اشترك في هذه الدورة تسعة متدربين: ثلاثة من الجزائر: محمد بو ثلجة وعبد الحميد تركي وحميد بوسباسي، ومتدرب واحد من السعودية: محمد نور أبو ناصف، ومتدربان من الأردن: إبراهيم عبد المحسن القواسمي وعطا خليل شحادة، وثلاثة متدربين من اليمن: محمد المقري من إذاعة صنعاء وأحمد سلام نعمان من إذاعة تعز وأحمد عمر أحمد من إذاعة الحديدة. وكباقي الدورات خصصت المحاضرات الأولى للثقافة والإعلام ومن ثم دخلنا في موضوعنا بمحاضرات نظرية أولاً ثم تدريبات عملية قام فيها المتدربون بإخراج تمثيليات أربع كتبها الأساتذة: عادل أبو شنب، وليد مدفعي، فاروق حيدر، واستعنا بممثلين وممثلات محترفين ومحترفات لتنفيذها.

وجرت في العام نفسه دورات أخرى برامجية منها «دورة معدي ومقدمي البرامج الثقافية والتنموية»، و«دورة مذيعين»، و«دورة الصوت».

ويهمني أن أذكر هنا أن الدورات التي أتحدث عنها تفصيلاً هي تلك التي أسندت إلي فيها مهمة الإشراف والتنفيذ والمحاضرة والتدريب، بعد وضعي البرنامج الخاص بالدورة بالتعاون مع السيد مدير التدريب في المركز الأستاذ سامي جانو. أما باقي الدورات الإذاعية فكان يطلب مني أن أحاضر فيها مرةً أو أكثر لكنني لا أكون مسؤولاً عنها كما هو الحال في الدورات التي أكلف بها تكليفاً كاملاً.

في عام ١٩٨٦ أقيمت «دورة التنسيق والتخطيط البرامجي» من ٢٥ آب /أغسطس / حتى ١٤ أيلول سبتمبر ١٩٨٦ وقد تفضل الأساتذة : يحيى الشهابي

- حسين العودات - الدكتورة صالحة سنقر - منير الجبان - رياض نعسان آغا - نجاة قصاب حسن - صميم الشريف - برجس عزام - قاسم ياغي، بتقديم بعض المحاضرات وغطيت الجانب الآخر من محاضرات وتدريبات على وضع الخارطة اليومية والأسبوعية وخارطة الدورة البرامجية الكاملة .

كما أقيمت «دورة تشغيل الصوت في الإذاعة والتلفزيون» التي اشترك فيها عدد كبير من المتدربين لأنها تجمع الإذاعة والتلفزيون معاً: فكان من الكويت عبد الهادي الخياط، فوزي علي نقي، جاسم دشتي، رضا عبد الله، خليل حيدر وفيصل الكندري. ومن السعودية حسين الطويهر، حمد الرشيدان، سعد الدوسري، حمود الصم، صالح ابن جبل، سالم العدلان. ومن الأردن عبد السلام الدجاني. ومن اليمن راجح الخاوي، علي اللوزي، عبد الكريم الجنداري، جمال فرحان، محمد علي لطف، ومن قطر ابراهيم السادة، محمد عبد الكريم، علي السادة. وقد تفضل بإلقاء المحاضرات الأساتذة: الدكتور المهندس عصام عبود، المهندس بشير بدوي، تحسين رهونجي، وقمت بالتدريب والتطبيق العملي في مونتاج ومزج الأصوات وفي تسجيل الدراما بعد الحديث المفصل عن المؤثرات الصوتية والأبعاد الصوتية والمستويات الصوتية.

وأقيمت أيضاً «دورة استخدام وسائل الاتصال في تطوير برامج المرأة» من ٩/١ ولغاية ١٩٨٦/٩/١٠ وتفضل بإلقاء المحاضرات الأساتذة: حسين العودات، عادل أبو شنب، منير الجبان، يحيى الشهابي، سعيد مراد، هيثم حقي، رياض نعسان آغا، الدكتورة نجوى قصاب حسن، أمين البني، رجاء الزين، الدكتورة صالحة سنقر، لين أتاسي، وفاروق حيدر حيث تحدثت عن الإخراج الإذاعي ودور الدراما في خدمة برامج المرأة.

ومما يجدر ذكره هنا أن الأستاذ فؤاد بلاط أصبح مدير المركز الجديد بعد أن انتهت فترة الأستاذ خضر الشعار الذي عاد إلى الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون والذي سيصبح مديراً عاماً بدلاً من المدير العام السابق فؤاد بلاط أي أن تبادلاً في المناصب قد تم لتطبيق القانون.

في عام ١٩٨٨ أقيمت دورة «إخراج الدراما الإذاعية» من ٢/١٨ إلى ١٩٨٨/٣/٦ وقام بتغطية بعض المحاضرات الأستاذ يحيى الشهابي : تاريخ الإذاعة وتطورها - فيزيولوجية الصوت- عناصر التشويق والإثارة - فن الإلقاء والتعبير، والأستاذ زهير الخيمي: الخصائص الصوتية للاستديو - الصوت وخصائص المايكروفونات في العمل الدرامي، والأستاذ صميم الشريف: الموسيقى والإذاعة، وقمت بالحديث عن موقع الإذاعة من وسائل الاتصال - البرنامج الإذاعي وتطوره - الإخراج والمخرج الإذاعي - فن الدراما وكتابة التمثيلية الإذاعية - الإشارات والمصطلحات - الدراما وبرامج التنمية - الإعداد الإذاعي والالتزام- المؤثرات الصوتية - الأبعاد والمستويات الصوتية- تحليل أعمال درامية جاهزة، ثم بدأت بالتدريبات العملية لإخراج تمثيليات إذاعية ونفذ المشتركون المتدربون أربعة أعمال درامية وقام الزميل هيثم الحسامي المساعد الفني بالتسجيل والمونتاج واستعنا بممثلين وممثلات محترفين ومحترفات.وأعتذر هنا لعدم عثوري على قائمة بأسماء المشتركين المتدربين في هذه الدورة الهامة لكنني أذكر أن الإقبال عليها كان كبيراً.

وفي بداية العام ١٩٨٩ أُقيمت «دورة تشغيل التجهيزات الصوتية» من ١/١٩ إلى ١٩٨٩/٢/٢٢ وهي دورة هندسية كان محاضروها السادة: المهندس بشير بدوي - المهندس زهير خيمي هيثم حسامي - تحسين رهونجي . وقد قام الأستاذ حسين نازك بتغطية خصائص تسجيل الموسيقى وقمت بتغطية خصائص تسجيل الدراما.

وأقيمت دورة أخرى بعنوان «دورة تقنيات الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني» من ٩/١٨ إلى ١٩٨٩/٩/٢٧ وكانت محاضراتها:

- أساسيات في الإخراج الإذاعي وتقنياته - التسجيل والمونتاج واستخدام المؤثرات الصوتية لفاروق حيدر.
- تقنيات الإذاعة: الصوت والمايكروفونات - تقنيات الاستديو للمهندس زهير الخيمي رحمه الله.
- التكوين الجمالي للدكتور حيدر اليازجي.

- آلية تشغيل الكاميرا التلفزيونية للمهندسة ماري كلش.
- أساسيات فن الديكور للسيدة أسماء فيومي.
- تقنيات الإخراج التلفزيوني - المصطلحات الفنية وتقنيات الإخراج للأستاذ أمين البني
- تقنيات الإضاءة - تقنيات التصوير التلفزيوني للدكتور سمير جبر
- تشغيل أجهزة مازج الصورة - تطبيقات مازج الصورة للمهندس أسامة الشيخ رحمه الله. وقد اشترك في هذه الدورة ثماني سيدات متدربات دون متدربين : ميسون أحمد عوامله من تلفزيون الأردن فاطمة اسكندراني من تلفزيون تونس - حورية خثير من تلفزيون الجزائر - سهام عثمان علي قوليب من تلفزيون السودان - شادن حسن حمدان من إذاعة دمشق - لينا عطا الله أسعد من تلفزيون دمشق - سلوى عطية بدوية من إذاعة فلسطين - نادية أحمد نعمان من تلفزيون اليمن.

وفي عام ١٩٩٠ أقيمت «دورة الإخراج الإذاعي» من ١/١١ إلى ١٩٩٠/٢/٣١ وكانت دورة من نوع جديد حيث اشترك ثلاثة من المحاضرين المدربين مخرجي إذاعة بمعدل أسبوع لكل منهم وهم حسب البرنامج الموضوع الأساتذة:

فاروق حيدر للأسبوع الأول، وموسى عمار من الأردن للأسبوع الثاني، وأنور عبد العزيز من مصر للأسبوع الثالث. وقد توزع الفرسان الثلاثة المحاضرات والتدريبات حسب البرنامج الذي وضعته بنفسي كما هي العادة وبتكليف من الأستاذ مدير التدريب الأستاذ سامي جانو، ولو أخذ برأيي في الموضوع لما وافقت لأن يُوزع العمل بين ثلاثة أساتذة لنفس الموضوع قد يوجد اختلافاً في الرأي والأسلوب مما يسبب بلبلة وضياعاً لدى المتدربين. المهم كانت هذه الخطوة محسوبة من قبل السيد مدير المركز الجديد زهير بريدي الذي تسلم من الأستاذ فؤاد بلاط بعد انتهاء مدته.وقد اشترك في هذه الدورة: سمر جويّد ومحمد حلمي كلبونة من إذاعة القدس وجمال السعايدة من إذاعة عمان بالأردن، وفيصل الشاوش من إذاعة صنعاء باليمن، وإبراهيم

النجار من إذاعة دمشق، وهيام إبراهيم من تلفزيون دمشق، وأميرة دندش وغسان الأحمد من الإدارة السياسية بدمشق .

المهم أن هذه الدورة هي آخر دورة أشترك فيها قبل انقطاع دام أحد عشر عاماً وهي المدة التي بقي فيها الأستاذ زهير بريدي مديراً للمركز.و كانت سياسته، ولخلافات شخصية سابقة معي، أن يبعدني عن المركز طوال مدة وجوده دون أن يفكر بأن في ذلك عيباً كبيراً إذ يدخل العلاقات الشخصية في أمور العمل و يسبب خسارة كبيرة للمركز لأن أي أستاذ يأتي به من الخارج يدفع له بالدولار وليس بالعملة السورية، ويستضيفه في فندق خمس نجوم ويخصص له سيارة، بينما الأستاذ السوري لا يكلف المركز إلا أجره وبالعملة السورية . رحمه الله وسامحه.

يبقى أن أذكر هنا تعيين الزميل الأستاذ محمد الخطيب مديراً للتدريب البرامجي بعد إحالة الأستاذ سامي جانو للمعاش ، وسيكون لي مع مدير التدريب البرامجي هذا تعاون كبير يأتي بعد أحد عشر عاماً.

* * *

وجهت لي في بداية العام ٢٠٠١ دعوة تقول:

«يتشرف المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني بدعوتكم لحضور الحفل الذي يرعاه الدكتور فائز الصايغ المدير العام لهيئة الإذاعة والتلفزيون رئيس اتحاد إذاعات الدول العربية بمناسبة أداء الدكتور حيدر اليازجي القسم بعد صدور قرار الجمعية العامة للإتحاد بتعيينه مديراً للمركز العربي للتدريب خلفاً للسيد زهير البريدي ، يقام الحفل عند الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم الاثنين الموافق ٢٠٠١/٢/١٥ في مقر المركز الكائن في اوتستراد ١٧ نيسان بجانب فندق كارلتون.»

وقد سعدت بهذه الدعوة لأنها جاءت من المركز وموظفيه، وكأنها ترد على ما لحقني في السابق، وتدعوني للعودة إلى المكان الذي عددته ولا أزال، بيتي الثاني فقد عاصرته منذ قيامه وعملت فيه بحب وإخلاص إيماناً بالرسالة العظيمة التي يحملها ويحقق جزءاً كبيراً منها.

وعدت، والعود أحمد ، ووجدت في مدير المركز الجديد الدكتور حيدر اليازجي الإنسان الكبير والرجل الودود، ولا أنسى الفرحة التي قرأتها في عيون الجميع من الزملاء الذين عاصرتهم ابتداء من الأخ الأستاذ المهندس أسامة الشيخ مدير التدريب الهندسي رحمه الله، والأخ الأستاذ علي الشعار المسؤول عن العلاقات العامة، والأخ الأستاذ محمد زهير موزة المسؤول الإداري والتنظيمي، والأخ الأستاذ سهيل خوري رئيس قسم الشؤون المالية الذي خلف الأخ الأستاذ أحمد جاويش رحمه الله وكذلك الأخ الأستاذ وليد الحموي المحاسب. وأذكر ترحيب الأستاذ محمد الخطيب مدير التدريب البرامجي على الرغم من علاقته الوثيقة بالمدير السابق زهير بريدي.

في افتتاح إحدى الدورات التدريبية :
المهندس أسامة الشيخ مدير التدريب الهندسي، فاروق حيدر، الدكتور حيدر اليازجي مدير مركز التدريب، الأستاذ أحمد جاويش مدير الشؤون المالية، الأستاذ محمد الخطيب مدير التدريب البرامجي

كانت أولى الدورات البرامجية في «العهد الجديد»: «دورة إعداد وكتابة النص الدرامي في الإذاعة» وامتدت من ١/١٨ إلى ٢٠٠١/٢/٢ وقد عهد إلي بالأسبوع الأول من الدورة وعهد إلى الأستاذ عبد الوهاب قتاية المصري بالأسبوع الثاني.

في الأسبوع الأول تحدثت عن فن الدراما والدراما المسموعة وعن المؤثرات الصوتية والموسيقا وطرق استخدامها ثم عن الكتابة الدرامية بأنواعها وعن الالتزام وعن أدوات الكاتب الدرامي وعن فن التشويق في العمل الدرامي وعن العلاقة بين الكاتب والمخرج وعن كتابة نص درامي من قصة صغيرة، وأقمت ورشة تخيل نص درامي، وورشة مطالعة الصحف المتوفرة واصطياد موضوع يصلح لكتابة نص درامي، ثم أنهيت دوري بالاستماع إلى أعمال نفذها المشتركون في إذاعاتهم وأتوا بها كنموذج لإنتاجهم ومن ثم مناقشتها.

اشترك في هذه الدورة الزميلات والزملاء: إبراهيم جديدي وجميلة عراس من إذاعة الجزائر، طارق البحر ومصعب الصاوي من إذاعة السودان، أحمد جنيد وجمال العقاد من إذاعة دمشق، عبد الباسط المبرزي وآمال عبد الله من إذاعة اليمن.

وأقيمت في هذه السنة أيضاً دورة «فن الإلقاء للمذيعين ومقدمي البرامج في الإذاعة» من ٣/٢٢ إلى ٢٠٠١/٤/٦، وقد اشترك فيها سبعة عشر متدرباً ومتدربة الزملاء والزميلات: ثريا المصمودي ومحرز إبراهيمي من الإذاعة والتلفزة التونسية، بربارة تركية وآمال شابة من المؤسسة الوطنية للإذاعة الجزائرية، ومحسن زياد العتيبي من إذاعة جدة بالسعودية، وليلى محمد وإحسان محمد من الهيئة القومية للإذاعة السودانية، وختام ديك من هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطينية، ورجاء المليجي ومنتصر فؤاد عم علي من إذاعة القدس، وأحمد العتيبي وفريدة دهراب من إذاعة الكويت، ونجاة مراد وثريا محمد من الهيئة العامة لإذاعة الجماهيرية الليبية العظمى، وانتصار نعمان من مؤسسة الإذاعة والتلفزيون اليمنية، وخالد الطالب وبسام رزق من إذاعة دمشق، وقد اقتصر دوري في هذه الدورة على الجانب العملي التدريبي حيث أجرينا تدريبات

في قراءات حرة سجلت في الاستديو. وكان حشد المحاضرين يتألف من الأساتذة: عبد الهادي المبارك، ياسر المالح، كمال البني، نهلة السوسو، المهندس أسامة عجوب، عبد العظيم جمعة، قاسم ياغي، أديب غنم.

أقيمت «دورة إخراج الدراما الإذاعية» في الفترة من ٢/٢٨ إلى ٢٠٠٢/٣/١٥ وقد كنت المكلف بها إشرافاً ومحاضرة وتدريباً عملياً لكنني استضفت بعض الضيوف لإدخال عنصر من التلوين والتنوع إلى جانب الإفادة:

- الدكتور المهندس عصام عبود تحدث عن استديو الإذاعة ومواصفاته وأنواع المايكروفونات.
- الأستاذ ياسر المالح والأستاذ عادل أبوشنب والأستاذ نصر الدين البحرة تحدثوا عن تجاربهم في التمثيلية الإذاعية
- الأستاذ صميم الشريف تحدث عن الموسيقى والدراما الإذاعية .

أما بقية البرنامج فكانت عناوينه: تاريخ الإذاعة وموقعها من وسائل الاتصال- البرنامج الإذاعي وتطوره- فن الدراما والتمثيلية الإذاعية- الإخراج والمخرج الإذاعي- عناصر التشويق والإثارة في الدراما الإذاعية- الالتزام في وسائل الإعلام ودوره في التمثيلية الإذاعية- الأبعاد والمستويات والمؤثرات الصوتية، ثم بعد ذلك كان العمل في الاستديو بتطبيقات عملية لكل تلك العناوين وقد توزع المشتركون المتدربون على أربع فئات أخرجت كل فئة تمثيلية إذاعية. وقد اشترك في هذه الدورة ستة عشر متدرباً وهم الزملاء:

محمد عتيق سعيد عتيق من إذاعة البحرين، العربي مواقي بناني وابراهيم تيدافي من الإذاعة الجزائرية، عبد الله العتيبي وخالد الربيعان من إذاعة الرياض، وأحمد الأحمدي من إذاعة جدة بالسعودية، أبو بكر الحاج وأديب أحمد الحسن من إذاعة أم درمان بالسودان، محمود الحسني من إذاعة سلطنة عمان، مفرح الزيد وجاسم محمد خميس من الإذاعة الكويتية، داليا دبور من إذاعة الاسكندرية بمصر، مطيع الفقيه من إذاعة صنعاء ونبيل عبد الله من إذاعة عدن باليمن، إياد اسمندر ومحمد الغزاوي من إذاعة دمشق.

كذلك أقيمت هذا العام «دورة إعداد وإخراج برامج المنوعات في الإذاعة» من ٧/١٨ وحتى ٨/٢ /٢٠٠٢ وأشرف على الأسبوع الأول الدكتور صلاح الدين الفاضل من السودان وأشرفت على الأسبوع الثاني، فتحدثت عن البرنامج الإذاعي وتطوره إلى المنوعات وعن فن التشويق ثم عن المقابلة والمناقشة والندوة وعن المجلة مع تدريب عملي في هذه العناوين كلها. ودعوت الفنانة جيانا عيد في استراحة حيث التقت بالمشتركين وتبادلوا النقاش. وقد اشترك في هذه الدورة أربعة وعشرون متدرباً من الجزائر والسعودية والسودان وسورية وعمان وفلسطين والكويت ولبنان ومصر واليمن بواقع متدربين اثنين من كل دولة ما عدا السعودية حيث اشترك منها سبعة مشتركين.

مع الفنانة جيانا عيد ضيفة إحدى الدورات التدريبية
وزميلة متدربة من السودان

برامج المنوعات في الإذاعة والتلفزيون:

صدر في العام ٢٠٠٣ كتابي الثاني عن المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني التابع لاتحاد إذاعات الدول العربية بعنوان «برامج المنوعات في الإذاعة والتلفزيون» وقد قدمت في الكتاب دراسة بعض المفاهيم الإذاعية، وأعطيت فكرة سريعة عن تطور البرنامج الإذاعي حتى الوصول إلى برنامج المنوعات حيث ركزت عليه لأنّه أكثر البرامج الإذاعية اعتماداً على المبدأ القائل : «رفه أولاً ثم ثقف وعلم»، وعرجت على أنواع برامج المنوعات من البرامج الجماهيرية والفكاهية وبرامج الموسيقى والأغاني وبرنامج المجلة الإذاعية وبرنامج الأسرة وبرنامج المرأة والبرنامج الخاص والريبورتاج أو التقرير الإذاعي ثم الرسائل الإذاعية والتلفزيونية .

ومن النقاط التي أكدت عليها في هذا الكتاب:

- إن طريق الإعلام شائك ويتطلب علماً، فالموهبة وحدها لا تكفي، والإدعاء وحده يضيع في متاهات التخلف.
- اللغة العربية ومدى أهميتها حيث المفروض ألا ننساق وراء اللهجات المحلية واللغة الدارجة فاللغة العربية تعبر عن أماني العرب وآمالهم وبالحفاظ عليها نحافظ على تاريخنا وحضارتنا.
- إن الإعلام رسالة هامة ومن أولى شروطها: الالتزام تجاه الأمة والوطن والمفاهيم الأخلاقية الرشيدة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الكتاب هو الثاني في سلسلة الكتب الإعلامية الأكاديمية بعد كتابي الأول: «الإذاعة والتمثيلية المسموعة».

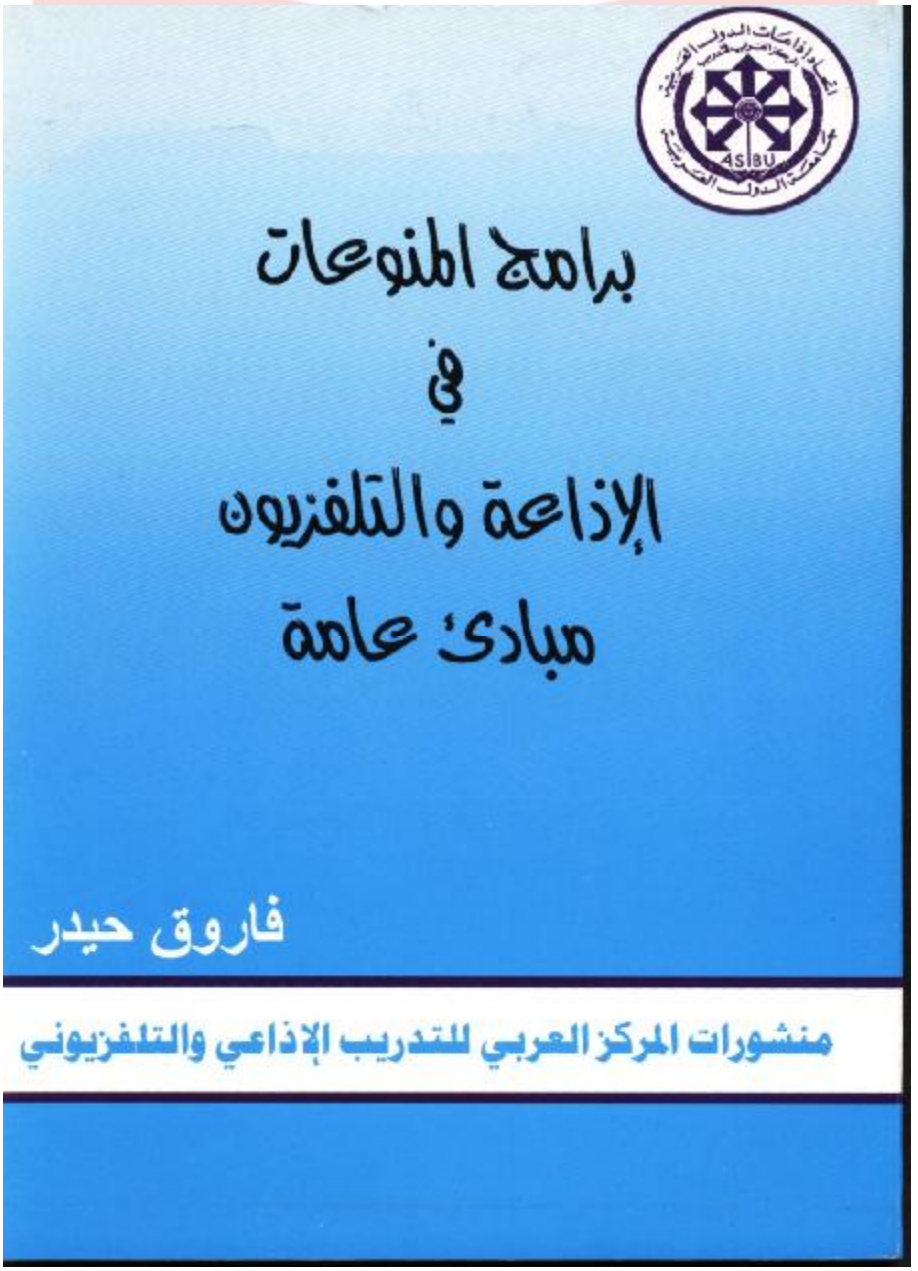
برامج المنوعات
في
الإذاعة والتلفزيون
مبادئ عامة
فاروق حيدر
منشورات المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني

أقيمت من ٤/٢١ ولغاية ٢٠٠٣/٤/٣٠ دورة «إعداد وكتابة النص الدرامي في الإذاعة». وهذه الدورة من الدورات التي تعاد في المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني لأنها تلقى الترحيب من الإذاعات العربية المختلفة ويحضرها مشتركون كثيرون. وقد شملت هذه الدورة الموضوعات التالية: الإذاعة بين وسائل الاتصال - فن الدراما والدراما المسموعة - المؤثرات الصوتية والموسيقى في الدراما الإذاعية - الكتابة الدرامية وأنواعها - أدوات الكاتب الدرامي - الالتزام في كتابة الدراما - فن التشويق في الكتابة الدرامية - الإعداد الدرامي الإذاعي لنصوص غير إذاعية - علاقة الكاتب الدرامي بالمخرج - اصطياد نص من صحيفة أو خبر وتحويله إلى دراما إذاعية - مناقشة أعمال للمشتركين المتدربين.

وقد اتبعت في هذه الدورة دعوة شخصية لها علاقة بالدراما الإذاعية و استضافتها في الساعة الأخيرة من كل يوم، وسعد المشتركون المتدربون باستقبال السيدة الفنانة منى واصف - والأستاذ الكاتب عادل أبو شنب - والأستاذ الكاتب نجاح السمان - والسيدة الفنانة وفاء موصلي - والأستاذ الكاتب خطيب بدلة - والأستاذ الفنان عبد الرحمن أبو القاسم.

وقد حضر هذه الدورة الزملاء والزميلات من الإذاعات العربية : نبيل العلوي وعبد الحميد تركي وعمر قادري من الإذاعة الجزائرية - الطيب بانقا وسعاد بابكر من إذاعة أم درمان بالسودان - صالح الخنجري من وزارة الإعلام العمانية - نعيم صالح إبراهيم من إذاعة القدس - طلال حيدر وطلال السبيعي من وزارة الإعلام الكويتية - أحمد ترمس وحسن علي نعيم من إذاعة النور بلبنان - أمجد أبو طالب من إذاعة القاهرة الكبرى ومحمد إسماعيل من إذاعة البرنامج الثقافي بمصر - جمال الرميم من إذاعة صنعاء وعلي سالم باثعلب من إذاعة عدن باليمن - شكري زين العابدين وعماد الدين إبراهيم من إذاعة دمشق.

ولنجاح هذه الدورة أعيدت في العام التالي ٢٠٠٤ حيث أقيمت دورة «إعداد وكتابة النص الدرامي في الإذاعة» في الفترة من ١٤ وإلى٢٠٠٤/٢/٢٣ وقد حضرها ستة عشر متدرباً ومتدربة هم: علي المومني وحكمت زريقات من

الأردن، عماد بن الغارق من تونس، محمد حسن عبد الله من البحرين، سعد الجريس ومحمد صالح مدني من السعودية، السيدة أمينة النور عبد الله وعبد القادر نصر عثمان محمد من السودان، يوسف حيدر من الكويت، حسن الشيخ والسيدة دانية علي يوسف من إذاعة النور بلبنان، شكيب راجح وحسن سعيد وعلي مدهش من اليمن، وليد خربوطلي والآنسة صفاء اسماعيل من سورية.

وقد أعدت في هذه الدورة البرنامج نفسه الذي اتبعته في دورة العام الماضي المماثلة، واستضفت السادة كتاب التمثيلية الإذاعية : عادل أبو شنب وداوود شيخاني، والدكتور أحمد حلواني الذي تحدث عن دور الثقافة في الإعلام.

ومما يجدر ذكره أن الأستاذ محمد الخطيب مدير التدريب البرامجي قد بلغ سن التقاعد وأفسح المجال للأستاذ رياض رعد زميلنا المخرج التلفزيوني في تلفزيون دمشق.

في شهر نيسان أبريل من هذا العام ٢٠٠٤ تلقى السيد مدير المركز رسالة من السيد مدير التدريب والتطوير الإعلامي في وزارة الإعلام بسلطنة عُمان خليفة بن محمد السعدي يقول فيها: «نفيدكم علماً برغبة الوزارة بالاستعانة بالدكتور فاروق حيدر لعقد دورة تدريبية بالسلطنة في مجال «إخراج البرامج الإذاعية» على فترتين كالتالي:

الفترة من ٤/٣٠ - ٥/٤ /٢٠٠٥ بالعاصمة مسقط

الفترة من ٧- ٥/١١ /٢٠٠٥ بمكتب الإعلام بمحافظة ظفار»

كنت سعيداً بهذه المهمة لاسيّما وأنها توصلني إلى أبعد نقطة في جنوب الوطن العربي الكبير وإلى بلاد لن يتاح لي زيارتها ما لم تكن عن هذه الطريق، وقد لقيت ترحيباً واحتراماً لدى وصولي وأبدى المسؤولون اهتمامهم بي مشكورين في مسقط وفي صلالة وكذلك التقيت بالزملاء الذين زاروا دمشق وحضروا دورات تدريبية في المركز وكانت عنايتهم مشكورة.

استمعت إلى أعمال إذاعية كثيرة هي البرامج التي تبثها كلا الإذاعتين، وأبديت ملاحظاتي للزملاء مخرجي الإذاعتين، وقمت بإلقاء محاضرات وإجراء مناقشات وتدريبات حول الإخراج الإذاعي على الرغم من قصر

الفترة المخصصة لذلك، وقدمت تقريراً للسادة المسؤولين ذكرت فيه ضرورة تحسين أوضاع المخرجين وتطوير عملية الإخراج في إذاعتي عمان ودعمت رأيي بأمثلة حية آملاً أن يكون السادة المسؤولون قد اقتنعوا بوجهة نظري.

ولابد أن أشير هنا إلى الأهمية التي تكمن وراء وجود مؤسسة إقليمية عربية وهي المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني حيث ذهبت من دمشق في وسط الوطن العربي إلى أقاصي جنوبه لألتقي بزملاء وإخوان لي كان جمعني المركز بهم في دمشق. وهذا مثال عملي وواضح يعم كل بلدان الوطن العربي ويؤسس للوحدة العربية الكبرى التي لا نزال نحلم بها والتي أقول عن إيمان راسخ إنها ستتحقق يوماً ما إن لم يكن في زماننا ففي زمان قادم، المهم أنها ستتحقق بإذن الله.

أُقيمت في العام ٢٠٠٥ دورة «فن الإخراج الإذاعي» خلال الفترة من ٢/٢٢ ولغاية ٢٠٠٥/٣/٣ وقد استعرضنا فيها العناوين التالية: الإذاعة كوسيلة اتصال - البرنامج الإذاعي - الدراما الإذاعية - برنامج المنوعات - البرنامج الخاص - المؤثرات الصوتية والموسيقى ثم اشترك المتدربون بتنفيذ برنامج منوعات وكذلك بتنفيذ تمثيلية إذاعية. وقد اشترك في هذه الدورة واحد وعشرون متدرباً ومتدربة:

إبراهيم القواسمة وعلى الأحمد من إذاعة عمان بالأردن - لطيفة بو مطيع من إذاعة البحرين - أنور العياشي من إذاعة تونس - علي الحربي وأحمد عواد الأحمدي من الإذاعة السعودية - نادية بابكر من إذاعة السودان - محمد جامع حاشي من إذاعة الصومال - سعيد بامخالف وسعود الدرمكي من إذاعة عمان - مصطفى القبرصلي وبشار السردي من إذاعة القدس - ضامن ضامن وهيسم عمار من إذاعة النور بلبنان - محمد التجامي من إذاعة المغرب - أحمد بازرعة وخالد باكرمان ومحمد سعيد عبد المجيد من إذاعة اليمن - مهند ديب وفراس عباس ومحمد خالد عربي كاتبي من إذاعة دمشق.

والجدير بالذكر أن إدارة المركز اعتمدت أسلوباً عملياً في تثبيت ذاكرة المشتركين المتدربين مساهمة في ذاك التواصل الجميل الذي يقوم بينهم في

أثناء الدورة، وذلك بإصدار قائمة بأسمائهم مع صورهم وعناوينهم كي يستمر ذاك التواصل، وكي يؤدي المركز غايته الأساسية في إيجاد اللغة الإعلامية العربية المشتركة.

وأُعيدت في العام التالي ٢٠٠٦ دورة «كتابة النص الدرامي في الإذاعة» من ٢٤/ ١ وحتى ٢٠٠٦/٢/٢ واشترك فيها سبعة عشر مشتركاً متدرباً:

لؤي مسلّم وأشرف طلفاج من إذاعة الأردن- محمد السياري ومحمد الظريف من إذاعة تونس- الآنسة غانية صدّيق من إذاعة الجزائر- الفاضل محمود الحسني والفاضل حفيظ الراجحي من إذاعة عمان - ماهر بلبيسي والسيدة نهى أبو سمعان من إذاعة فلسطين - عدي الموسوي وجواد أحمد شري من إذاعة النور بلبنان- عبد الباسط المبرزي والسيدة آمال ياسين من إذاعة اليمن- أمير إبراهيم وحسب الرسول الطيب من السودان- الآنسة سناء الحمود وباسل يوسف من إذاعة دمشق.

وقد اهتممت في هذه الدورة بإيجاد تعاون بين المشتركين والتوصل إلى نص درامي مشترك مما جعل الباب مفتوحاً أمام المناقشات وطرح الآراء المختلفة ومن ثم التوصل إلى صيغة مشتركة.

ودعوت ضيوفاً لتلوين الدورة : الفنانة السيدة منى واصف - الفنانة السيدة وفاء موصلي - الأستاذ الكاتب عادل أبو شنب - الفنان الأستاذ رضوان عقيلي.

وربما يتساءل أحدهم عن سبب دعوة نفس الشخصيات كضيوف في عدة دورات فأقول: إن مشتركي أي دورة يختلفون عن مشتركي الدورة الأخرى، ثم إن من أدعوهم أعرفهم جيداً وأكون واثقاً من مستواهم الفني والثقافي بحيث يكونون عوناً لي بالنهوض والرفع من سوية الدورة.

ومن باب التغيير أستعرض عناوين الدورات البرامجية الإذاعية التي أقامها المركز هذا العام إلى جانب دورتنا السابقة: أرشفة البرامج الإذاعية وتوثيقها باستخدام التقنيات الحديثة - إعداد وتقديم برامج الأطفال في الإذاعة - برنامج المقابلات والحوار والبث المباشر في الإذاعة - استخدام الغرافيك والمونتاج اللاخطي في المجال البرامجي.

المذيع:

في أوائل العام ٢٠٠٨ صدر كتابي الثالث: «المذيع» عن المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني التابع لاتحاد إذاعات الدول العربية، وهو مشروع بناء مذيع ناجح، تحدثت فيه عن بنيان المذيع وصحته الجسدية والنفسية والسلوكية والثقافية والعلمية. ثم استعرضت شؤوناً أساسية في بناء المذيع كعملية التنفس والصوت البشري واللفظ والنطق مع التمارين الخاصة بتلك العناوين ثم دخلت في عالم الحرف والكلمة والجملة. وفي رحاب اللغة العربية تحدثت عن فن الإلقاء والتقطيع والتلوين مع تمارين مختلفة وتطبيقات عملية. ثم انتقلت إلى «المايكروفون، ذاك الذي أعشق» و«الكاميرا.. تلك التي لها نتجمل» ووصلت إلى دور المذيع في البرامج المختلفة. و«قبل الختام» أشرت إلى اللغة العربية ورسالة الإعلام والالتزام، و«في الختام» أملت أن يكون هذا الكتاب خطوة في ميدان الإعلام العلمي الصحيح وعوناً للأعزاء والأبناء الذين اختاروا دخول مضماره. وخاطبت الأبناء قائلاً: «عليكم أن تواصلوا طريقكم عبر بوابات المعرفة فالعالم يتقدم بسرعة كبيرة وعلينا أن نتقدم معه لا أن نلحق به، وعلينا أن لا نتوقف فالتوقف تأخر والتأخر يؤدي إلى الفناء».

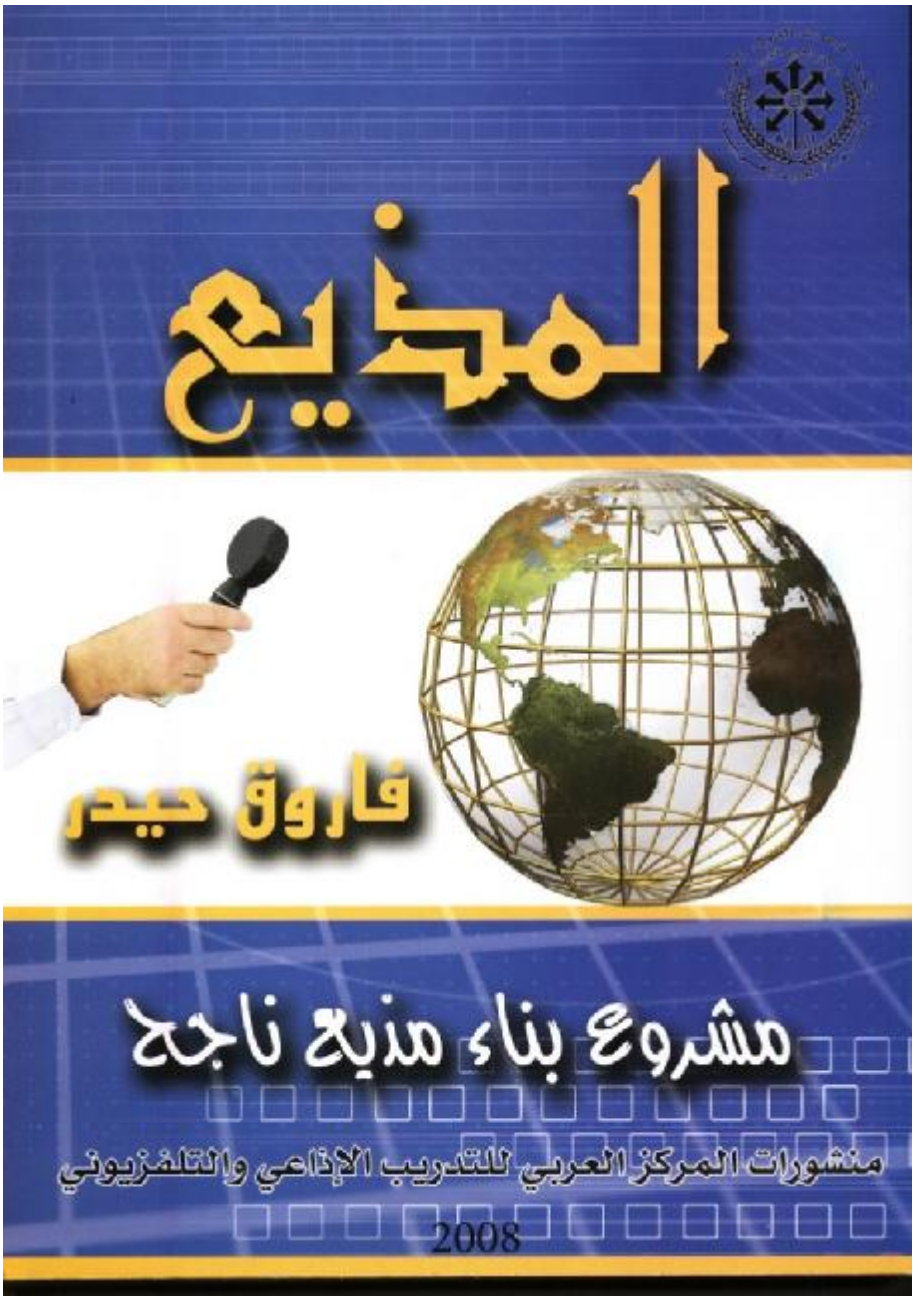
المذيع
فاروق حيدر
مشروع بناء مذيع ناجح
منشورات المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني
2008

تمثيليات إذاعية:

وفي أوائل العام ٢٠٠٩ صدر كتابي الرابع «تمثيليات إذاعية» عن المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني وقد ضمنته مختارات ونماذج من التمثيليات الإذاعية التي كتبتها خلال مشواري الإذاعي، كي يستأنس بها الزملاء والزميلات في الإذاعة، الذين ينحون منحى الكتابة الدرامية الإذاعية، وكي يستعين بها المشتركون المتدربون خلال دورات التدريب التي يقيمها المركز فيختارون منها ما يرونه مشجعاً لهم على تنفيذ عمل درامي إذاعي.

ويبدو أن لصدور كتابين لي في عامين متتابعين معنى يندرج في تلك الخواطر التي تنتاب الإنسان عندما يصحو. فيجد أن سبعين عاماً من عمره قد مرت وأن ما بقي له في هذه الدنيا أقل بكثير مما قضاه فيها، فيحاول أن يسرع لعلّه يفضي بكل ما لديه، ولعلّ ذاك الإفضاء يفيد الأجيال اللاحقة والقادمة.. و يبقى الإنسان عطاء حتى آخر لحظة من حياته، وكل ما آمله أن أنتهي من هذه المذكرات قبل مغادرتي إلى ديار فسيحة خالدة وعدنا الخالق بها فسبحان الحي القيوم.

مركز التدريب الإذاعي والتلفزيوني

تمثيليات إذاعية

فاروق حيدر

وأُقيمت في العام ٢٠٠٩ دورة «فن الدراما الإذاعية» من ٢٠ ولغاية ٢/٢٩ ٢٠٠٩، ويبدو من عنوان الدورة أنها الأولى من نوعها في المركز حيث كان المركز يقيم دورة للكتابة الدرامية الإذاعية وأخرى لإخراج الدراما الإذاعية، أما هذه الدورة فهي تجمع الكتابة والإخراج معاً تحت العنوان الواسع «فن الدراما الإذاعية»، وقد امتاز اليوم الأول من هذه الدورة بإقامة حفل تسليم واستلام بسيط بين السيدين مديري المركز: القديم الدكتور حيدر يازجي والجديد الأستاذ طالب قاضي أمين، وفي الكلمة الموجزة التي ألقيتها بهذه المناسبة، ولوجودي مشرفاً على الدورة التدريبية هذه تمنيت أن يكون الأستاذ طالب قاضي أمين خير خلف لخير سلف، فالدكتور حيدر كان مثال التهذيب واللباقة في تعامله وفي مسيرته في إدارة المركز. ومعلوم أن الأستاذ طالب كان معاوناً للسيد وزير الإعلام والدكتور حيدر بلغ سن الستين فأصبح متقاعداً لكنه باعتباره تشكيلياً معروفاً من فنانين بلدنا الأجلاء فهو يشغل منصب رئيس اتحاد الفنانين التشكيليين.

وأعود إلى دورة فن الدراما الإذاعية فأقول: إنني حاولت إقامة توازن بين الكتابة الدرامية والإخراج الدرامي وقد نجحت والحمد لله، وكان المشتركون المتدربون الأحد عشر متجاوبين ومتحمسين ومهتمين وبخاصة للجزء العملي من الدورة وقد رحبنا بالضيوف: السيدة منى واصف - السيدة وفاء موصلّي - الأستاذ الموسيقار سهيل عرفة - الفنان الأستاذ رضوان عقيلي.

بقي أن أذكر مواقف محددة ولمحات لا يمكن أن تفارقني لأنها عزيزة علي قريبة إلى قلبي في مشواري مع ذاك الصرح الذي أعطيته واحترمته: «المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني»، وأهمها تلك العلاقة الطيبة مع أولئك الطيبيين في المركز وأبدأ بذكر ذاك الإنسان النبيل المهندس أسامة

الشيخ الذي رزئنا بوفاته مؤخراً وهو في ريعان شبابه، الذي كان يملأ فراغاً كبيراً في التدريب الهندسي رحمه الله، وله في قلبي أطيب الذكرى فقد كنت أشعر خلال جلساتنا وتبادلنا الأحاديث المختلفة مدى طيبته ورفيع تهذيبه وعلو ثقافته. أما الرجال الآخرون الذين أفخر بصداقاتهم فهم وحسب تاريخ وجودهم في المركز الأساتذة: سامي جانو، وخضر الشعار، وفؤاد بلاط، والدكتور حيدر اليازجي الذي وافق أن يكون ابن عمي ما دام الاسم الواحد يجمع بيننا ومحمد الخطيب ورياض رعد الرجل الدمث والإنسان الودود وعلي الشعار بعلاقاته العامة وزهير موزة بمسؤولياته الإدارية الناجحة. ولا أنسى ذاك العزيز أحمد جاويش الذي كان محاسباً رحمه الله، وكذلك رئيس قسم الشؤون المالية الحالي الأستاذ سهيل خوري بدماثته وطيبته وكذلك الأخ الشاب لؤي حموي المحاسب الحالي الذي يختلف عن محاسبين غيره بأنه يعطيك استحقاقك المالي وهو سعيد بهذا!!

وكيف أنسى تلك العلاقات الوطيدة مع كل الذين وفدوا إلى المركز لينهلوا من العلم والتجربة وعادوا إلى أوطانهم وهم يلهجون باسمي. ذاك وسام كبير أعتز به. كيف أنسى ذاك الزميل السوداني الذي أحرجني ساعة التخرج وتسليمه الشهادة عندما قبل يدي ثم وجنتي بحب وود واضح أو ذاك الزميل الأردني الذي جاء الدورة معلناً أنه درس الإعلام في الولايات المتحدة الأميريكية غير مقصر في مناقشتي في كثير من الأمور المهنية، فكنت مرحباً بذلك وهذا ما أعطاه حرية النقاش والتعليق لفائدتي وفائدة الزملاء المتدربين، كيف أنساه وهو يؤكد في حفل ختام الدورة وبحضور السيد مدير المركز والسيد مدير التدريب البرامجي أنّ ما استفاده من الأستاذ فاروق حيدر لم يعرفه في كل دراسته السابقة وأنّ مستوى التدريب الذي تلقاه منه لم يكن بشكل من الأشكال أقل مما تلقاه في أمريكا. وكيف لي ألا أفخر؟ وكيف لي ألا أحمد الله على توفيقه؟

« وفي الختام.. »

وأقلب صفحات المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني لأعود في صفحتي الأخيرة من هذه المذكرات إلى رحلة الذكريات مع المايكروفون، مودعاً.

ويتوقف القلم هنا ويجف حبر الذكريات، فقد وصلت إلى الشهر العاشر من العام ٢٠٠٩ قارعاً الجرس معلناً إنهاء مذكراتي في مسيرتي الطويلة مع المايكروفون سائلاً المولى أن أكون موفقاً فيما كتبت. وتراني أشعر بسكينة واطمئنان لأنني وخلال رحلة النصف قرن من الزمن لم أسيء لأي إنسان مرّ ذكره في مسيرتي ولم أتجاهل أي إنسان كان له دور ما. لكن رجائي يبقى بأن يغفر لي ويسامحني كل من وجد نفسه مظلوماً أو شعر بأنني ظلمته مؤكداً أنني لم أتعمد ذلك بل حاولت أن أجمع أفكاري وأسجل الوقائع التي أذكرها وأتوصل إلى الحقائق التي تأكدت منها.

عذراً أصدقائي وزملائي رفاق درب المايكروفون الطويل وشكراً لكم فقد أثريتم مذكراتي بوجودكم إلى جانبي ومن ثم بدخولكم حرم ذكرياتي.

وشكراً لأولئك الذين أنعشوا ذاكرتي بمواقف نسيتها، وجل من لا ينسى.

كما أشكر أولئك الذين شجعوني في الإقدام على كتابة مذكراتي مع المايكروفون.

منوهاً إلى أن من الغايات الرئيسة في لجوئي إلى كتابة مذكراتي مع المايكروفون أن أبين بوضوح أن إذاعة دمشق ذات تاريخ لا يمكن إلغاؤه أو الاستهانة به، وأن على كل من يعمل فيها أن يضع نصب عينيه أمرين هامين لابد من توفرهما فيه كي ينجح في عمله وكي يساهم في تطوير إذاعته وتقدمها، عليه أن يكون عاشقاً وعالماً، إذاعة دمشق وتلفزيون دمشق بحاجة ماسة إلى العلم والعشق فتعلموا وتثقفوا.. واعشقوا.

أما رفيقة الدرب التي لم تشعر بالغيرة من تسميتي المايكروفون رفيق دربي وبنتاي نانا وعُلا اللتان ساهمتا في إخراج هذه المذكرات بثوبها القشيب معتمدتين على الحاسوب وعالمه العجيب، وابني الوحيد عمر المغترب الذي كان متعاطفاً مع الفكرة ومهتماً بتحقيقها باستفهامه الدائم عن مدى إنجازي... أحبائي هؤلاء لهم كل الحب ولهم أهدي هذا الإنجاز على ألا أنسى الدعوات الصالحات التي غمرتني وتغمرني بها «ست الحبايب» أمي، صاحبة الخمسة والتسعين عاماً.

وفي النهاية .. اللهم إني أسألك حسن الختام!

الهيئة العامة السورية للكتاب

n

الصفحة

المقدمة ٥
إلى القاهرة ٧
المعهد الإذاعي في إذاعة القاهرة: ١٢
المعهد العالي للفنون المسرحية: ١٦
إذاعة القاهرة ١٩
إذاعة دمشق ٢١
تصاريف القدر ٤٢
في هولندا ٤٧
إذاعة هولندا العالمية ٤٩
والعود أحمد ٨٩
إذاعة دمشق ٩١
مديرية الإذاعات الأجنبية: ١١٤
الإخراج إبداع ١٢٦
«الإذاعة والتمثيلية المسموعة» ١٢٧
القناة الثانية التلفزيونية ١٣٢
الفن إبداع ١٤٢

الصفحة

مديرية البرنامج العام الإذاعي: ١٤٤
مسابقة ودورة المذيعين والمذيعات: ١٤٨
دورة المذيعين والمذيعات الثانية: ١٧٨
«برامج المنوعات في الإذاعة والتلفزيون» ١٨٣
إذاعتا مسقط وصلالة: ١٩٠
مهرجان الإذاعة والتلفزيون في القاهرة: ١٩٢
دمشق ٢٠٠٨ عاصمة الثقافة العربية ٢٠٣
المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني ٢١٢
«الإذاعة والتمثيلية المسموعة» ٢٢٠
«برامج المنوعات في الإذاعة والتلفزيون» ٢٣١
«المذيع» ٢٣٧
«تمثيليات إذاعية» ٢٣٩
«وفي الختام» ٢٤٣

الهيئة العامة السورية للكتاب

الهيئة العامة السورية للكتاب

الطبعة الأولى / ٢٠١٠
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

الهيئة العامة السورية للكتاب

كنت ولا أزال غير محبذ لفكرة كتابة مذكرات على شكل سيرة ذاتية، مقتنعاً بأن الكاتب قد يدفع إلى ذاكرته، بآلية غير إرادية، ما يراه مناسباً كي يذكره.. وفي الوقت نفسه يحاول تجاهل ما يراه غير مناسب من هنات أو عثرات أو أخطاء وقع فيها خلال مشواره الحياتي.

ومهما حاول الكاتب، كاتب المذكرات، أن يكون موضوعياً لا بد وأن يتأثر، بشكل مباشر أو غير مباشر، لأنه يكتب عن نفسه فيظهر ما يتمنى أن يكون وليس ما هو كائن.

لذا فقد توقفت طويلاً أمام فكرة أن أكتب شيئاً عن مسيرتي مع المايكروفون، لكنني في النهاية وجدت فائدة في قراءة تجارب إنسان أمضى جل عمره مع المايكروفون.. ووجدت فائدة في التأكيد على أهمية إذاعة دمشق ومكانتها الإعلامية.. ثم إنني اقتنعت بأن مسيرتي مع المايكروفون ليست سيرتي الذاتية بما فيها من تفاعلات يمكن أن تحرف قلمي وتبعده عن الموضوعية المطلوبة.

وها أنذا أقدم هذا الكتاب آملاً أن يكون فيه من الفائدة ما يكفي لتبرير وجوده. والله الموفق.

الهيئة العامة السورية للكتاب
The Syrian General Organization of Books

www.syrbook.sy

مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٠

سعر النسخة ١٦٠ ل.س أو ما يعادلها